

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الوادي



كلية: العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم: العلوم الإنسانية
شعبة: التاريخ
تخصص: تاريخ المغرب العربي
الحديث والمعاصر

الجهود التعليمية للشيخين
محمد الطاهر ابن عاشور وعبد الحميد ابن باديس
(دراسة مقارنة)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

إشراف الأستاذ:
د/ محمد السعيد عقيب

إعداد الطالبان:
- محمد العيد قدع
- عبد الرزاق هزبري

لجنة القراءة والمناقشة:

الأستاذ: جمال بلفردي رئيسا
الدكتور: محمد السعيد عقيب مشرفا ومقررا
الأستاذ: عمار غرايسة مناقشا

السنة الجامعية: 1434-1435هـ / 2013-2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

قرآن كريم

يقول الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾. المجادلة 11

حديث شريف

عن أبي أمامة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ، قال: ﴿فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ﴾ ثم قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةِ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الْخَيْرِ﴾.
رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

من عيون الحكمة

إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الشُّعُوبِ فَلَمْ أَجِدْ *** كَالْجَهْلِ دَاءً لِلشُّعُوبِ مُبِيدًا

أحمد شوقي

شكر وعرفان

نحمد الله عزّ وجلّ، الذي تنعمّ علنا بأفضاله الجزال، وآلائه العظام، وتكرّم علينا بمعوته،
والأطاف حوله وقدرته، فبذلك أتمننا هذا البحث .

ثم أتقدم بخالص الشكر وأسمى عبارات التقدير والعرفان، لكل من ساعدنا في انجاز هذه
المذكرة، راجيا من الله أن يجازيهم خير الجزاء، وأخص بالذكر:

✓ زوجتي وأبنائي تقديرا لصبرهم معي على ما أخذت من أوقاتهم...

✓ أخواني: أسماء - رميصاء - أحلام - وزوجها ابن عمتي موسى بيكي، على مساعدتهم لي في كتابة

البحث وتنسيقه.

✓ الأخ فؤاد بلحشاني زميلي في مكتب العمل، على صبره وتفهمه وضعيتي.

✓ الأخت كوثر هاشم على ما أفادتنا به من مراجع.

✓ متحف المجاهد الذي فتح لنا أبوابه.

محمد العيد قدع

إهداء

بعد الشناء على الله لإتمام هذا العمل نهديه إلى :

رمز الحنان والعطاء روح التفاؤل والشفاء أُمي العزيزة.

سندي المتين في السراء والضراء...أبي الغالي.

إلى زوجتي ووحيدتي الغالية إلهام.

إلى بناتي حفصة، الزهرة، منى، نورة، سارة.

إلى جميع أفراد العائلة: محمد الاخضر، عبد العزيز، خيرة، عبد اللطيف.

إلى كل أساتذتي الكرماء.

إلى الأستاذ الوفي: عقيب محمد السعيد.

إلى كل الأهل والأقارب.

إلى أصدقائي الأوفياء زين محمد البشير، زغدي مبروك، قدح محمد العيد.

إلى كل زملائي في إكمالية حي الرمال.

إلى كل طالب علم.

إليكم جميعاً أهدي جمدنا المتواضع.

هزبري عبد الرزاق

الإهداء:

أهدي عملي المتواضع هذا إلى:

طلاب العلم للعلم، ولا ينتغون به غير مرضاة الخالق عزّ وجلّ

روحي الشيخين، محمد الطاهر ابن عاشور وعبد الحميد ابن باديس، وأطلب من الله

عزّ وجلّ أن يجعل جهدي في ميزان حسناتهم.

روح ابني الطاهرة "محمد إبراهيم"، راجيا من الله أن يجمعني به في فردوس جنانه

محمد العيد قدع

ثبت المختصرات:

- إـخ: إلى آخره
- تح: تحقيق
- تر: ترجمة
- تع: تعريب
- ج: الجزء
- دت: دون تاريخ الطبعة
- دم: دون مكان الطبع والنشر
- س: سنة
- ص ص: مجموعة صفحات
- ص: صفحة
- ط: الطبعة
- ع: عدد
- م: ميلادي
- مج: مجلد
- هـ: هجري

مقدمة

التعريف بالموضوع:

يعتبر التعليم أهم أسس بناء الحضارات على مرّ التاريخ، ولا غرو أن يجعل مفكرو كل أمة أكبر همّهم ومبلغ جهدهم ينصبّ في هذا المجال، كما أن الجهل أكبر آفة تجعل الأمم في آخر الركب، أقلّ من أن تذكر حتى في عوارض الكلام، وصدق مؤيد الدين الأصبهاني في قوله :

الْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ *** وَالْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ

وكان مما رزى به العالم الإسلامي في القرون الأخيرة، هو التهاوي الكبير والانحدار الشديد لمستوى التعليم، وبهذا فقط رجحت كفة العالم الغربي على عالمنا الإسلامي، وافتك منه مشعل الريادة الحضاري، ونتج عن هذا التخلف أيضا، وقوع المسلمين تحت براثن الاحتلال الغربي، الذي كان من أفتك سياساته في تركيع سكان مستعمراته، السعي لزيادة تجهيل هذه الشعوب، وهو ما دأبت فرنسا على تطبيقه في مستعمراتها، ومنها الجزائر ثم تونس، حيث عملت على محاربة التعليم الأهلي، بغلق المدارس وإخفات صوت المعلمين باللسان العربي، ثم حرصت على عدم نشر التعليم خوفا من استفاقة الشعوب.

على أن الشعوب لم تستسلم أمام شناعة وبشاعة ممارسات تلك السياسات الرامية إلى فصلها عن أصلها، حيث شهدت أقطار المغرب العربي في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي، نهضة علمية كان لها أكبر الأثر في إحياء هوية هذه البلدان، ومن بينها تونس والجزائر اللتين كادت أن تنسلخا من هويتهما، لولا جهود المصلحين الذين حملوا على عاتقهم المحافظة على ما تبقى، وإحياء ما اندثر من خصائص البلدين، وبذلوا جهودا حثيثة لإيقاظ هذه الأمة من غفوتها، وأنصبّ عملهم حول إصلاح التعليم ومحاولة نشره قدر المستطاع، وبلغوا في ذلك جهدهم وأفرغوا وسعهم، ومن بين هؤلاء الأفاضل الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في تونس، والشيخ عبد الحميد ابن باديس في الجزائر.

فابن عاشور يُعزى له فضل إصلاح التعليم الزيتوني، وإليه يُرجع في الملمّات والخطب، فكانت أعماله بمثابة الصخرة التي تصدعت عليها كثير من المشاريع الاستعمارية، الساعية إلى تعميم ما يُبقي التونسيين متعلقين بجذورهم الحضارية، خصوصا في مجال التعليم، فبقيت الزيتونة بفضل مشايخها

وعلى رأسهم الشيخ الطاهر بن عاشور عصيةً على التطويع، مستمرةً في العطاء برغم الضغوط، ومحافظةً على أصالة الشعب التونسي، شاهدةً على انتمائه الحضاري العربي المسلم.

وأما الشيخ ابن باديس فيعد رائداً لنهضة الأمة الجزائرية، وأحد أبرز أساطينها، الذين كان لهم الفضل في بعثها من غفوتها، بعدما كادت تضمحل تحت ضربات السياسة الاستعمارية، الرامية إلى طمس هويتها، قهينةً لجعلها قطعة من فرنسا، وذلك بمحاربة التعليم العربي وتجهيل الجزائريين، فكان من ثمرات جهود الشيخ ابن باديس وجهود من آمنوا بأفكاره وتأسوا بآثاره، خاصة في مجال التعليم، بروز جيل يحمل في وجدانه وطناً مستقلاً عن فرنسا، بكامل هويته العربية الإسلامية، رافضاً للتدجين والخضوع للأمر الواقع. وبقدر أهمية العلم والتعليم، فإنه لا يخفى على ذوي اللب، أهمية المعلم ودوره المنوط به، في تكوين الأجيال، ورسم مستقبل الأمة، فإن مسؤوليته جلية في ذلك، وعمله ذا تأثيره بالغ، فأى خطأ منه يكون وخيم العواقب، وفي هذا يقول الشاعر أحمد شوقي:

وَإِذَا الْمُعَلِّمُ سَاءَ لَحْظَ بَصِيرَةٍ *** جَاءَتْ عَلَى يَدِهِ الْبُصَائِرُ حَوْلًا

دواعي اختيار الموضوع:

لقد عزمنا أولاً على البحث حول الشيخين عبد الحميد بن باديس وعبد العزيز الثعالبي، ولكن تناهى إلى سمعنا أن هذا العنوان مقترح في جامعة الجزائر لنيل شهادة الماجستير، وفي هذه الأثناء وأحدنا منهمك في مطالعة آثار الشيخ البشير الإبراهيمي، استوقفه مقال بعنوان "الرجال أعمال: محمد الطاهر بن عاشور وعبد الحميد بن باديس. إماما النهضة العلمية في الشمال الإفريقي"، ولعلمنا المسبق بأن الشيخين كلاهما زيتوني، مفسر ومصلح خصوصاً في مجال التعليم، كما أن لهما تأثير بالغ في قطريهما، فكان كل ذلك مثيراً للرجة الجائحة بداخلنا، ودافعاً قوياً للبحث حول الشخصيتين، فاقترحنا الموضوع على الدكتور محمد السعيد عقيب فبارك هذا الاختيار.

أما ما دفعنا لخوض غمار هذا البحث، فهي دواعٍ ذاتية وأخرى موضوعية، فأما الأولى فهي؛ الرغبة في إنجاز عمل يشترك فيه القطرين الشقيقين الجزائر وتونس، بحكم الانتماء وعلاقة الجوار، والامتداد الحضاري المشترك، بالإضافة إلى الاستجابة لنوع التخصص.

- وأما الأسباب الموضوعية، التي تتضمن أهمية الموضوع والأهداف المسطرة له، فتعود:
- لأهمية الموضوع حيث أنه يتناول مشكلة لازلنا نتخبط فيها حتى يومنا هذا، وتتمثل في إهمالنا للتعليم، وعدم رسم سياسات جدية له.
- أهمية العلم باعتباره السبيل الأمثل للخروج من أزمتنا، والعلة في تبوئنا مرتبة مشرفة بين الأمم.
- جدّة الموضوع تجعله جدير بالبحث والتنقيب، حيث لم نقف على دراسة مقارنة حول الشخصيتين.
- زيادة على أنه يدخل ضمن نطاق تخصصنا "تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر".
- إعطاء لمحات عن واقع التعليم في كل من الجزائر وتونس قبل الحركة الإصلاحية التعليمية للشيخين، ومحاولات السلطة الاستعمارية لطمس هوية البلدين.
- تسليط الضوء على المجهودات الجبارة والفعالة للشيخين في إصلاح التعليم وإحياء التعليم العربي الأصيل، مع الاستفادة من العلوم التي جاء بها المستعمر فيما يخدم الأمة.
- محاولة تقفي آثار الشيخين لتوضيح نظرتهم لإصلاح التعليم، وإبراز الوسائل المتبعة من كليهما ومدى تأثيرها في تحقيق ما صبت إليه نفوسهما.

إشكالية البحث:

إن الحالة السيئة التي وصلت إليها تونس والجزائر على عهد الاحتلال الفرنسي، والتي أفرزت المقاومة بمختلف أشكالها، وأبرزت محاولات إصلاح الوضع، ومنه الواقع التعليمي في البلدين، فكان من رواد هذا الإصلاح الشيخين محمد الطاهر ابن عاشور وعبد الحميد ابن باديس، وهما من أشهر العاملين في إصلاح التعليم.

وللوقوف على جانب من مساهمة الشيخين في مجال التعليم، يتولّد لدينا الإشكال الرئيس لهذا البحث المتواضع:

- ما مدى مساهمة الشيخين محمد الطاهر بن عاشور وعبد الحميد بن باديس في النهضة التعليمية ؟

وينبثق عن السؤال السابق عدّة تساؤلات فرعية؛ منها:

- حالة التعليم في الجزائر وتونس أواخر القرن 19م وأوائل القرن 20م.
- سيرة الشخصيتين، خصوصا عوامل نبوغهما.
- أهم أعمال الرجلين في مجال التعليم، والنتائج المترتبة على ذلك.
- أبرز الوسائل المتبعة من طرف الشيخين لإصلاح التعليم ... وغير ذلك.

من مصادر ومراجع البحث:

ولدراسة ومعالجة هذه الاشكالية اعتمدنا على مصادر ومراجع، أهمها، آثار الرجلين، والدراسات التي كتبت حولهما، ومنها:

- آثار الشيخ ابن عاشور: والتي تعدّ بحق مادة دسمة للبحث والتنقيب، حتى أنها يمكنها لوحدها تغطية الموضوع، وأبرزها كتاب أليس الصبح بقريب؟
- ما كتب عن ابن عاشور: ومنه ما كتبه تلميذه الشيخ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة المسمى "شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور" الواقع في ثلاثة أجزاء، خصص نصف الجزء الأول لسيرته، وباقيه مع الجزءان الآخران لمؤلفاته، مؤلف الدكتور بلقاسم الغالي "الطاهر بن عاشور حياته وآثاره"، وتناول حياة ابن عاشور وآثاره بالتفصيل.
- مؤلفات تناولت تاريخ تونس: الشيخ عبد العزيز الثعالبي في كتابه "تونس الشهيدة"، و"صفحات من تاريخ تونس" للشيخ محمد بن الخوجة.
- آثار الشيخ ابن باديس: وإن كانت أقل ثراء وكثما من آثار شيخه ابن عاشور، لكنها تتناول بوضوح الشيء المراد، وأهمها مقالاته المنشورة في الجرائد، ويدخل في هذا الإطار آثار جمعية العلماء، مثل جرائدها، وإصداراتها مثل "سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين".
- ما كتب عن ابن باديس: الدكتور عبد العزيز فيلاي ومؤلفه "وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة ابن باديس الدراسية"، ومادة الكتاب مبنية على الدفتر الدراسي للشيخ ابن باديس حين كان يزاول دراسته بجامع الزيتونة، د/عبد الكريم بوصفصاف في كتاب "الفكر العربي الحديث والمعاصر" وتناول مقارنة بين الشيخين محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس.

- مؤلفات تناولت تاريخ الجزائر: وأبرزها مؤلفات الأستاذ أحمد توفيق المدني "كتاب الجزائر"، "جغرافية القطر الجزائري"، "الحركة الوطنية الجزائرية" للدكتور أبو القاسم سعد الله، "جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر 1908-1954" للأستاذ رابح فلاح.

والذي لمسنه فيما سبق في المصادر والمراجع التي كتبت حول الشيخين؛ ملاحظتين:

- الميل الشديد والانحياز الفاضح للشيخين، حتى أن كتاباتهم لا تتناول من قريب أو بعيد ما قدح به الشيخين من أخطاء، فعلى الرغم من عظمتهم، وعملهما الذي تنوء به العصبة من الرجال، إلا أنه من غير المعقول ألا تكون لهما مثالب، ولو من قبيل "حسنة الابرار سيئات المقربين"!
- أغلب المراجع تتناقل المعلومات عن بعضها أو عن المصادر الأصلية دون تحليل أو تدقيق، فتجد مثلاً الأخطاء في مقابلة التاريخين الهجري والميلادي تتكرر بنفس الصيغة... وغيرها.

خطة البحث:

وبعد تحصلنا على المادة العلمية للموضوع، الكفيلة بالإجابة على إشكالية البحث، حددنا له الخطة المتمثلة في مقدمة وثلاثة فصول، ففي الفصل الأول تناولنا واقع التعليم في تونس والجزائر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وذلك للوقوف على الوسط التعليمي الذي نشأ فيه ابن عاشور وابن باديس، ومعرفة مدى تأثير مجهودهما التعليمي في تغيير الوضع، أما الفصل الثاني وهو عبارة عن استعراض عام لسيرة الشيخين، خصوصاً في ما يخص مجال التعليم، من بداية تلقيهما للمعارف، وعوامل نبوغهما العلمي، وغيرها، وخصصنا الفصل الثالث لجهود الشيخين في مجال التعليم، وما عملاه علمياً وعملياً للنهوض به، وما تحمله من اعباء جسام في سبيل ذلك، وأهم النتائج المتوصل إليها، والعراقيل التي حالت دون بلوغهما المرام الذين توخاه، وأهيننا الدراسة بخاتمة تضمنت حوصلة للدراسة، وإيراد لأبرز نتائجها، ومحاولة للإجابة عن الإشكالية المطروحة.

وبالنسبة للمقارنة فقد وجدنا -فيما اطلعنا- ثلاث طرق، أولاهما جعل فصل في آخر الدراسة للمقارنة بين الشخصيتين، والثانية هي المقارنة في ثنايا الحديث عن الشخصية الثانية، والثالثة هي المقارنة في آخر كل فصل، ولم ترق لنا الطريقتان الأولتان فاستبعدناهما، لأننا رأينا فيهما الإطالة والتكرار، واستقر رأينا على الطريقة الثالثة.

منهج الدراسة:

والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي لوصف الأحداث كما استخدمنا آلية المقارنة، لملائمته -حسب رأينا- لمثل هذه الدراسة، لأنها اعتمدت كثيرا على كتابات الشيخين، خصوصا أثناء الحديث عن جهودهما التعليمية، فوجب سردها ثم استخراج العناصر المشكلة لأقوالهما، ومن ثم بناء الفكرة المرادة، وفي الأخير المقارنة بين الشخصيتين.

الصعوبات والعراقيل:

إن من أبرز ما واجهنا من مصاعب في إعداد هذا البحث كما نأمل ونشتهي: عامل الوقت، مقابل المسؤولية الملقاة على عاتقنا، باعتبار أننا بصدد إنجاز مذكرة تخرج لمستوى شهادة الماستر، فالفترة المحددة بالكاد كفتنا، حتى أننا أصبحنا نمكث أكبر هزيع من الليل في التقييش والتأليف، والكتابة والتصنيف، ويحدونا قول الوزير المغربي:

أَلَيْسَ مِنَ الْخُسْرَانِ أَنْ لَيَالِيَا *** تَمُرُّ بِلاَ عِلْمٍ وَتُحَسَبُ مِنْ عُمْرِي

وكذلك ثراء وكثرة المادة العلمية، التي تناولت الشخصين بالبحث، ووجوب الإطلاع على أقصى ما نستطيعه، وكلما ازددنا قراءة ازددنا توغلا في الموضوع وتشعبا.

كما أننا بدأنا بشيخ الإسلام ابن عاشور فأفرغنا الجهد فيه، ولهجوم أجل الانتهاء، لم نستطع بذل نفس الجهد في الجزء المخصص للعلامة ابن باديس.

أخيرا:

لا يفوتنا هنا أن نتقدم بجميل عبارات الشكر والامتنان، للدكتور محمد السعيد عقيب المشرف على هذه المذكرة، عرفانا بمجهوداته في تصحيح ما وقع في هذه البحث من خطأ، ومحاولته لتفادي كل زلل، وتوجيهه لنا حتى خرج في هذه الحلة، دون أن ننسى التوجه بالشكر الجزيل إلى الأساتذة أعضاء اللجنة المتفضلة بدراسة ومناقشة بحثنا المتواضع، راجين أن يكون في مستوى التطلع.

وفي نفس الإطار أتوجّه بكامل التقدير للدكتور **علي غنايمية**، الذي وطئت معه أول خطوة في مجال البحث، من خلال مذكرة الليسانس، ومازالت توجيهاته نبراسا لي في بحوثي.

وفي النهاية نقول أن كل عمل إنساني مهما بلغ شأوه، وعلا صيته، وتناولته الأفواه بالثناء، معرض للخطأ والنقصان، ناهيك بهذا البحث المتواضع، فنكون ممنونين لمن رامه بالنقد والتصحيح لتعميم الفائدة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

واقع التعليم في تونس والجزائر

في النصف الثاني من القرن 19 م وبداية القرن 20 م

واقع التعليم في تونس.

- التعليم العربي.
- التعليم الفرنسي.
- التعليم الفرنسي-العربي.
- واقع تعليم المرأة.
- مسؤولية التعليم.
- محاربة اللغة العربية.
- إصلاح التعليم.
- من معوقات إصلاح التعليم.

واقع التعليم في الجزائر.

- سياسة تجهيل الجزائريين.
- أهداف السياسة التعليمية الاستعمارية.
- المنظومة التعليمية.
- التعليم الرسمي.
- التعليم الحرّ الجزائري.
- إرهاصات النهضة بالتعليم وبداية الإصلاح.

خلاصة الفصل الأول.

واقع التعليم في تونس

في أواخر القرن 19م وأوائل القرن التالي، كان الجهل يسود الغالب من أهل البوادي، والامية تحتاج أغلب الأوساط الشعبية في الحواضر، ففي سنة 1917م دُعي 1500 من الشباب التونسي للخدمة العسكرية، فكان منهم 52 فقط من يحسنون قراءة إحدى اللغتين العربية أو الفرنسية ⁽¹⁾ ، وهذا برغم نشاط جامع الزيتونة، وبقية المؤسسات التعليمية التي شكّلت تعددا غير متجانس.

حيث اتسم التعليم بتعدد بنيته وتباينها، وهذا التعدد أفرزه التنوع العرقي واللغوي والديني للسكان بتونس من جهة، ثم كان دور سلطة الاحتلال في تكريسه وتوسيعه وتقنيته من جهة أخرى، ولم تقف عند ذلك، بل استعملته سلاحا للولوج من خلاله إلى عمق الشعب التونسي وإخماد حركات المقاومة، واستمر هذا التعدد إلى استقلال تونس.

وكانت مدارس التعليم موزعة بين القطاع العام والقطاع الخاص، أما مدارس القطاع الخاص فهي تلك المدارس التي انشأت بمبادرات خاصة قام بها الأهالي أو الجاليات المقيمة بتونس، وهي:

- كتاتيب المسلمين الخاصة، ومدارسهم القرآنية.
- لليهود تعليم تقليدي يشرف عليه أئمة، وتعليم عصري يتبع الرابطة اليهودية.
- والأوروبيون لهم مدارس ذات صبغة دينية تشرف عليها الإرساليات المسيحية، وأخرى لائكية ⁽²⁾ ، وقد أُتبعَت هذه المدارس لاحقا بإدارة التعليم العمومي ⁽³⁾.

وكلٌ من المدارس السالفة، تستعمل البرامج التي تحقق أهدافها، أما الهيئات التعليمية العامة فهي كالآتي:

¹ عبد العزيز الثعالبي: تونس الشهيدة، تر سامي الجندي، ط1، دار القدس، بيروت - لبنان، 1975م. ص 64. وأيضا: التليلي العجيلي: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1992م. ص 251.

² بدأ هذا التعليم بعدما أصبحت تونس تحتوي على **جاليات أوروبية** ذات تأثير اقتصادي وسياسي مهم، وعمل التنافس الفرنسي الإيطالي لاحتلال البلاد على توسيعه، إذ عملت حكومة البلدين على تشجيع إنشاء المدارس التي تعلم لغتها، بهدف التغلغل في وسط المجتمع ونشر أفكارها، لاستعمالها كورقة رابحة للفوز **بالإيالة التونسية**.

³ أحمد القصاب: تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، تع حمادي الساحلي، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، 1986م. ص 291-293. وأيضا: علي محجوبي: انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تع عمر بن ضو وحليمة قرقوري وعلي محجوبي، سراس للنشر، تونس، 1986م. ص 143. وكذلك: مصطفى بن تمسك (أستاذ باحث في الفلسفة): مقال بعنوان "تطور التعليم في تونس من التعدد إلى التوحيد. من موقع منديات مكتبتنا العربية - تاريخ الاطلاع 2014/02/17.

1- التعليم العربي:

1-1 التعليم الإسلامي العربي "الزيتوني":⁽¹⁾

يمرّ هذا التعليم بمراحل تبدأ بكتاب المساجد أو الزوايا أو فروع الزيتونة، وينتهي بالانخراط بالجامع الأعظم، وأبرز محاور هذا التعليم، العلوم الدينية والوضعية، ويخرج هذا التعليم القضاة والمفتين والعدول والمدرّسين والمؤدّبين.

وهو أبرز مواطن التعليم في تونس، ومراتبه ثلاث؛ ابتدائية التي تنتهي بشهادة الأهلية، متوسطة بشهادة التحصيل، والمرتبة العالية التي تتوّج بشهادة العالمية، وكلّها لا ترتبط بسن معيّنة للتلميذ.⁽²⁾

1-1-2 نظام التعليم بالزيتونة:

إن طريقة إدراج العلوم بالزيتونة غير مضبوطة، وتتم بطرق مختلفة هي:⁽³⁾

- طلب التلامذة من الشيخ إقراءهم كتاب يعيّنه، وهي أبرز الطرق.
- الانتقال التلقائي بختم كتاب إلى كتاب أرقى منه في نفس العلم، ويرتقي نفس الطلبة مع الكتاب
- يقع اختيار الكتاب من طرف الشيخ والتلامذة يوافقونه عليه.
- تقترح نظارة الجامع دروسا معيّنة.⁽⁴⁾

والمدرسين بالجامع على طبقتين أولى وثانية بالإضافة الى المتطوعين⁽⁵⁾ ، فمدرسي الطبقة الأولى عددهم 30 نصفهم مالكية ونصفهم حنفية، وتنتخبهم نظارة الجامع من مدرسي الطبقة الثانية⁽⁶⁾ ، فإذا أشكل عليهم الأمر بتساوي مراتب المرشحين، أجروا لهم مسابقة تحدد الأجدر منهم، أما التدريس ضمن

¹ بما أن التعليم الزيتوني هو عمدة التعليم بتونس وأبرزه وأكثره شيوعا وانتشارا، فستناوله بشيء من التفصيل مقارنة بأنواع التعليم الأخرى.

² محمد بن الخوجة: صفحات من تاريخ تونس، تح حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1986م. ص ص 290-292. وكذلك: أحمد القصاب: المرجع السابق. ص ص 312-313.

³ محمد بن الخوجة: المصدر السابق. ص 136.

⁴ إن الترتيب الوارد لهاته الطرق، حسب كثرة استعمالها. محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ المصدر السابق، ص 136.

⁵ المتحصلين على شهادة التطويع من الزيتونة.

⁶ أحدثت هذه الطبقة ضمن اصلاحات الجامع بالأمر العلي الصادر سنة 1848/1265م، وعدد أساتذة هذه الطبقة 21 مدرسا. محمد الحبيب ابن الخوجة: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور، "3 أجزاء"، الدار العربية للكتاب، تونس، ج1، 2008م. ص 169. وأيضا: محمد بن الخوجة: المصدر السابق. ص 293.

الطبقة الثانية فتنظم له مسابقة، ولكن فيها من التسهّل ما مكّن عديمي الكفاءة من التصدّر للتدريس ⁽¹⁾، أمّا المدرّسين المتطوّعين فبمجرد حصول التلميذ على شهادة التطويع، يُرخص له الإقراء في جامع الزيتونة.

لم يتجاوز عدد تلاميذ الزيتونة ستمائة تلميذ سنة 1881م، وفي العادة يبلغ عددهم بين الثمانمائة إلى حوالي ألف كل عام، منهم زهاء الخمسمائة في المرحلة الابتدائية، وحوالي الأربعمائة في المتوسطة، والمائة في التعليم العالي ⁽²⁾، أما أغلب إقبال التلاميذ فكان على الكتابات التقليدية التي كانت تضم أواخر 19م حوالي 23000 تلميذ، ويتلقّى الطلبة التعليم مجاناً، حيث لعبت الأوقاف ومساعدات المحسنين دوراً هاماً في بقاءه، بإنشاء بيوت الطلبة ⁽³⁾ والإنفاق عليها، فقد كان في الحاضرة ⁽⁴⁾ تونس وحدها 22 بيتاً للطلبة تحتوي على حوالي 500 غرفة لإيواء الطلبة المعوزين. ⁽⁵⁾

أما عن **كيفية التدريس** فيتعلّق التلاميذ حول الشيخ، ويصلون إلى المائة والمئتان في بعض الدروس، وربّ درس لا يحضره غير واحد، ولهم احترام واجلال لشيخوهم، وقد تقع منهم بعض التجاوزات، كتزوير شهادات على دفاترهم، وفي هذه الحالة تحجز النظارة دفتر المدّلس، لكن هذا التجاوز قلّما يحدث، فأغلبهم حسن السيرة، والمدرّس لا يحيط بأسماء تلامذته، ولا بحالة سيرتهم العلمية، ولا أيام غيابهم. ⁽⁶⁾

1-2 مدارس القرآن العصرية:

سبب ظهورها تلك سلطات الاحتلال في قبول التونسيين بمدارسها، ثم كان مؤتمر شمال إفريقيا بباريس سنة 1908م بمشاركة وفد تونسي، فعرض أحد أفراده وهو الأستاذ خير الله بن مصطفى إصلاح الكتابات وتعميمها، لكن زملاءه المتأثرين بالثقافة الغربية وعلى رأسهم البشير صفر ⁽⁷⁾ وعلي باش حانية، عارضوا اقتراحه بزعم أن اللغة العربية لا تصلح لتدريس العلوم العصرية، مما حدا بخير الله القيام بمبادرة تدعم فرص التعليم أمام الأطفال باللغة العربية لبرامج المدرسة العربية-الفرنسية، وثبت بها صحّة

¹ محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ "التعليم العربي الإسلامي"، ط3، دار سحنون، تونس، 2010م. ص 208.

² هذه الأعداد كانت في موسم 1909-1910م، وفي موسم 1948-1949م بلغ 988 تلميذ. الحبيب ابن الخوجة: مصدر سابق. ص 209.

³ تدعى هاته البيوت بالمدارس، وأقدمها المدرسة **الشماعية** ثم **التوفيقية**، وكلاهما من القرن 7هـ. محمد بن الخوجة: المصدر السابق. ص 285.

⁴ **الحاضرة**: من الحضر عكس البدو، وتطلق على كبريات المدن، وفي الغالب على عاصمة البلاد وقاعدته.

⁵ عبد العزيز الثعالبي: المصدر السابق، 56. وكذلك: محمد بن الخوجة: المصدر السابق. ص 285.

⁶ الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح...؟ ص ص 141-142.

⁷ **محمد البشير صفر**: ولد بتونس 1280هـ وزاول تعليمه **بالصادقية** منذ 1293هـ وأتمّ تعليمه بفرنسا واشترك في إصدار جريدة «**الحاضرة**» وفي تأسيس **الجمعية الخلدونية** سنة 1314هـ ودرّس بها مادة التاريخ اتصل **بالشيخ محمد عبده** أثناء زيارته إلى تونس وكانت وفاته سنة 1335هـ/1917م بلقاسم الغالي: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور- حياته وآثاره، ط1، دار ابن حزم، بيروت- لبنان. 1417هـ/1996م. ص 36.

رأيه، فأنشأ مدرسة بمسمى "المدرسة القرآنية العصرية" أو "الكتاب العصري"، تستعمل الكتب المدرسية المطبوعة بمصر، ثم تتالت المبادرات على شاكلتها، وشجعتها سلطة الاحتلال بضغط من المعمرين لإبعاد التلاميذ التونسيين عن تعلم الفرنسية.⁽¹⁾

2- التعليم الفرنسي:

1-2 المدارس الفرنسية:

في بداية عهد الاحتلال وبسعي من روستان وجول فيري لبعث التعليم الفرنسي، أحدث المقيم العام بول كامبون Paul Cambon إدارة التعليم العمومي، المعروفة لدى التونسيين بإدارة العلوم والمعارف، وهذا في 28 جمادى الآخرة 1300 / 06 ماي 1883م، وعهد برئاستها للمستعرب لويس ماشويل Louis Machuel "أستاذ اللغة العربية بوهرا"، وبدورها بدأت هذه الإدارة بتأسيس مدارس عربية-فرنسية للأهالي، وتوسيع نطاق المدارس الفرنسية، وهي مفتوحة أمام الأطفال الفرنسيين وبقية الأوروبيين وأطفال اليهود وبعض أطفال الأعيان، والغرض منها تمكين الفرنسيين من تلقي تعليمهم، بالإضافة إلى نشر اللغة والثقافة الفرنسية بين أوساط الجاليات الأوروبية لفرنستها فتصبح تحت النفوذ الفرنسي وبالتالي تتجنب صعوباتهم، ومن أعمال ماشويل (1883-1884):

ألغى اللغات الأجنبية من التدريس بالمدرسة الصادقية عدا اللغة الفرنسية التي كرس هيمنتها، واستدعى البعثة العلمية التونسية⁽²⁾ من فرنسا، وإحالتها إلى كلية سان شارل⁽³⁾، ثم ألغيت البعثات تماما خشية تأثر أفرادها بالروح الفرنسية، كما أنشأ ماشويل مدارس فرنسية-عربية في الحواضر الكبرى بالبلاد، وأسس مدارس فرنسية في أماكن تواجد الأوروبيين.⁽⁴⁾

¹ أحمد القصاب: المرجع السابق. ص 330-331. وأيضا: تقرير خير الله بن مصطفى نقلا عن: مصطفى بن نمسك: المقال السابق.

² البعثات العلمية: تقوم الصادقية بإيفاد الطلبة المتفوقين قصد إكمال تعليمهم في جامعات الآستانة، باريس، القاهرة، دمشق، بغداد، موسكو حسب تخصصهم، ومن أعضاء بعثة باريس: البشير صفر "رئيس البعثة"، يونس حجوج، أبو بكر زروق، محمد القلال، العربي بن عمر، محمد الجنادي، حسن بن وحشية، محمد المعتمري...، وإلتزام دراسة اللغة التركية كانت بعثاتها للآستانة ومن أعضائها: رشيد بوعمود، الطاهر ثاتب، محمد بن يحيى... محمد الحبيب ابن الخوجة: المصدر السابق، ص 297-175 محمد بن الخوجة: المصدر السابق. ص 319.

³ تقع بتونس العاصمة، كان يشرف عليه الآباء البيض، عرف لاحقا بمعهد كارنو، ثم أحيل إلى الحكومة التونسية وسمي معهد بورقيبة.

أحمد القصاب: المرجع السابق. ص 304.

⁴ ريشارد ماكن: (لوي ماشويل والاصلاح التربوي بتونس خلال السنوات الأولى للحماية الفرنسية)، المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر، ع 03 جانفي 1975م، تونس. ص 63. وأحمد القصاب: المرجع السابق. ص 294، 303. وكذلك: عز الدين معزة: المرجع السابق. ص 67.

ويتلقى التلاميذ في هذه المدارس المعارف والعلوم وفق المناهج الفرنسية، وقد بلغت هذه المدارس في 1883-1884م، 24 مدرسة جلها رهبانية تسيّرّها جمعيات دينية مسيحية، تضم 3907 فرنسيين وإيطاليين ومالطيين ويهود وعدد التونسيين 195، وأغلب التلاميذ اليهود يقصدون مدارس الرابطة اليهودية، وفي سنة 1890م بلغ عدد المدارس 83 منها 04 معاهد ثانوية. (1)

وفيما يلي إحصاء لعدد التلاميذ في المدارس الفرنسية أواخر القرن 19: (2)

السنة	التلاميذ التونسيين	التلاميذ الأوروبيين واليهود ³
1883	150	/
1885	474	4390
1889	1765	7307

وبضغط من المعمرين على حكومة الاحتلال لتخفيض أو إلغاء تعليم الفرنسية للأهالي، وإعطاء صبغة مهنية بحتة لدراساتهم، تم غلق عشر مدارس في الأماكن التي يقطنها المسلمون، وتخفيض عدد الطلبة التونسيون، الذين شجعتهم على الاكتفاء بالتعليم العربي التقليدي، ويصرح مدير التعليم العمومي: ((لا يوجد حي يقطنه المعمرين إلا وفيه مدرسة فرنسية على الأقل، بينما يوجد كثير من المراكز العربية دون مدرسة))، مع العلم أن هذا التعليم يتحمل أعباءه التونسيون، فكان تناقص عدد الطلبة التونسيين: (4)

السنة	تونسيين	فرنسيين	إيطاليين	يهود
1897	4665	2683	2832	4241
1899	3820	3157	3526	3747
1902	3061	4301	3526	4368

كما بدأ تعليم التونسيين منذ 1903م في المدارس الفرنسية، يتجه لتخريج يد عاملة فنية، وموظفين مؤهلين خصوصا في الترجمة، وأنشأت لذلك مصلحة للتعليم المهني بإدارة التعليم العمومي، تشرف على عدد من المدارس للتدريب الزراعي والصناعي. (5)

¹ محجوي: المرجع السابق. ص 143 وكذلك: القصاب: مرجع سابق. ص ص 295-296.

² علي محجوي: المرجع السابق. ص 144.

³ نسبة الأوروبيين 03% من مجموع السكان.

⁴ علي محجوي: المرجع السابق. ص 144. وأيضا: أحمد القصاب: المرجع السابق. ص ص 299-300.

⁵ المرجع نفسه. ص 301.

2-2 المدرسة العلوية:

المعهد العلوي "المدرسة العلوية"، مدرسة ابتدائية عليا، لتكوين مؤهلين لشغل الوظائف المتوسطة بالإدارة التونسية، كالتعليم والبريد والمالية والأشغال العامة... إلخ، وكذلك تكوين معلمين تونسيين مؤهلين لتدريس اللغة الفرنسية لسكان تونس، لكن عنصرية الاحتلال كانت حاضرة، فمثلا يتم ترتيب التلاميذ وقت الدخول والخروج، فالفرنسيون أولا، يليهم الايطاليون، ثم اليهود، وأخيرا المسلمون، ونفس الأمر بالنسبة لتوزيع الوظائف، إذ أن الإدارة تفضل الأجنبي على التونسي ولو كانوا يحملون نفس الشهادة. (1)

3- التعليم الفرنسي-العربي:

وهذا التعليم منه ما كان تونسي المنشأ والأهداف، كالمدرسة الصادقية والجمعية الخلدونية، ومنه ما كان من إنشاء إدارة التعليم العمومي، ضمن سياسة حكومة الاحتلال، مثل المدرسة التأديبية وغيرها:

3-1 التعليم الفرنسي-العربي "التونسي":

3-1-1 التعليم الصادقي:

تأسست المدرسة الصادقية يوم 04 ذو الحجة 1221هـ/ 13 جانفي 1875م، ضمن سياسة إصلاح التعليم، من قبل رائد الإصلاح خير الدين باشا الوزير الأكبر (1873/1290-1877م) ومساعدة القطاع الخاص، جعل مقرها بمحل "قشلة الزنايدية" (2)، وتولى رئاستها (3) أمير الأمراء العربي زروق (4)، ويتلقى طلبتها لمدة ست سنوات برنامجا مثقلا وامتحاناته مشددة، فبالإضافة إلى العلوم الشرعية والعربية، تدرس العلوم العصرية والترجمة واللغات "التركية، الفرنسية، الإيطالية، الإنجليزية" (5)، وبها أساتذة اجانب للغات

¹ أحمد القصاب: المرجع السابق. ص 294-303. وأيضا: عبد العزيز الثعالبي: المصدر السابق. ص 63.

² ثكنة قديمة بنهج جامع الزيتونة، وفي سنة 1315هـ/ 1897م نُقِلَت الصادقية إلى مقرها الجديد الكبير الذي بنته من حرّ مالها. محمد بن الخوجة: المصدر السابق. ص 311-320.

³ تولى على رئاسة المدرسة بعد العربي زروق خمسة تونسيين وهم: أمير اللواء حسونة متالي، أمير اللواء عمر بن بركات، الأمير ألأي محمد القروي، السيد العروسي بن عياد، السيد الطاهر بن صالح، ثم آلت رئاسة إدارتها إلى الفرنسيين بدءا بالمستعرب دلماس Delmas سنة 1892/1310 إلى سنة 1912م حيث خلفه من هو أقل منه في فقه العربية وأخلاق أهل البلاد، بولون Bollon إلى سنة 1927م، ثم ميرا 1934م، وتمّ تعيين الأستاذ محمد عطية مساعدا لمديرها سنة 1934، ثم تولى إدارتها في الفترة 1944-1955م. محمد بن الخوجة: المصدر السابق. ص 320-321.

⁴ العربي زروق: رئيس المجلس البلدي بتونس، ورئيس الصادقية من نشأتها إلى ماي 1881م حيث استقال احتجاجا على انتصاب الحماية ببلادته بتوقيع معاهدة باردو الشهيرة، وترك البلاد إلى أن توفاه الأجل بالمدينة المنورة عام 1320هـ/ 1902م. محمد بن الخوجة: المصدر السابق. ص 312.

⁵ في عهد الاحتلال عمد ماشويل Machuel مدير إدارة العلوم والمعارف، إلى إلغاء اللغات الأجنبية من التدريس بالمدرسة الصادقية، وكُرّس هيمنة الفرنسية وهذا وفق سياسة الاحتلال الرامية للسيطرة على مفاصل المجتمع التونسي. محمد بن الخوجة: المصدر السابق. ص 319. وعزّ =

والعلوم الحديثة، كما يحتوي برنامجها على الرياضة البدنية والتدريب على السلاح الأبيض، وبها طبيب خاص.⁽¹⁾

بلغ عدد تلاميذ الصادقية في أول عهدها حوالي 150، وفي سنة 1356هـ/1937م بلغ عددهم 630 تلميذ، منهم 330 في مقرها الرئيسي بالعاصمة، والباقي في فروعها، يتلقون التعليم مجاناً سواء طلبة النظام الداخلي أو الخارجي، إذ جعل لها القطاع الخاص دخل ثابت قُدِّر سنة 1920 بحوالي 300 ألف فرنك، ولها أوقاف كثيرة وموارد، امتدت لها يد حكومة⁽²⁾ الاحتلال.⁽³⁾

تخرّج أول فوج من الصادقية 1882م، والتحقوا بالمدارس الثانوية، ومنهم من تابع دراسته في أوروبا ضمن البعثات العلمية، ووقت الاحتلال كان 12 من خريجي المدرسة في ثانوية سان لوي في باريس، وأبرزهم محمد البشير صفر ومحمد الاصرم وعلي باش حانبة، وأغلب وزراء الدولة من خريجي المدارس العصرية وبالأخص الصادقية.⁽⁴⁾

وفي 26 شوال 1323هـ/ 23 ديسمبر 1905م تأسست جمعية قدماء المدرسة الصادقية برئاسة المترجم العدلي خير الله بن مصطفى، وسعت إلى التقريب بين خريجي المدارس العصرية وتلاميذ الزيتونة، وإلى تدعيم الثقافة الغربية والتقدم العلمي، حيث حاضر بناديبها أساتذة وشيوخ كبار من الزيتونة والصادقية والخلدونية، منهم الشيوخ ابن عاشور ومحمد النخلي ومحمد الأخضر حسين، والمحامين عبد الجليل الزاوش وأحمد الغطاس وحسن قلائي وعلي باش حامية⁽⁵⁾، وأطباء أمثال حسين بوحاجب وأحمد الشريف، بالإضافة إلى رئيس الجمعية خير الله بن مصطفى الذي ساعد على توسيع نطاق نشاطها.⁽⁶⁾

=الدين معزة: فرحات عباس والحبيب بورقيبة "دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، 1899-2000"، (أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر)، إشراف د/عبد الكريم صفصاف، قسم التاريخ كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010م. ص 67.

¹ محمد بن الخوجة: المصدر السابق. ص 312. وأيضا: خليفة الشاطر وآخرون: تونس عبر التاريخ، ج3 "الحركة الوطنية ودولة الاستقلال"، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية- تونس، 2005م. ص ص 63-65.

² توزيع كثير من الأراضي الزراعية الموقوفة للصادقية على المعمرين، كما تم اقتطاع زهاء مليوني فرنك من موارد المدرسة لشراء محلات، كان من المفترض ان تتحملها خزينة الدولة. عبد العزيز الثعالبي: المصدر السابق. ص 57 وأيضا: أحمد القصاب: المرجع السابق. ص 302.

³ الثعالبي: المصدر السابق. ص ص 56-63 ومحمد بن الخوجة: المصدر السابق، ص ص 312-322.

⁴ محمد بن الخوجة: المصدر السابق. ص 319. أنظر كذلك: أحمد القصاب: المرجع السابق. ص 326.

⁵ يعتبر علي باش حانبة (1876-1918م) وكيل أوقاف الصادقية والمسير لكثير من أنشطة الجمعية، خصوصا الثقافية. خليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق. ص 66.

⁶ أحمد القصاب: مرجع السابق. ص ص 336-338. وكذلك: خليفة الشاطر وآخرون: مرجع السابق. ص ص 63-66.

3-1-2 الجمعية الخلدونية:

تأسست في 18 رجب 1314هـ/1896م، وأهم من سعى لتأسيسها، خريجي المدارس العصرية، وأبرزهم محررين بجريدة الحاضرة⁽¹⁾ من خريجي الصادقية، عملوا على استصدار قرار من الوزير الأكبر بوكتور يقضي بإنشاء جمعية، ثقافية شعبية حرّة، لنشر الثقافة العصرية والاطلاع على مقومات الحداثة. ترأس الخلدونية عند تأسيسها الأستاذ محمد الأصرم (1858-1925م)، وساندها بادئ الأمر المقيم العام لويس ريني ميلي Louis René Millet، كما ساندها الشيوخ المنفتحون على الإصلاح أمثال الشيخ سالم بوحاجب، وعارضها الشيوخ المحافظون، لاعتقادهم أنها أداة دعاية لحضارة الغرب، وعارضها كذلك المعمرون المتزمتون⁽²⁾ بدعوى أنها مركز دعاية للجامعة الإسلامية⁽³⁾، وكثفوا ضغطهم بقيادة فيكتور دي كرنيار Victor de Carnières، على المقيم العام حتى تخلى عن دعم الجمعية.⁽⁴⁾

وأكبر دافع لإنشاء الخلدونية، حاجة تلامذة الزيتونة للعلوم التي لم تدرج في برامج تعليمهم، وهو ما بينه الشيخ بوحاجب في حفل افتتاح الجمعية بحضور وزراء وعلماء، ودأبت على توسيع نطاق المعارف، بتقديم محاضرات باللغة العربية في الحساب والمساحة والجغرافيا والتاريخ، ثم مبادئ الطبيعيات والكيمياء، على ألا يكون فيها ما يناقض العقيدة.⁽⁵⁾

كان مقر الجمعية بزقة ابن عصفور المواجهة لجامع الزيتونة، ويحتوي مقرها على قاعة كبرى لإلقاء الدروس والمحاضرات، وقاعة لاجتماع مجلس الإدارة، ومكتبة قيمة بلغ عدد مجلداتها 1200 وعدد قرئها حوالي 5000 قارئ، وأول محافظ لهذه المكتبة هو الأستاذ محمد البشير صفر (1856-1917م)، وفي نفس

¹ الحاضرة: جريدة أسبوعية سياسية أدبية، تأسست في 02 أوت 1888م/24 ذي القعدة 1305هـ من قبل الشباب التونسي المتحرر، بإدارة الأستاذ علي بوشوشة خريج الصادقية، وبمساهمة رجال الإصلاح أمثال الشيخ سالم بوحاجب والأستاذ البشير صفر والشيخ محمد السنوسي والشيخ صالح عباس، وبن الخوجة (صاحب الصفحات)... كما دعمها المقيم العام لويس ريني ميلي Louis René Millet، لسانها ناطق بالعربية، وتنادي بضرورة إصلاح أوضاع التونسيين المتردية. أحمد القصاب: المرجع السابق. ص 327 وما بعدها. وكذا الحبيب ابن الخوجة: المصدر السابق. ص 175.

² إن وقوف المعمرين ضد الخلدونية، منشؤه خوفهم من استفاقة الشباب التونسي، باطلاعه على محاسن الثقافة الغربية والقيم الانسانية، ومنها المساواة والحرية والعدالة وتقرير المصير... وبالتالي تطلعهم للمطالبة بتطبيقها في تونس. أحمد القصاب: المرجع السابق. ص 298 وكذلك محمد الهادي الشريف: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تع محمد الشاوش ومحمد عجيبة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993م. ص 233. وأيضا خليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق. ص 66.

³ الجامعة الإسلامية: نادى بها السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بإيعاز من جمال الدين الأفغاني، وتهدف إلى تمثّل المسلمين والوقوف في وجه التوسع الأوروبي خليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق. ص 65.

⁴ الثعالي: المصدر السابق. ص 59. وأنظر: خليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق. ص 63-65.

⁵ الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص 93-102 وأيضا: الهادي الشريف: المرجع السابق. ص 113.

الوقت كان الأستاذ صفر متزعم المحاضرين بالخلدونية، ومنهم الأساتذة: محمد الأصرم ومحمد بن الخوجة وعبد الرزاق الغطاس وعبد الحكيم دنقزلي والشيخ حمودة تاج ... وغيرهم.

أتاحت الجمعية لكل الراغبين من الطلبة وغيرهم، حضور الدروس في مقرّها، وقد بلغ عددهم في سنوات قليلة 160 تلميذا، غير أن أكثر طلبة الزيتونة أعرض عنها، إلى أن تقرر إدخال مواد الجغرافيا والتاريخ والحساب والمساحة، ضمن أسئلة امتحان شهادة التطويع بجامع الزيتونة سنة 1317هـ/1899م، فهرع الطلبة إليها، وأكثرهم التلامذة القرييين من امتحان التطويع، ولهذا عُدّت الخلدونية كفرع من جامع الزيتونة، خاصة منذ سنة 1315هـ/1897م في إطار ترتيب التعليم بالجامع، وكانت قبل ذلك تعمل كمدرسة حرّة، يتم تمويلها شعبيا وليس رسميا، وبعد أن تبنّتها الحكومة جعلت اللغة العربية فيها اختيارية ولا يمتحن فيها الطالب، كما أسست الخلدونية ثلاثة معاهد وهي معهد البحوث الإسلامية ⁽¹⁾ ومعهد الحقوق العربي ومعهد ⁽²⁾ الفلسفة. ⁽³⁾

سنة 1365/1947م تولى رئاسة الخلدونية العلامة الفاضل ابن عاشور، فطوّرها إلى معهد للتعليم الثانوي المعاصر يختم بشهادة البكالوريا، وبعد تخرّج طلائعه ⁽⁴⁾ الأولى، لم يرق الأمر لسلطة الاحتلال، فهددت بسحب رخصتها، بدعوى أنه لا يسمح لمؤسسة شعبية حرة أن تمنح لخريجها نفس شهادة المدارس الحكومية الرسمية، وتوجّ نشاط الخلدونية بمؤتمر الثقافة الإسلامية عقدته بتونس في ذي القعدة 1368هـ/1947م، ودعت إليه علماء ومفكرين وكتابا من أطراف العالم الإسلامي، ونجح نجاحا باهرا. ⁽⁵⁾

3-2 التعليم الفرنسي-العربي "إدارة التعليم العمومي":

3-2-1 المدرسة التأديبية (العصفورية):

تأسست سنة 1312هـ/1894م من طرف إدارة المعارف والعلوم، وجُعِل مقرها في مدرسة ابن عصفور ⁽⁶⁾، بزينة ابن عصفور المواجهة لباب جامع الزيتونة بسوق العطارين، والهدف من إنشائها هو

¹ تأسس هذا المعهد في ربيع الأول 1365هـ/جانفي 1946م، ويقدم 03 محاضرات أسبوعيا. الحبيب ابن الخوجة: مصدر سابق، ص 298.

² احتجب المعهدان الأخيران سريعا. محمد الحبيب ابن الخوجة: المصدر السابق، ص 198.

³ الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح؟ ص ص 93-94-100، 103. وأيضا: محمد الحبيب ابن الخوجة: المصدر السابق. ص ص 297-298.

⁴ من هذه الطلائع تكوّن الاساتذة المساعدين للشعب العصرية في المعاهد الزيتونية، ومنهم كانت البعثات العلمية للجامعات الشرقية والفرنسية.

محمد الحبيب ابن الخوجة: المصدر السابق. ص 298.

⁵ محمد الحبيب ابن الخوجة: المصدر السابق. ص ص 298-299.

⁶ ولهذا سميت بالعصفورية محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص 103.

إعداد مؤدبين⁽¹⁾ مؤهلين لتدريس التلامذة المبتدئين على أكمل وجه، بغرض تحسين التعليم الابتدائي ليلائم التعليم الثانوي في الزيتونة، وجعله تحضيريا له، لكن الحكومة لم توظف خريجيها.

و يتلقى طلبة المدرسة علوم: الفقه والنحو والبيان والصرف والتوحيد والحساب وتعليم الخط والرسم واللغة الفرنسية، وهذا لضبط وتحسين أساليب وطرق المعلمين، ويقوم بالتعليم فيها مدرّسين من الزيتونة، أما اللغة الفرنسية فلها معلمها الخاص، وترأس إدارتها أول أمرها العلامة الشيخ إسماعيل⁽²⁾ الصفايحي، ولكن ما لبثت أن ألغيت في 05 أكتوبر 1908م، لأن المقيم العام اعتبرها خطرة وهدامة.⁽³⁾

3-2-2 المدارس العربية-الفرنسية:

هي مدارس أسستها سلطة الاحتلال، فتحت أولها سنة 1905م بالعاصمة تونس، تعليمها مزدوج اللغة، موجّه لأطفال التونسيين المسلمين دون غيرهم، وهدفها مهني خالص، بغية تخريج يد عاملة حسب رغبة المعمرين، وإضافة إلى ما سبق فهو يهدف إلى التغلغل في وسط النشء لغويا وثقافيا، لتخريج جيل مطموس الهوية، منسلخ عن جذوره، يحتقر أجداده، ويخضع لحكومة المحتل.⁽⁴⁾

4- واقع تعليم المرأة:

أما عن وضع المرأة التعليمي، فقليل من النساء من كنّ يحسنّ القراءة والكتابة وبعض القرآن، فيعمدن لتعليم البنات بديارهنّ، القرآن والخياطة والتطريز، وغيرها من شؤون النساء التي تعلّمنها عن أمهاتهنّ، وتسمى هذه الدار "دار المعلمة"، وظهور أول مدرسة فرنسية للبنات بين 1898م و1902م، وأغلب مدرساتها فرنسيات، عدا مؤدب أعمى بلغ الثمانين يقرئ البنات القرآن كرمز لتعليم العربية، وأسندت رئاستها لأرملة موظف قديم لا تفقه شيئا عن التربية، ويحتوي برنامجها على سويغات في الاسبوع لتلقين الاخلاق والقراءة والمحفوظات والحساب، أما أغلب أوقاتها فهي مخصصة لتدبير شؤون المنزل وتربية الأطفال والتطريز والخياطة، وهو بهذه الصفة تعليم مهني تطبيقي، ولأن هذه المدارس تشكل تهديدا لهوية التونسيات، فقد تقدم الصادق زمري باقتراح استقدام معلمات سوريات لتعليم التلميذات بالمدرسة، وتعليمهن اللغة العربية إلى جانب الفرنسية.⁽⁵⁾

¹ المؤدب: معلم الصغار في **الكتاتيب القرآنية**، ويسمى في تلك الفترة بالتعليم الابتدائي. الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص 103.

² أصبح **الشيخ الصفايحي القاضي الحنفي** بحاضرة **تونس** سنة 1315هـ/1897م. محمد بن الخوجة: المصدر السابق. ص 193.

³ محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص 103-104 عبد العزيز الثعالبي: المصدر السابق. ص 59.

⁴ عبد العزيز الثعالبي: المصدر السابق. ص 62-65. وكذلك: مصطفى بن تمسك: المقال السابق.

⁵ الثعالبي: المصدر السابق. ص 66-67. كذلك: ابن عاشور: أليس الصبح..؟ ص 92. وأيضا: أحمد القصاب: المرجع السابق. ص 301.

وبلغ عدد المتمدرسات في المدارس الفرنسية عام 1920م حوالي 1000 تلميذة، والملاحظ عزوف أغلب التونسيين عن إدخال بناتهم في هذه المدارس، لاعتقادهم بأنها مفسدة للدين والأخلاق، ووصفه الثعالبي بأنه انتحار وسير نحو الهاوية، لهذا لجأ السكان في المدن إلى إنشاء بعض المدارس الخاصة بالبنات على نفقتهم، حيث بلغ عدد المتمدرسات بها سنة 1917م، حوالي 1050 تلميذة يتخرج منهن كل عام خمسة عشر طالبة، كل ما سبق يعتبر تعليم ابتدائي، أما الثانويات والكليات فلا توجد بها طالبة واحدة. (1)

5- مسؤولية التعليم:

قبل احتلال تونس كان بها وزارة للمعارف يتولاها حسين باشا (2)، بصفته مستشارا للمعارف وله نائبان، واستمر في وظيفته هذه إلى سنة 1303هـ/1886م حيث جرّد من وظائفه الحكومية (3) بضغط من القنصل الفرنسي روستان، وتمّ إلغاء خطة المستشارية، وبقي النظر لنائبه، ومع احتلال فرنسا للبلاد انشأت إدارة التعليم العمومي، وتسمى كذلك "إدارة العلوم والمعارف" سنة 1300هـ/ماي 1884م، وأسندت رئاستها إلى الفرنسي المستعرب لويس ماشويل فألحق به نائبي المستشار، مما يعني إلحاق التعليم بالزيتونة لإدارة ماشويل، ولم تستطع نظارة الجامع الأعظم أن تنبس ببنت شفة. (4)

6- محاربة اللغة العربية:

إن محاربة سلطة الاحتلال للتعليم العربي الإسلامي، إنما هو إعلان الحرب على مقومات التونسيين، وأبرزها الدين الإسلامي واللغة العربية، ومن بين إجراءات محاصرة اللغة العربية، استبدالها بالفرنسية في المصالح الحكومية والدواوين، وجعل اللغة الفرنسية ضرورية لمن يشد الوظيفة العمومية، فتهافت عنها السعاة لطلب الرزق خصوصا مع تراجع الزراعة والصناعة التقليدية بفعل السياسة الاستعمارية، وشيئا فشيئا أصبحت الفرنسية الأولى في البلاد بتزايد المعاملات الإدارية بها، وقد لقيت محاربة العربية وفرنسة المجتمع، معارضة شديدة من التونسيين وحتى من المستوطنين الذين يخشون منافسة أهل البلد لهم. (5)

¹ عبد العزيز الثعالبي: المصدر السابق. ص 67. كذلك: أحمد القصاب: المرجع السابق. ص ص 301-302.

² أمير الأمراء حسين باشا المعروف بالملوك من خريجي المدرسة الحربية، تلميذ وصديق الشيخ محمود قبادو، وله مجالسات مع العلماء منهم الشيخ محمود بن الخوجة والشيخ سالم بوحاجب، وله بضاعة من العلم واتجاه للإصلاح. محمد بن الخوجة: المصدر السابق. ص ص 127-167.

³ ساعته كان الوزير حسين بإيطاليا في مهمة متابعة ورثة نسيم شامة "قابض خزينة الدولة التونسية سابقا"، عن تصرف مورثهم في مالية الدولة، ويبلغ ما احتسله 80 مليون فرنك. محمد بن الخوجة: المصدر السابق. ص 127.

⁴ محمد بن الخوجة: المصدر السابق. ص ص 127، 167. وكذا: محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقریب؟ ص ص 107-108-216.

⁵ عز الدين معزة: المرجع السابق. ص 73. أيضا: أحمد القصاب: المرجع السابق. ص ص 296-297.

7- إصلاح التعليم:

بدأت بوادر الحركة الإصلاحية في النصف الثاني من القرن 19م، ببروز تحوّل فكري واجتماعي اتضح جليا أوائل القرن 20م، وذلك نتيجة مؤثرات داخلية وأخرى خارجية، أبرزها:

1-7 العوامل الداخلية:

- احتلال فرنسا للجزائر 1830م، مما أربع الباي وعصبته من ذوي الألباب.
- زيارة المشير أحمد باي (1253-1272هـ/1837-1855م) لفرنسا سنة 1840م، وما وجدته هناك من مظاهر التقدم والحضارة، وقارنه بوضع بلاده المهترئ.
- انشاء المدرسة الحربية وتدعى "البوليتكنيك" بباردو⁽¹⁾، وهي تمازج بين العسكرية والثقافية.
- محاولات رجال الحكم لإصلاح التعليم، ومنها أمر 27 رمضان 1258م/01 نوفمبر 1842م⁽²⁾، واصلاحات 1870/09/27م⁽³⁾، وكذلك مراسيم خير الدين باشا، منها أمر 1875/12/26م⁽⁴⁾، الصادر عن لجنة من المساندين للإصلاح أمثال الوزير بوعتور المفتي الحنفي احمد ابن الخوجة القاضي المالكي محمد الطاهر النيفر الشيخ عمر ابن الشيخ السيد العربي زروق.
- إنشاء المكتبات العامة، التي كانت مكان لقاء النخبة ومركز إشعاع فكري، ومنها المكتبة الأحمديّة⁽⁵⁾، والمكتبة الصادقية "العبدلية"⁽⁶⁾، وغيرها.

¹ تأسست في 05 مارس 1840م بمنطقة باردو بالعاصمة تونس، باسم مدرسة البوليتكنيك، انتدب لها أساتذة فرنسيين وإيطاليين وبريطانيين وتونسيين أشهرهم ناظر المدرسة الشيخ محمود قبادو، وهي ذات صبغة عسكرية، لكنها تدرس العلوم العصرية، وعلى الرغم من أنها لم تؤدي دورها المنوط بها، إلا أنها تركت أثرا فكريا طيبا ومهدت للإصلاح، خلقتها في نهجها الصادقية. بلقاسم الغالي: المرجع السابق. ص 184.

² أصدر هذا الأمر العلي المشير أحد باي، ويقضي بمجموعة أوامر منها: تنظيم سير الدروس بإلقاء درسين في اليوم لكل مدرس- تحسين رواتب الاساتذة-فرض الدوام- انشاء لجنة مكلفة بتسيير الشؤون العلمية للجامع "نظارة الجامع".

³ مضاعفة رواتب الاساتذة - تعيين مستشار للمعارف وهو الوزير حسين باشا(المملوك)، ونائبين عنه لمراقبة أحوال التعليم.

⁴ أهم ما جاء فيه زيادة بعض المواد كالحقوق والأدب والحساب والهندسة- تنظيم وقت الدرس-احداث دفتر متابعة لكل تلميذ-اعفاء الطلبة المتفرغين للعلم من ضريبة الجحى ومن الخدمة العسكرية، بالإضافة الى جعل الامتحان لنيل شهادة التطويع، لمن تابع دراسته بالجامع المدة المحددة، وشهد له الاساتذة المدرسين بذلك، وكان أول من شارك في هذا الامتحان الشيخ الطاهر ابن عاشور سنة 1317هـ/1899م، وهذه الشهادة تخوّل صاحبها للتدريس بالجامع. محمد الحبيب ابن الخوجة: المرجع السابق.ص174.

⁵ المكتبة الأحمديّة: تأسست في رمضان 1856 أو سنة 1840 هـ "حسب ابن الخوجة" واتبعت بالزيتونة، اشترى أغلب كتبها المشير أحمد باشا، وأضاف إليها مكتبة الاسرة الحسينية بجامع بيت الباشا، كما اشترى لها كتب كثيرة منها كتب الشيخ ابراهيم ارياحي بعد وفاته، وبها حوالي 20 ألف مجلد. بلقاسم الغالي: المرجع السابق.ص 184.

⁶ المكتبة الصادقية: نسبة للمشير الصادق باي (1276-1299هـ/1859-1882م)، وهي مشهورة باسم "العبدلية"، المعروف أن مؤسسها الوزير الاكبر خير الدين باشا يوم 18 ماي 1875م/1292هـ، وحبس عليها 1100 مخطوط من مكتبته الخاصة، واتبعها لجامع الزيتونة، لكن المرجح أن الوزير المذكور أعاد بعثها وتدعيمها لأن تأسيسها تمّ إبان العهد الحفصي. بلقاسم الغالي: المرجع السابق، ص185. ومحمد بن الخوجة: المصدر السابق، ص 289.

- بعث مؤسسات تعليمية لتدريس العلوم الحديثة، مثل الصادقية 1875م، ثم الخلدونية 1896م.
- ظهور الانتاج الصحفي الذي ساهم في عملية التوعية الجماهيرية، ومنه "الرائد" الجريدة الرسمية للدولة محرم 1277/1860م، وأول رئيس تحرير لها الشيخ محمد قبادو، جريدة الحاضرة 1888م أسسها علي بوشوشة، جريدة الزهرة 1890م محمد الصنادلي، سبيل الرشاد 1895م عبد العزيز الثعالبي... إلخ، وتبني عدد من هذه الجرائد أفكار المصلحين خصوصا فكر الشيخ محمد عبده⁽¹⁾.
- دعوات الواعين للإصلاح وجهودهم في سبيل ذلك، منهم: الشيخ الزاهد ابراهيم الرياحي، ومدير المدرسة الحربية الشيخ محمود قبادو، وشيخ الإسلام سالم بوحاجب، والشيخ المحقق محمد التّخلي، والمؤرخ أحمد بن أبي الضياف، والوزير المصلح خير الدين باشا... إلخ.⁽²⁾

7-2 العوامل الخارجية:

- تأثر المصلحين بتونس بدعوات وأفكار وآراء الأفغاني الذي زار الصادقية، ومحمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا ت 1935م، ومن خلال جريدة العروة الوثقى بكلكتا 1882م، ثم خلفتها مجلة المنار 1898م- التي انتقدت سياسة فرنسا والتعليم بتونس ألدع الانتقاد-، وما بثّاه من آراء إصلاحية ودعوات لإيقاظ العالم الإسلامي من سباته.
- زيارتي الشيخ محمد عبده لتونس، حيث كانت الأولى في الفترة بين 06/12/1884م و04 أو 24/01/1885م، فحاضر بالزيتونة، وتواصل مع الأوساط الثقافية والاصلاحية ونالت الزيارة استحسان المصلحين، ووجد منهجه للإصلاح قبولا لديهم، أما زيارته الثانية⁽³⁾ فكانت في جمادى

¹ محمد عبده بن حسن خير الله 1266-1323هـ/1849-1905م: من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، ولد في شنرا ونشأ في محلة نصر بمصر، درس بالأزهر ودرّس به، تصوف وتفلسف، تولى تحرير جريدة "الوقائع المصرية"، ولما احتل الانكليز مصر ناوهم، وناصر الثورة العربية، فنفي إلى بلاد الشام سنة 1881م، ومنها سافر إلى باريس، فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة "العروة الوثقى"، ثم انتقل إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف، ولم سمح له بدخول مصر عاد إليها سنة 1888م، وتولى منصب القضاء، ثم مستشارا في محكمة الاستئناف، فمفتيا للديار المصرية سنة 1317هـ، بدأ تفسير القرآن الكريم فتوفي ولم يتمه، فأكمّله تلميذه محمد رشيد رضا وسماه "المنار"، كما جمع رشيد رضا آثاره وأخباره وما قيل في رثائه في كتاب سّماه تاريخ الأستاذ الإمام. خير الدين الزركلي: المرجع السابق. ج 6 ص 252-253.

² الثعالبي: المصدر السابق. ص 54 وما بعدها. أنظر أيضا: بلقاسم الغالي: المرجع السابق. ص 26-32، 184. وأيضا: محمد الحبيب ابن الخوجة: المصدر السابق. ص 49-54 وكذلك: التليبي العجيلي: المرجع السابق. ص 252-253. وجمال محمود أحمد أبو حسان: الإمام محمد الطاهر بن عاشور "سيرة ومواقف"، المجلة الاردنية في الدراسات الإسلامية، مج 5، ع 2/أ، 1430هـ/2009م. ص 59.

³ عند زيارته هذه عرّج الشيخ محمد عبده على الجزائر لنشر أفكاره، ولما لمسه في بلاد المغرب من قابلية للإصلاح، وقرر زيارة المغرب الأقصى في زيارته الثالثة لكن المنية عاجلته. بلقاسم الغالي: المرجع السابق. ص 49.

الآخرة 1321هـ/09-24 سبتمبر 1903م حيث استقبله أصحاب الحاضرة ورجال الخلدونية، وأعجب بما عليه المصلحين التونسيين وشدّ على أيديهم، حيث نقل عنه تلميذه رشيد رضا قوله: ((إن التونسيين سبقونا لإصلاح التعليم، وما يجرون عليه في جامع الزيتونة خير مما عليه أهل الازهر))، وألقى محاضرة بالخلدونية عشية الأحد 1903/09/20م بعنوان "العلم وطرق التعليم".

- البعثات الطلابية التونسية لأوروبا، وهي بعثات المدرسة الصادقية.

- انشاء الدول الأوروبية للمؤسسات التعليمية الحديثة، وأهمها إيطاليا وفرنسا.

- زيادة ورود الجرائد المشرقية ⁽¹⁾ وانتقادها للوضع التونسي.

ومع وقوع البلاد تحت وطأة الاحتلال، ظهر للتونسيين شساعة البون بينهم وبين الأوروبيين، من تقدم وتفوق في شتى الميادين، ومنها الجانب العلمي، فكانت وخزة لهم، ونضج في أفكار الإصلاح، الذي بدأ يظهر مصطلحه في كل شيء، مثل إصلاح البناء، وإصلاح ماء الشرب وإصلاح التعليم الزيتوني... إلخ. ⁽²⁾

3-7 من معوقات إصلاح التعليم:

- رفض الشيوخ المتزمطين للتطور، ووقوفهم بالمرصاد للإصلاح بزعمهم أنه بدعة.
- تمكن الطرق الصوفية من إحكام قبضتها على خناق المجتمع، وزاد للطين بلة تأثيرهم على بلاط الحكم، فقد سجن الثعالبي شهرين بتهمة التطاول على الأولياء، وعزل الشيخ محمد شاكر عن التدريس بتهمة التعالي على الزوايا والطرق. ⁽³⁾
- نفور شيوخ الجامع من التقيد بالنظام والتزام التراتيب، وبقائهم على حرية التصرف كما كان اسلافهم، ومن الصعب على الإنسان ارتياد ما لم يُعوّد.
- عدم تمويل سلطة الاحتلال للمدارس العربية، التي اعتمدت على أهل البرّ والمؤسسات الخيرية وعطاءات أولياء التلاميذ، والأدهى أخذها من أموال وأوقاف المدارس وصرفها في غير وجهها. ⁽⁴⁾

¹ منها "ثمرات الفنون" الشامية، و"المنار، المؤيد، الأهرام، مصباح الشرق" المصريات.

² محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص 216. وكذلك: أحمد القصاب: المرجع السابق. ص 316، 324، 326. أيضا: التليبي العجيلي: المرجع السابق. ص 252-253.

³ ولاحقا ساهم إصلاح التعليم في ضعف صولة الطرق على المجتمع التونسي التليبي العجيلي: المرجع السابق. ص 251-256.

⁴ محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص 108، 205 أنظر أيضا: التليبي العجيلي: المرجع السابق. ص 256.

واقع التعليم في الجزائر

حسب التقارير الفرنسية فإن الأمية لم تكن شائعة بين المجتمع الجزائري أثناء احتلالهم للبلاد سنة 1830/1246م⁽¹⁾ ، ويذكر بعضهم أنها كانت أقل من نسبة الأمية في فرنسا، فهذا هو "فالاري-فاليزي" يقول: ((كل العرب تقريبا يعرفون القراءة والكتابة))، كما يذكر السيد "أوجين كومبس" في تقريره إلى مجلس الشيوخ الفرنسي بتاريخ 02 فيفري 1894م جاء فيه ((مما لاشك فيه أن التعليم في الجزائر كان خلال عام 1830م أكثر انتشارا وأحسن حالا مما هو عليه الآن، الأمر الذي لم يرض السلطات الفرنسية في الجزائر، فقد كانت هناك أكثر من ألفي مدرسة للتعليم الابتدائي والثانوي والعالي كان يتولى التعليم فيها نخبة من الاساتذة الأكفاء، كما أن الطلاب كانوا من الشباب الناهض المتعطش للعلوم والمعرفة هذا فضلا عن مئات المساجد التي كانت تعني بتلقين اللغة العربية لطلابها))⁽²⁾

فكان التعليم الابتدائي يمارس على نطاق واسع في الكتاتيب القرآنية، والمدارس القرآنية الملحقة بالمساجد، وقد وجد منها في قسنطينة سنة 1837م أي عند احتلالها، 79 مدرسة يتردد عليها 1350 تلميذا، وفي نفس السنة وجد في تلمسان 50 مدرسة قرآنية، ويدرس الأولاد في المرحلة الابتدائية: القراءة، الكتابة، حفظ القرآن، التجويد، المبادئ الأساسية للحساب.⁽³⁾

أما التعليم الثانوي والعالي فتتولاه مراكز تعليمية متنوعة، منها المدارس والمساجد والزوايا، التي شيدتها أهل العلم أو محبيه من الحكام والوجهاء والمحسنين، ومن هذه المراكز: مدرستي "سيدي الكتاني، وسيدي لخضر" بقسنطينة، ومدرستي "سيدي أيوب، الحسن باشا" في العاصمة، وزاوية "القليعة" وزاوية "بني سليمان"، وفي تلمسان "الجامع الكبير"، وجامع "سيدي العربي"، وفي بسكرة زاوية "سيدي عقبة"، وفي جرجرة زاوية "ابن علي الشريف" وبعض مساجد "بني مزاب"، وغيرها، ومواده: العلوم **النقلية** "التفسير، الفقه، الحديث، التوحيد، أصول الفقه"، والعلوم **العقلية**: القواعد، البلاغة، المنطق، الفلسفة، الحساب، الهيئة أو علم الفلك، التاريخ.⁽⁴⁾

¹ أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1956. ص 139.

² أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ج2، 1992م. ص60 كذلك: فرحات عباس: ليل الاستعمار، تر عبد العزيز بوباكير، دار القصبة- الجزائر، 2005م. ص 35.

³ حميد بن سالم: الثقافة الإسلامية ومكانة اللغة العربية في الجزائر قبل الاستقلال، مقال منشور بمجلة اللسان العربي ع 1، ص01، الرباط المغرب، 1964م، ص: 36.

⁴ حميد بن سالم: المرجع السابق. ص: 37- 38. وكذلك: مالك بن خليف: الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس، ط1، دار طليطلة، الجزائر، 1432هـ/2010م. ص70.

وفي هذا الصدد جاء في نفس التقرير السابق لكامبس: ((كان التعليم العالي يشمل في أرض الجزائر جمًّا غفيرا، من الناس المتعطشين للعلم والمعرفة يجلسون حول شيوخ علماء محترمين، لا يتلقون عنهم علوم الشريعة وقوانينها فحسب، بل يتلقون أيضا علوم الرياضيات والآداب والهيئة، فكانت نتيجة انتصار أسلحتنا أن تفرق الشيوخ والطلبة وضمحل التعليم العالي))⁽¹⁾

فقد كان بالجزائر عدد من المراكز التعليمية يفوق عددها 3000 بين كتاب ومسجد وزاوية، تؤدي دورها المنوط بها في تعليم النشء، مجانا دون مقابل وهذا بفضل أهل البر والاحسان الذين أوقفوا الكثير من أملاكهم وأموالهم على العلم وطلبته بكل ما يلزمهم من مسكن وكتب وإطعام.⁽²⁾

ولا يفهم مما سبق أنه تطور في العلوم، أو في المناهج التعليمية والتربوية، فقد كان يغلب عليها طابع التخلف عموما، لأن عملية التعليم متوارثة آليا منذ العصور الوسطى، شأنها في ذلك شأن المؤسسات الإسلامية الكبيرة، مثل الأزهر والقرويين، أو الزيتونة الأكثر تأثيرا في الجزائر، فقد وصف الدكتور شو Shaw⁽³⁾ التعليم بالجزائر إبان القرن 17م، وملخص تقريره أن التعليم ضحل للغاية، فالأطفال يذهبون إلى الكتاب في سن السادسة، ويمكنون به 3 أو 4 سنين يتعلمون القراءة والكتابة وقدر معين من القرآن وبعض الشعائر الدينية، والقلّة منهم يواصلون تعليمهم لمزيد من القرآن وبعض الشروح القديمة⁽⁴⁾، ومع حلول الاحتلال الفرنسي بدأت مرحلة جديدة من مراحل التعليم في الجزائر.

1- سياسة تجهيل الجزائريين:

إن مما يتّورّ العقول ويجلي البصائر، بعدم الرضوخ للاحتلال، وواجب الجهاد ضده، هو التسلّح بالعلم، لذلك عمد الاحتلال ضمن سياسته المقيتة، إلى إخماد صوته في البلاد، وما فتئ يبذل جهده لهدمه، بمعاول منها:

¹ أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المطبعة العربية، د م، د ت. ص 300 وأيضا: مالك بن خليف: المرجع السابق. ص 72.

² أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر. ص 139 ومالك بن خليف: المرجع السابق. ص 69-70.

³ الدكتور توماس شو Shaw, Thomas (1694-1751): طبيب ورحالة أمريكي، قام برحلة إلى إيالة الجزائر ومكث بها مدة طويلة (1783-1786م)، فجال فيها وساح، حيث اكتشف مناطق العاصمة، البلدة، مليانة، الشلف، مستغانم، معسكر، أرزيو، تلمسان، سطيف، ميلة، قسنطينة، عنابة، وانتهى بالقالة، وهكذا ترى أنه تنقل في ربوع الجزائر من غربها إلى شرقها، ودوّن رحلته في تقرير واف إلى حكومة بلاده، تمت ترجمته إلى الفرنسية وطباعته سنة 1830م.

⁴ Thomas Shaw: Voyage dans la régence d'Alger, ou Description géographique, physique, philologique, etc, Marlin-Paris, 1830. Pp 77-81.

القضاء على مؤسسات التعليم: المتمثلة في المساجد والزوايا ⁽¹⁾، إما بدمها أو بتحويلها إلى كنائس ⁽²⁾ أو بيعها وكرائها. ⁽³⁾

مصادرة الأوقاف: التي بدأ السطو عليها من بداية الاحتلال، ثم اتخذت منحى قانونيا بقرار "دي بورمون" ⁽⁴⁾ في 08 سبتمبر 1830م الذي يحدد ملكية الدولة ⁽⁵⁾، ثم تدعم بقرارات كان آخرها قرار 1873م الذي صادر نهائيا ما تبقى من أحباس المسلمين، وفي سنة 1869م بلغت الأموال الوقفية التي استولت عليها إدارة الاحتلال 230.000 فرنكا، كانت تغطي نفقات تيسير المرافق الدينية، ورواتب القائمين عليها من مديرين وقيمين، وعلى طلبة العلم. ⁽⁶⁾

إصدار القوانين المجحفة: التي تحدّ من النشاط التعليمي الحرّ، ومنها قانون الأهالي "الانديجينا" 1897م ⁽⁷⁾، الذي ينص على عقوبة من فتح محل ديني أو مدرسة للتعليم بدون إذن، وقبله قانون 18 أكتوبر 1892، الذي يمنع أي معلم مسلم من إدارة أو فتح مكتب لتعليم اللغة العربية إلا بترخيص مسبق، وإذا تقدم أحدهم بطلبه أمام الإدارة، فغالبا ما يكون الجواب كما يورد الرئيس فرحات عباس: ((إننا لسنا أهلا لها، لأننا قوم لا نقبل التربية ولا العلم))، أما قانون 24 ديسمبر 1904م، فإنه وضع شروطا لفتح هذه

¹ لأن هدم مسجد يعني هدم مدرسة، ومكتبة، ومكان للإرشاد والتوعية، ومأوى للطلبة... وغيرها. محمد مورو: الجزائر تعود لحمد ﷺ، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 1992م. ص 88.

² كان بمدينة الجزائر قبل الاحتلال 112 مسجدا بقي منها 05 مساجد، وحول أكبرها إلى كنائس، ومنها جامع كشناوة "حول كاتدرائية" وجامع علي بتشين "أصبح قديسة الانتصار"، ومنها ما حول إلى مراكز للشرطة وحتى اسطبلات للخيل، وهدم الباقي، ووقع نفس الشيء لزوايا المدينة، ومنها زاوية المولى حسن، وزاوية شختون...، وقس على ذلك المؤسسات الإسلامية في باقي المدن. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية. ج1/ص 251 و ج2/ص 62-63 وأيضاً: عبد الرشيد زروقة: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913-1940)، ط1، دار الشهاب، بيروت- لبنان، 1420/1999. ص 27.

³ أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر. ص 140-143 أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية. ج2/ص 61 عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانة للنشر والتوزيع، القبة- الجزائر، 2002م. ص 124.

⁴ دي بومون: قائد الحملة الفرنسية التي احتلت الجزائر 1830م، آمن السكان على أموالهم وأعراضهم وخصوصياتهم، ثم جعل المدينة نهباً لجنوده المرتقة.

⁵ وموجه استولى الاحتلال على أملاك الأتراك العثمانيين.

⁶ أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية. ج 1/ص 252 كذلك: عبد الرشيد زروقة: المرجع السابق. ص 26 وأيضاً: رابح فلاحي: جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر 1908-1954، (رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر)، إشراف د/عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ وعلم الآثار- كلية العلوم الانسانية والاجتماعية- جامعة منتوري- قسنطينة، السنة الجامعية 1428هـ/2007-2008م. ص 03.

⁷ قانون زجري أصدرته سلطة الاحتلال يوم 1897/12/21 في حق الجزائريين، ويحدد مجموعة من المخالفات وعقوبتها، واستمر هذا القانون المجحف إلى غاية 1931م. أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر. ص 325-329.

المدارس أهمها: عدم تدريس اللغة العربية وآدابها، ولا تاريخ الجزائر وجغرافيتها، ولا المواد العلمية والرياضية، وأن يكون المدرّس مواليا لإدارة الاحتلال. (1)

محاربة اللغة العربية: منذ الاحتلال اعتبرت العربية لغة أجنبية، ولما سمح لبعض الجزائريين بدخول المدارس سنة 1883م، كان تعليمهم فرنسيا بحتا، فاللغة هي الفرنسية، والوطن والتاريخ هو فرنسا وتاريخها المجيد...!! (2)

وكل ما سبق من إفساد يصفه أمام المجلس الوطني الفرنسي أحد نوابه سنة 1847م بقوله: ((إن المجتمع الإسلامي في إفريقيا الشمالية...))، كان يحتوي على عدد كبير من المؤسسات الدينية، مهمتها البرّ والاحسان، ونشر التعليم في جميع الوطن، وقد استحوذنا على مداخلها وحرّفنا أهدافها، وقضينا على الجمعيات الخيرية، وخربنا المدارس فهدت دعائم العرفان، وشتتنا الزوايا، فانطفأت حولنا مشاعل العلم)) (3)

ويصف "محمد فريد بك" الوضع التعليمي في الجزائر، بعد أن زارها سنة 1901م فيقول: ((كانت ربوع العلم أهلة بالطلاب وجوامع القطر الجزائري ملاءى بالمعلمين والمتعلمين، ودور الكتب عامرة (...)) واشتهر بين أهل الجزائر كثير من الكتبة والمؤلفين، إلى أن اخذت هذه الحالة تتبدل في أوائل القرن الماضي وكان (الفتح) الفرنسي الضربة القاضية على العلم وأهله، بسبب اشتغال جميع الاهالي بمحاربة المغيرين على ديارهم حقبة من الزمان (...)) وما أعقب تلك المقاومة من (...))، مهاجرة الكثير من علمائها (...)) ووضع الحكومة يدها على جميع الاوقاف الخيرية بلا استثناء، بما فيها المحبوسة على الجوامع والمدرسين والطلبة، مقابل ترتيب مبلغ زهيد في ميزانيتها لما بقي من الجوامع بعد أن حولت إلى كنائس، أو هدمت لإصلاح طريق أو بناء قلعة، أو استعملت ثكنة للجند، أو غير ذلك (...)) فأصبحت البلاد ولم يبق فيها من المتمدرسين والجوامع إلا ما يعد على الاصابع، وقلّ الطالب والمطلوب، وهجرت ربوع العلم، وخربت دور الكتب وصارت الديار مرتعا للجهل والجهلاء، وكادت تدرس معالم اللغة العربية الفصحى، وتطرفت إلى اللغة العامية الكلمات الاجنبية، بل أصبحت اللغة الفرنسية هي لغة التخاطب في العواصم، مثل وهران، الجزائر، قسنطينة، عنابة وغيرها من السواحل والثغور)). (4)

¹ فرحات عباس: المصدر السابق. 2005م. كذلك: عبد الرشيد زروقة: المرجع السابق. ص ص 25-31.

² جان بول سارتر: عارنا في الجزائر، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، دت. ص 18 أيضا: أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر. ص ص

140-141. وأيضا: عبد الرشيد زروقة: المرجع السابق. ص 27.

³ عز الدين معزة: المرجع السابق. ص ص 14، 61.

⁴ مالك بن خليف: المرجع السابق. ص ص 71-72.

1-2 أهداف السياسة التعليمية الاستعمارية:

ويبين سارتر Sartre⁽¹⁾ الهدف من الإجراءات السابقة، وهي جعل المسلمين شعبا من الأميين، وقد أثمرت سياستهم إلى حد بعيد، بالارتفاع الموهول لنسبة الأمية، التي وصلت إلى 92 % بين الرجال، أما النساء فنادرا ما تجد إحداهن تفك الخط، وهذا حتى العشرية الثانية من القرن 20م، وبهذا استحققت فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، لقب عهد الظلام بالنسبة للثقافة والتعليم.⁽²⁾

ونستطيع تلخيص الاهداف المتوخاة من سياسة التعليم التي انتهجها الاحتلال في الجزائر بما يلي:

- نشر الجهل والأمية على نطاق واسع.
- سلخ الشعب الجزائري عن هويته الإسلامية والعربية.
- عزل الجزائر عن العالم العربي والإسلامي.
- تهينة بعض الجزائريين، للقبول بالجنسية الفرنسية، والاندماج مع الوطن الأم، فرنسا !!!
- تكوين يد عاملة جزائرية، حسب رغبة المعمارين، مثل العمال في مجال الزراعة، وموظفين حسب متطلبات إدارة الاحتلال، كالمترجمين وسلك القضاء الشرعي...إلخ.

¹ **جون - بول شارل إيمارد سارتر Jean-Paul Sartre (1905 - 1980):** فيلسوف وروائي وكاتب مسرحي كاتب سيناريو وناقد أدبي وناشط سياسي فرنسي. بدأ حياته العملية استاذاً. عرف سارتر واشتهر لكونه كاتب غزير الإنتاج ولأعماله الأدبية وفلسفته المسماة بالوجودية. ويأتي في المقام الثاني التحاقه السياسي باليسار المتطرف، له آثاره أدبية وفلسفية عديدة، كان سارتر يرفض دائما التكريم بسبب عنده وإخلاصه لنفسه ولأفكاره ومنها رفضه استلام **جائزة نوبل** في الأدب سنة 1964م ولكنه قبل فقط لقب دكتور **honoris causa** من **جامعة أورشليم** عام 1976م.

دعم سارتر الثورة الجزائرية، وباقي حركات التحرر في **تونس والمغرب**، لكنه صمت أمام الجرائم الستالينية والانظمة الشيوعية، ودعمه المستميت **للصهيونية**، وله مؤلفات موالية **للصهيونية**، مثل كتابه "تأملات في المسألة اليهودية"، وكان قد برّر العدوان **الاسرائيلي** سنة 1967م، وأعلن أثناء زيارته إلى تل أبيب إن "**إسرائيل**" لها الحق في الوجود ويجب أن تبقى قائمة"، كما ساندتها في حرب 1973م بشكل مطلق، وهو ما يفسر تكريم جامعة أورشليم الاسرائيلية له بلقب الدكتوراه الفخرية، ويفسر كذلك قبوله لهذا الوشاح وقد عرف عنه رفض التكريمات. عبد الوهاب جعفر: **البنوية في الانثروبولوجيا وموقف سارتر منها**. دار المعارف، مصر، 1989. ص 157-159. عبد القادر حميد: **لماذا حُرقت كتب جان بول سارتر بالجزائر؟** مقال نشر في جريدة المستقبل الالكترونية، يوم 20/03/2010.

² جان بول سارتر: المرجع السابق. ص 18 وأيضا: سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**. ج 1/ص 252.

2- المنظومة التعليمية:

ينقسم التعليم في الجزائر منذ احتلالها سنة 1830م، إلى أن نالت استقلالها إلى قسمين، تعليم رسمي حكومي، تشرف عليه حكومة الاحتلال عبر إدارة التعليم، وتعليم حرّ شعبي، ينتظم في المساجد والكتاتيب والزوايا والمدارس الحرّة.

1-2 التعليم الرسمي:

1-1-2 التعليم الرسمي الفرنسي:

أقرت حكومة الاحتلال في الجزائر، إجبارية التعليم ومجانيتها على المستوى القانوني، ويبدو أن هذا القانون موجّه لأولاد الأوروبيين فقط، فقد تجاهل الجزائريين الذين بقي أكثرهم خارج مقاعد الدراسة، يبرزون تحت وطأة الجهل والامية. (1)

أ- التعليم الابتدائي:

التعليم العمومي الابتدائي يتبع نظام التعليم في فرنسا، ويخضع لقوانينه، وأولها قانون 16 جوان 1881م الذي يقرّ مجانية التعليم الابتدائي، وقانون 28 مارس 1882م المتعلق بالإجبار عليه، والإجبار متعلق بالأوروبيين، أما الجزائريين فلا يكون إجباريا عليهم إلا عندما يأمر الوالي العام بذلك، وأكد القانونين السابقين؛ قانون وزير التربية والتعليم الابتدائي " جول فيري" (2) الذي أصدره في 13 فيفري 1883م (3)، وتتواجد المدارس الابتدائية، في كل مكان يقطنه المعمّرون (4)، حيث يدرس بها أولادهم، وبعض أولاد المسلمين الجزائريين، من سن 06 إلى سن 13، ويتلقى التلامذة في هذه المدارس العلوم الأولية، تنتهي بنيل الشهادة الابتدائية، التي تفتح أمامه أبواب التعليم الثانوي، وأسست الحكومة مدارس لتكوين معلّمي التعليم الابتدائي. (5)

¹ أحمد توفيق المدني: جغرافية القطر الجزائري، مطبعة الشريف، تونس، دت. ص ص 87-88. وكذلك: عز الدين معزة: المرجع السابق. ص ص 61-62.

² جول فيري Jules Ferry عمدة الجمهورية الثالثة وركنها الركين، ورئيس المجلس الفرنسي، والمشرف على اللجنة البرلمانية لدراسة أحوال الجزائريين سنة 1892م.

³ مالك بن خليف: المرجع السابق. ص 76.

⁴ المعمّرون les Colones : السكان الأوروبيون الذين قطنوا بالجزائر عقب احتلالها، وقد استحوذوا على خيرات البلاد واستأثروا بها دون أصحابها، الذين غدو أجراء مهانون عندهم.

⁵ أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر. ص 294 وأحمد توفيق المدني: جغرافية القطر الجزائري. ص 88.

ومن أساليب غسل أدمغة التلاميذ الجزائريين، تلقينهم ما يخالف الحقيقة، ومنها: تدريسهم تاريخ فرنسا وجغرافيتها، وتلقينهم إن بلادنا تسمى قديما الغال *le gual* وأجدادنا الغاليون *les gualois*، وغيرها. ⁽¹⁾

ب- التعليم الثانوي:

والتعليم فيه ليس مجانيا، ومنه "الكوليج"، و"الليسي" المدرسة الثانوية التي تشترط اللغة اللاتينية، ويتبع نفس البرامج والمناهج الفرنسية، وفيه فسحة ضيقة **للغة العربية**، إذ يمكن للتلميذ أن يختار الفصحى منها أو العامية كلغة أولى أو ثانية، يتخرج منها الطلبة بشهادة البكالوريا، وبالتالي يتأهل لإمكانية مواصلة التعليم العالي، وتختار هذه الثانويات مدرسين لتعليم الدين الإسلامي، لمن يطلبه في ساعات إضافية بالمقابل. ⁽²⁾

ج- التعليم العالي:

تأسست جامعة الجزائر سنة 1909م بنفس نظام جامعات فرنسا المناهج-اللغة-التوجه العام...، وتضم أربع كليات، أولها كلية الحقوق تدرّس الحقوق العامة والفرنسية، والنظم الجزائرية، والقوانين الإسلامية، وتمنح شهادة الليسانس والدكتوراه، وثانيها كلية الآداب وتدرس: الادب الفرنسي، اللغات والآداب القديمة، اللغات والآداب الحديثة، كما تدرس من المشرقيات: الفلسفة الإسلامية، تاريخ الفلسفة الإسلامية، اللغة العربية الفصحى، الآداب العربية الحديثة، تاريخ التمدن الإسلامي، كما تدرس: الآثار الافريقية، جغرافية إفريقيا، تاريخ شمال إفريقيا، والدراسات العربية مقصورة على الاستشراق والمجالات التي تهم سياسة الاحتلال... إلخ، وتمنح الكلية شهادات الدراسات العليا والليسانس والدكتوراه، وثالثها كلية الطب والصيدلة، ورابع الكليات، كلية العلوم. ⁽³⁾

د- التعليم "الفني" المهني:

هذا التعليم هدفه إيجاد يد عاملة مؤطرة فنية، ولا تجد إقبالا من طرف الجزائريين، كما أن إدارة المحتل لا توفر فيها مقاعد كثيرة، وتحرص على عدم نشره واسعا، خصوصا بين الجزائريين، لضمان اليد العاملة الرخيصة الغافلة عن المطالب، وأسست الحكومة له معاهد ومدارس للتعليم الفني الفلاحي والصناعي والتجاري مجهزة ومتنوعة التخصصات، لكن للأسف لا يغشاها من الجزائريين عدا القليل منهم، وهي: ⁽⁴⁾

¹ مالك بن خليف: المرجع السابق. ص 76.

² أحمد توفيق المدني: جغرافية القطر الجزائري. ص ص 88-89 وكذلك: أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر. ص ص 295-296.

³ أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر. ص ص 296-297.

⁴ المدني: كتاب الجزائر. ص ص 308-311 وجان بول سارتر: المرجع السابق. ص 22 .

- "المعهد الفلاحي الجزائري" في الحراش بنحوم العاصمة، وله فروع لكن عددها قليل، ويقصده الطلبة حتى من أوروبا وغيرها، ويتلقى فيه الطلبة العلوم النظرية والتطبيقية في المجال الفلاحي، ويحتوي على ثلاثة أقسام، قسم للتجارب، وقسم للنشر، وقسم لإجراء الاختبارات، ويسلم المعهد في نهاية الدراسة شهادة "مهندس".

- مدارس التعليم الصناعي، وهي موجودة بكثرة في الجزائر، وهو ابتدائي وثانوي وعالي، فالابتدائي الرسمي بدأ بمدرسة دلس التي تأسست سنة 1880م، تخرج صنّاعا مهرة للحديد والخشب (1) والكهرباء الصناعية، أما التعليم الثانوي منه فيتم عبر "المدارس التطبيقية الصناعية" الثلاث، بالجزائر وقسنطينة ووهران، والتعليم العالي الصناعي يُزاوَل في "المعهد الصناعي العالي" في الحراش، يتخرج منه الطلاب بشهادة "مهندس"، وحظ الجزائريين في كل ما ذكرنا من معاهد ومدارس قليل جدا، ويكثر عددهم في المعاهد التي أسستها الحكومة لتعليم أولاد الجزائريين الصناعات التقليدية، مثل صناعة الخزف المزخرف، ونسيج الزرابي، والتطريز على الجلد، والخياطة.

- مدارس التعليم التجاري، وله مدرستان كبيرتان ذواتا مكانة عالية، وهما؛ مدرسة الجزائر العليا، ومدرسة وهران الثانوية، كما أنه يُبثّ في ثانويات مختلفة.

2-1-2 التعليم الرسمي العربي:

إن التعليم العربي الذي تبنته حكومة الاحتلال هزيل للغاية، وقد بيّنا سلفا تفصيل هذا التحايل تجاهه وغايته، فلم تكن هناك مدارس ابتدائية للتعليم العربي، أسوة بمدارس التعليم الفرنسي، فاستعاضت عنه الحكومة - ذرا للرماد على العيون- بإرسال عدد قليل من المدرسين، إلى المدن والقرى الكبرى يدرسون في مساجدها الكبرى، وعددهم 33 حسبما حدده القرار الحكومي الصادر في 30 جوان 1898م، ويشترط في هؤلاء المدرسين أن يكونوا من خريجي القسم العالي من المدرسة الثعالبية، ومهمتهم تدريس من يريد تلقي شيئا من علوم الدين واللغة، دون التقيّد ببرنامج محدّد، وإنما يدرّسون حسب اجتهادهم أو رغبة الناس غالبا، كما لا توجد مراقبة لعملهم من طرف الجهات المعنية. (2)

¹ نظرا لرواج هذه المهنة وكثرة روادها في السوق فإن أغلب **الجزائريين** يوجهون إليها، بينما يوجه الطالب **الأوروبي** للصناعات الميكانيكية ذات المستقبل الزاهر. مالك بن نبي: **في مهب المعركة** "ارهاصات الثورة"، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، 2002 "اعادة ط3، 1981م". ص36.

² أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر. ص 298. وأيضا: أحمد توفيق المدني: **جغرافية القطر الجزائري**. ص 89.

أما التعليم الثانوي العربي فقد اضطرت له الحكومة، ومبعث إنشائه أن سلطة الاحتلال رأت فراغ الساحة من العلماء بهجرتهم أو موتهم، وباحتياجها لمن يتولى المناصب الشرعية، فجاء قرار 30 سبتمبر 1850م القاضي بإنشاء ثلاث مدارس عربية اسلامية بقسنطينة وتلمسان والمدينة، لتنتقل الأخيرة إلى البليدة ثم إلى العاصمة، ومن شروط الانتساب إليها الحصول على الشهادة الابتدائية الفرنسية، وأن تكون سنّ المترشح بين 15 و20 عاما، وله بعض المعارف العربية، أما مدرّسيها فهم من الفرنسيين ومن الجزائريين المتخرجين منها، وتدرّس اللغة الفرنسية والتاريخ والجغرافيا والقوانين والنظم الادارية والحساب ومبادئ الهندسة والعلوم الطبيعية والكونية وحفظ الصحة، ثم اللغة العربية والتوحيد والفقه الإسلامي، وكان التعليم بهذه المدارس يتسم بالضحالة لعلوم العربية والشرعية، أما المعارف الفرنسية فتدرّس بعناية فائقة، ومدة الدراسة بها 04 سنوات، وبعد اتمام هذه المدة يتحصل التلميذ على الشهادة الابتدائية من المدرسة.

والناجحون من هذه الثانويات يمكنهم إكمال دراستهم في القسم العالي بالمدرسة الثعالبية بالعاصمة وهو غير متاح للكل، فمقاعد هذا القسم عددها عشرة، ويتلقى الطلبة في دراستهم بالقسم العالي علوم الفقه والتفسير والآداب العربية، وتاريخ التمدن الفرنسي، ومبادئ الحقوق الفرنسية، والنظام الاداري الجزائري، وتسلم للناجحين "شهادة العلوم العليا"، وتعتمد المدارس الثلاث النظام الخارجي والداخلي، كما يستفيد طلبتها من منحة شهرية قدرها 250 فرنك فرنسي لمن كانت عائلته خارج المدينة، و125 فرنك للقاطنين داخل المدينة.

والمترشح بالشهادة الابتدائية من هذه المدارس، يمكنه الترشح للمناصب الآتية: عون قاض- وكيل لدى المحاكم الشرعية- عدل بمحكمة القاضي- دلال بدار القاضي- خوجة "كاتب بإدارة البلديات المختلطة"، أما الحائزين على شهادة العلوم العليا فرتبهم: باش عدل وهو بمثابة نائب للقاضي- رئيس العدول- قاضي- قاضي موثق- مفتي- مدرّس بالمساجد- مدرّس بالمدرسة.⁽¹⁾

2-1-3 أرقام ونسب التلاميذ الجزائريين في التعليم الرسمي:

بالنسبة للتعليم الثانوي كانت نسبة الطلبة الجزائريين تمثل طالبا واحدا لكل 17 ألف نسمة⁽²⁾، بينما نسبة نظرائهم من الاوروبيين فهي طالب لكل 200 نسمة، وفي التعليم الجامعي كان الجزائريون

¹ المدني: كتاب الجزائر. ص ص 300-302، وعز الدين معزة: المرجع السابق. ص 65.

² لم يتجاوز عددهم سنويا 84 طالب قبل سنة 1900م، و150 طالب قبل 1914م. عبد الرشيد زروقة: المرجع السابق. ص 32.

يمثلون طالب عن كل 15342 شخص، والاوروبيون طالب عن كل 227 شخصا⁽¹⁾ ، أما عددهم في التعليم الابتدائي فموضح في الجدول الآتي:

السنة	مجموع تلاميذ التعليم الابتدائي	عدد التلاميذ الجزائريين	نسبة الجزائريين (%)
1850	/	642	
1880	/	3172	
1908	/	33400	4.3
1914	850 ألف	47263	5.5
1919	/	41144	
1920	/	42904	
1929	900 ألف	60644	6.7
1930	/	68000	8.8 (2)

2-2 التعليم الحرّ الجزائري:

لم يمنع الواقع الاستعماري وجود بقايا كتابات ومساجد وبعض الزوايا، خصوصا في الاماكن المعزولة التي لم تصلها أيادي الاحتلال الآثمة، مثل بعض الزوايا التي توجد في المناطق الجبلية العالية، والمناطق النائية في الصحراء التي بلغت قوت الاحتلال في وقت متأخر، وتمثل الكتابات القرآنية العتيقة الناجية من إبادة الاحتلال والزوايا، بمثابة التعليم الابتدائي لأولاد المسلمين، حسب التوجّه والثقافة الأصيلة للجزائريين، غير أن التعليم بها بسيط للغاية، يشمل تعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، ومبادئ اللغة العربية.⁽³⁾

والمرحلة الثانوية من هذا التعليم تقوم به بعض الزوايا الكبرى، كزاوية اليلولي بجبال جرجرة، وزاوية الهامل قرب مدينة بوسعادة، وزاوية الحملاوي بقسنطينة، وكذلك بعض مساجد بلاد القبائل ومساجد الجنوب ومنها مساجد وادي ميزاب، وتعلم هذه المراكز العلوم الإسلامية واللغة العربية.

¹ عبد الرشيد زروقة: المرجع السابق. ص 32. وكذلك: عز الدين معزة: المرجع السابق. ص 64.

² عمورة عمار: المرجع السابق. ص 126.

³ توفيق المدني: هذه هي الجزائر. صص 144-145، وأيضا المدني: جغرافية القطر الجزائري. ص 90.

أما التعليم العالي الحرّ فلا مكان له بالجزائر، وما أمكن للجزائريين استدراكه، هو إرسال أولادهم لجامع الزيتونة، الذي يعتبر قبلة الجزائريين لإكمال تعليمهم الإسلامي العربي، وقد تعرض التعليم العربي الحرّ على الدوام لتحرشات إدارة المحتلّ، التي كانت تحيّل له المكائد، فطالما أغلقت العديد من مدارسها، أو منعت شيوخه من التعليم بها. (1)

ولا أدل على ذلك من القانون الصادر في 24 ديسمبر 1904م، الذي يمنع على الجزائريين فتح أو تولي مدرسة عربية أو قرآنية، إلا بترخيص مسبق من الحاكم العام المدني أو العسكري - وذلك حسب طبيعة المنطقة -، ولمن خالف ذلك عقوبة الحبس مع التغريم، وتمنح الرخصة بشروط، منها:

الاقصار على تحفيظ القرآن الكريم وحده، دون تفسيره خصوصا الآيات التي تدور حول الجهاد، وبمنع تقديم دروس في تاريخ وجغرافيا الجزائر والعالم العربي، ودروس في الأدب العربي والمواد العلمية والرياضية، وعلى ألا يحضر المدرسة التلاميذ المنخرطين في مدارس التعليم الفرنسي، وفي حالة المخالفة تسحب الرخصة.

يوم 08 مارس 1938م، صدر قرار من طرف سلطة المحتل، يتضمن منع تدريس اللغة العربية لأنها أجنبية، ليتمّ تقنين محاربة اللغة الأصلية بالبلاد، وأعقب ذلك موجة استنكار واحتجاج من طرف رجال العلم والفكر والسياسة في الجزائر. (2)

وهذا الاستنكار يعد رد فعل تجاه هذا القانون وليس وليدا له، فمعارضة الجزائريين كانت منذ الاحتلال، ومنها محاولة النهوض بالتعليم التي بدأت منذ نهايات القرن 19م.

3- إرهاصات النهضة بالتعليم وبداية الإصلاح:

إن الجزائريين لم يقفوا مكتوفي الأيدي، إزاء التجهيل وحركة التزيف، ضمن سياسة المحتل، الرامية إلى طمس هويتهم، ولم يفتّ في عضدهم سعي الاحتلال بشقّ الوسائل لإخماد جذوة الإسلام واللغة العربية بهاته الربوع، بل سعت طائفة من أهل العلم لإحياء ما اندرس من التعليم العربي الإسلامي، ومحاولة النهوض به من جديد، وتنظيمه وتطويره، الأمر الذي مكّن من تكوين نخبة جزائرية ذات توجه عربي إسلامي، أبقى للأمة هويتها وانتمائها الحضاري، وساعدتهم في ذلك عوامل داخلية وأخرى خارجية:

¹ أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر. ص 94، 303-304، وكذلك المدني: هذه هي الجزائر. ص 144-145.

² عبد الحميد بن باديس: (كتاب مفتوح إلى النواب الجزائريين الأحرار بالعمالات الثلاث)، جريدة البصائر، س 03، ع 110، الجمعة 21 صفر 1357هـ - 22 أفريل 1938م. ص 169. وأيضا: مالك بن خليف: المرجع السابق. ص 74.

3-1 العوامل الداخلية:

ظهور بعض المشايخ والعلماء الذين أخذوا على عاتقهم همّ التعليم الاصيل بالجزائر، وبذلك وضعوا بذرة الإصلاح⁽¹⁾، ثم تبعهم فطاحل في حقل الإصلاح، يدعون "كتلة المحافظين"⁽²⁾، ساهموا في رعاية بذرته، معنيين بها حق العناية.⁽³⁾

ظهور الصحافة بتأثير الصحف المشرقية، وباشرة الجزائريون يؤسسون على منوالها الجرائد والمجلات، وإن كانت أقل حدة في الطرح، نظرا للرقابة الصارمة التي تمارسها سلطة الاحتلال على سكان الجزائر، ومن هذه الصحف: "جريدة الجزائر" أسسها عمر راسم⁽⁴⁾ سنة 1908م، وأوقفت بعد صدور عددتين، "جريدة الفاروق"، تأسست سنة 1913 على يد عمر بن قدور⁽⁵⁾، الذي أسّس أيضا "جريدة المغرب" سنة 1903 "بجلة ذو الفقار" أنشأها عمر راسم باسم مستعار وهو "ابن منصور الصنهاجي" سنة 1913م.⁽⁶⁾

إنشاء المنظمات الثقافية "الجمعيات والنوادي" التي كان لها دور خطير في التوعية والاحساس باستقلالية الكيان الجزائري، فكانت بحق متنفسا للمصلحين، وموطئ قدم راسخة للنهوض والإصلاح، ومنها: جمعية الراشدية أنشئت عام 1907م تمحور نشاطها حول الفكر الإسلامي والحضارة العربية،

¹ من هؤلاء الأفاضل: الشيخ بلقاسم المجاجي ت 1834/1250م، المفتي عمار ابن شريط القسنطيني ت 1834/1250م. العلامة مفتي العاصمة حميدة العمالي ت 1293هـ/1876م، الشيخ حسن ابريهمات الجزائري ت 1884/1301م، العلامة الخبر مفتي العاصمة الشيخ علي بن الحفاف ت 1890/1307م، الشيخ محمد الطيب بن بوداود الزواوي ت 1892/1309م، الشيخ محمد بن عبد الرحمان ت 1907/1325م، العلامة النابغة ذائع الصيت الشيخ محمد بن يوسف اطفيش 1918/1236م... وغيرهم أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر. ص ص 94-96.

² المحافظون: هم فئة العلماء، الذين كانوا ينادون بالتمسك بأصول الدين الإسلامي، وينشدون الإصلاح في اطار الشخصية الجزائرية، ومعارضة التطور على المزاج الغربي، فرفضوا التجنيس والتجنيد الاجباري، وتقابلهم جماعة النخبة، الذين يطرحون مسألة المساواة مع المعمرين، والإصلاح في ظل فرنسا، وقد اختار بعضهم التجنيس بالجنسية الفرنسية، مما يعني التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية. أبو القاسم سعد الله: خلاصة تاريخ الجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1428هـ/2007م. ص ص 98-100 كذلك: رابح فلاح: المرجع السابق. ص ص 06-14.

³ العالم الموسوعي عبد القادر المجاوي (1848-1913م)، الشيخ الدكتور محمد بن أبي الشنب 1869-1929م، الشيخ أبو القاسم الحفناوي (1852-1942م). الشيخ عبد الحليم بن سماية (1866-1933م)، العلامة المولود بن الموهوب القسنطيني (1866-1939م). رابح فلاح: المرجع السابق. ص ص 06-09.

⁴ عمر راسم (1883-1959م): علامة بأصناف من المعارف، وصحفي وخطّاط من الطراز الرفيع، كما يملك مقدرة في رسم المنمنمات - التي تعدّ من اختصاص أخوه محمد-، كما يعتبر من الذين تركوا بصماتهم في عملية الإصلاح، متأثر بنهج الشيخ محمد عبده. من آثاره "تفسير القرآن الكريم"، و"تراجم علماء الجزائر". رابح فلاح: المرجع السابق. ص 12 وأحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر. ص 310.

⁵ عمر بن قدور (1886-1932م): كاتب وشاعر، ولد بمدينة الجزائر وبها نشأ وتعلم، يعتبر من رواد الصحافة العربية الجزائرية، ومن دعاة الإصلاح، له مقالات في صحف مصرية وتركية وتونسية، واهتم بشؤون المسلمين العامة. رابح فلاح: مرجع سابق. ص 12.

⁶ رابح فلاح: المرجع السابق. ص ص 11-12.

والقضايا الراهنة لا سيما فيما يتعلق بالأخذ بأسباب التطور من منظور ديني، الجمعية التوفيقية تأسست سنة 1908م وأعيد بعثها عام 1911م، فاق عدد أعضائها 200 عضو، وهدفها ثقافي فكري علمي اجتماعي، حيث قدمت محاضرات في الادب والحضارة العربية والقانون الإسلامي العام...، نادي صالح باي تأسس أولا بقسنطينة، ثم كان له فروع في مدن أخرى، قدر عدد أعضائه سنة 1908م بحوالي 1700 عضو، يهدف إلى نشر التعليم، وتقريب وجهات النظر بين الجزائريين والفرنسيين، أغلب المحاضرات التي كانت تلقى من على منبره أدبية وعلمية. (1)

3-2 العوامل الخارجية:

إضافة لما سبق هناك مؤثرات خارجية ساهمت في هذا النهوض، لعل أبرزها التأثيرات المشرقية، التي بدأت تتجلى ابتداءً من بدايات القرن 20م، ومن وسائلها:

رحلات الحج، ودخول الصحف مثل "العروة الوثقى" و"المنار والمؤيد" وغيرها، وأغلبها كان تأتي عبر تونس، كذلك عودة بعض الشباب المتنورين الذين باشروا دراستهم أو أكملوها بتونس والقاهرة ودمشق والمدينة المنورة، دون ان ننسى فكرة الجامعة الإسلامية التي نادى بتكتل المسلمين للوقوف ضد التوسع الاوروبي، وأخيرا تأثر النخبة الإصلاحية بالمصلحين التونسيين، أمثال الوزير خير الدين والأستاذ محمد البشير صفر ... وغيرهما. (2)

¹ رابح فلاح: المرجع السابق. ص 14. أنظر أيضا: أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية. ج 2/ ص 139.

² سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية. ج 2/ ص 115-119 وج 4/ ص 163-169. و رابح فلاح: المرجع السابق. ص 5-10.

خلاصة الفصل الأول

إتسم التعليم في تونس والجزائر خلال القرن 19م، بضخالة المادة العلمية، وقِدَم الأساليب والمناهج، وغلبة العشوائية عليه، بالرغم من وجود معلم علمي كبير في تونس "جامع الزيتونة"، وانتشار الكتابات في كلتا البلدين، فقد كانت الأمية في تونس ضاربة أطنابها حتى في الحواضر، والجزائر التي كانت الأمية فيها أقلّ حدة قبل الاحتلال الفرنسي لها، - مع تواضع العلوم-، فإنّ أمرها اختلف بعد 1830م، بفعل أساليب المحتل الهادمة للمقومات العربية والإسلامية، وأولها التعليم العربي الإسلامي، فاستشرى الجهل وغلبت الأمية.

وفي عهد الاحتلال شهد البلدين تنوعا في المنظومة التعليمية، التي كانت في تونس أكثر تعدد وأشدّ تباين، ففي الجزائر كان هناك تعليم فرنسي "التعليم الرسمي" تبنّته إدارة المحتل وآخر عربي، موزع الاشراف بين إدارة الاحتلال، والمدارس الأهلية الحرّة، لكن في تونس إضافة للتعليم العربي والفرنسي، هناك تعليم خاصة بالجالية الإيطالية نظرا لكثرة أعدادها وتأثيرها، وتسيّره إيطاليا من خلال قنصليتها في تونس، كما كان هناك تعليم خاص باليهود يشرف عليه أحبارهم والرابطة اليهودية.

وفي البلدين بون شاسع بين التعليمين العربي والفرنسي، فالأخير متطوّر المناهج، علومه مواكبة للتطور الحاصل، محكم التنظيم، أدواته حديثة، وهو مفتوح أمام ثلّة من التونسيين بغرض خلق طبقة متشعبة بالثقافة الغربية، تكون لهم سندا في احتواء أهل البلاد، وتسهيل السيطرة عليهم، ولكن بضغط من المعمرين في كلا البلدين تمّ تحجيم اتاحة التعليم الفرنسي لأهل البلد، وتوجيههم للتكوين المهني حسب حاجة المعمرين، وحتى في تكوين المهنيين، كان يساق المسلمين إلى المهن المنتشرة التي تشهد منافسة، بينما الأوروبيون يوجّهون إلى المهن ذات المستقبل الواعد.

أما التعليم العربي فلا يعدو كونه ترديد لمتون، وشروح على كتب وحواشي، وأحيانا حواشي على الحواشي، من دون وعي ولا فهم، بأساليب موروثّة منذ العصور الوسطى، وأدوات عتيقة عفا عليها الزمن، يعتمد على العلم الشرعي واللغة العربية والكلام، ولا مكان فيه للعلوم الكونية، ولم يكن يستوعب هذا التعليم عددا كبيرا من التلاميذ، إذ بلغ عدد التلاميذ التونسيين في التعليم الزيتوني، أواخر 19م حوالي 23000 تلميذ فقط، على الرغم من انتشاره وتنظيمه واعتراف الدولة به.

كما وجد في تونس التعليم العربي-الفرنسي، وحتى في الجزائر وإن كان بدرجة أقل، فقد كان في تونس من تأسيس التونسيين أنفسهم، بهدف إصلاح التعليم ومواكبته للتطور الحاصل في العالم، كالتعليم

الصادقي والخلدوني، ومنه ما كان من تأسيس المحتل، لتكوين مجموعة على عينه تنيط لها الوظائف، مثل المدارس الشرعية في الجزائر.

كانت سياسة المحتل في البلدين ترمي إلى تجهيل أكبر عدد ممكن من المسلمين، ونشر الأمية بينهم، ومحاربة اللغة العربية، ومنع تدريسها، خصوصا في الجزائر، ويرجع ذلك إلى نوعية الاحتلال، فقد قامت في الجزائر بالقضاء على مؤسسات التعليم، وتخفيف منابع ما بقي منها، وهي مؤسسة الوقاف، وإصدار القوانين التي تحرم على المدارس الحرة، تدريس العربية والمواد العلمية، وتاريخ البلاد الجزائرية وجغرافيتها، حتى أطفالوا مشاعل العلم على حد قول أحدهم.

كما عملت سياستهم على محاولة طمس هوية الشعبين، وخاصة الجزائر التي عزلتها عن محيطها العربي والإسلامي، وذلك طمعا في اتباعها بفرنسا، والخلاصة أن مأساة التعليم في الجزائر لا يساويها في فظاعتها إلا مأساة الأرض.

وقد ظهرت في النصف الثاني من القرن 19م مجموعة من الواعين، الذين تربوا تحت نظر شيوخ متنورين في تونس والمحافظين في الجزائر، أو خريجي مدارس الإصلاح، مع تطور عمل الصحافة، أو تأثروا بمؤثرات خارجية، وأبرزها أفكار مصلحين أمثال الشيخ جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا، التي تلقوها عنهم بصفة مباشرة أو عن طريق الصحف الشرقية، وزيارة بعضهم لأوروبا في بعثات علمية، وقد تنادى هؤلاء بالإصلاح، وعملوا الوسع وأفرغوا الجهد في سبيل ذلك، حيث كانت نتيجتها العاجلة ضئيلة، بسبب المعوقات والعراقيل، لكن مردودها الآجل كبير، وأعظمها شأنًا ظهور مصلحين أمثال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور والشيخ عبد الحميد ابن باديس.

الفصل الثاني

السيرة العامة للشيخين

محمد الطاهر ابن عاشور وعبد الحيد ابن باديس

السيرة العامة للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

- اسمه ونسبه ومولده.
- حياته العلمية.
- أسرته.
- وفاته.
- وظائفه ونشاطاته العلمية والإدارية والشرعية.
- أخلاقه وعلمه ومكانته.

السيرة العامة للشيخ عبد الحيد ابن باديس.

- اسمه ونسبه ومولده.
- حياته العلمية.
- أسرته.
- وفاته.
- وظائفه ونشاطاته العلمية والإدارية والشرعية.
- أخلاقه وعلمه ومكانته.

خلاصة الفصل الثاني.

السيرة العامة للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

1296-1394هـ/1879-1973م

1- اسمه ونسبه ومولده

هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، وأمّه فاطمة بنت محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيّب بن محمد بن محمد بوعتّور. (1)

1-1 آل عاشور - الأرومة الشريفة:

ينتمي محمد الطاهر ابن عاشور إلى أرقى الأسر وأعلاها شأنًا، أصلها أندلسي إذ فرّ أجداده من الأندلس إلى ثغر سلا بالمغرب الأقصى في حدود عام 1030هـ/1620م، إثر سيطرة النصارى على تلك البلاد، ثم انتقل جده أبو عبد الله محمد بن عاشور إلى تونس في حدود 1060هـ/1650م (2)، عقب عودته من رحلة الحج. (3)

وعائلة ابن عاشور ضربت بسهم وافر من العلم والريادة فيه، وأنجبت فطاحل معدودين، فجده محمد بن محمد الشاذلي درّس بالزيتونة، وابنه أحمد ابن عاشور المدعو "حمده" ت 1255هـ/1839م درس على شيوخ كبار أمثال إبراهيم الرياحي ومحمد بن ملوكة ومحمد بن الخوجة، ثم أصبح من شيوخ الزيتونة، وجده محمد الطاهر ابن عاشور 1203-1266هـ/1789-1849م درّس في الزيتونة وله تعليقات وحواشي على كتب كثيرة، تولى القضاء في عهد المشير أحمد باي، كما كان نقيباً للأشراف، ومفتياً مجتهداً، ومحتسب على الاوقاف في عهد محمد الصادق باي، وعضو بالمجلس الأكبر للشورى، كما أن جده لأبيه سميّه العلامة الشيخ محمد الطاهر (4) بن محمد ابن عاشور (1230-1284هـ/1815-1868م) أحد علماء المالكية، تقلد مناصب هامة كالقضاء والافتاء والتدريس والاشراف على الاوقاف والنظارة على بيت

¹ محمد الطاهر ابن عاشور: الفتاوي، دراسة وتحقيق محمد بوزغبة، ط1، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2011م. ص 09 ومحمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1994م. ج3 ص 304 وكذلك: خير الدين الزركلي: الأعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 2002م. ج6 ص 174.

² تنقل المصادر والمراجع التاريخ الميلادي 1648م وفي ذلك خلل بينه وبين التاريخ الهجري، والغريب هو التواطؤ على نقله، وقد افترضت صحة التاريخ الهجري لتأريخ القدماء به.

³ ابن عاشور: الفتاوي. ص 09 وكذلك: الحبيب ابن الخوجة: المصدر السابق. ج1 ص 20-147

⁴ تنعته بعض الكتابات **محمد الطاهر ابن عاشور** "الجد"، وتسمي مترجمنا محمد الطاهر ابن عاشور "الحفيد" للتفريق بينهما.

المال والعضوية بمجلس الشورى، كما تولى نقيب الاشراف بتونس، وكان فقيها مجتهدا⁽¹⁾، وآخرهم نجله العلامة محمد الفاضل ابن عاشور، ت 1970م.⁽²⁾

وجده لأمه العلامة الشيخ الوزير محمد العزيز بوعتور⁽³⁾، أحد فقهاء المالكية وقضاها، وأبوه محمد ابن عاشور من الوجوه، ترأس مجلس إدارة جمعية الاوقاف، إلى أن خلفه الأستاذ محمد البشير صفر.⁽⁴⁾

وعائلة ابن عاشور من منابت الشرف فنسبها يتصل بالنبي ﷺ، ولم تذكر المصادر هذا النسب صراحة، فلعله من المتعارف عليه، ويؤكدده تولى محمد الطاهر ابن عاشور "الجد" نقابة الأشراف، فهذا المنصب لا يناله إلا من كان من السلالة الشريف، بالإضافة إلى أن أحمد باي كثيرا ما يدعوه "القاضي الشريف"⁽⁵⁾

1-2 مولده:

ولد الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في شهر جمادى الأولى عام 1296هـ الموافقة لشهر سبتمبر سنة 1879م⁽⁶⁾، وكان مولده بقصر جدّه لأمه بالمرسى وهي ضاحية من الضواحي الشمالية للعاصمة

¹ مما يؤثر عنه قوله: ((لا يعجبني أن أقول هكذا قال الفقهاء، وما يعني أن أعلم الدليل كما علموه؟)) وبهذا الفكر النير تتلمذ على يديه شيوخ أجلاء كشيخ الإسلام سالم بوحاجب، والشيخ محمد النجار، والوزير محمد العزيز بوعتور، وقد تمت علاقة الأخير بشيخه نتج عنها علاقة تصاهر، إذ تزوج محمد بن محمد الطاهر بن عاشور من بنت محمد العزيز بوعتور كان ثمرته محمد الطاهر ابن عاشور الحفيد صاحب هذه الترجمة.

² أحمد ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999م. ج 8 ص ص 165-166 وكذلك: بلقاسم الغالي: المرجع السابق. ص 36 وأيضاً: مشرف بن احمد جمعان الزهراني: أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه "التحرير والتنوير"، (أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه)، إشراف د/أمين محمد عطية باشه، كلية الدعوة والأصول، جامعة أم القرى، السعودية، العام الجامعي 1426-1427هـ. ص 15.

³ محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن الوزير محمد بن محمد بوعتور العثماني القريشي ثم الصفاقسي التونسي (1240-1325هـ/1807-1907م)، من العلماء، أصله من صفاقس، من بني الشيخ عبد الكافي العثماني نسبة إلى عثمان بن عفان، أما نسب أمه فيتصل بالخليفة أبي بكر الصديق، ولد في مستهل رجب 1240هـ بتونس، درس بالزيتونة، ومن شيوخه أبو إسحاق إبراهيم الرياحي وشيخ الإسلام محمد ابن الخوجة وقاضي الجماعة محمد الطاهر ابن عاشور الجد، ولي الكتابة في حكومة المشير أحمد باي سنة 1262هـ³، فكان كاتباً خاصاً لأسرار الملك، وأحد أعضاء مجلس الشورى الخاص، وكانت الخطب الملكية والرسائل الهامة، والمنشورات كلها من إنشائه، تناول قانون "عهد الأمان" بالشرح والتفريع، وعلق عليه تحريرات أصولية في إجراء بعض كلياته على قواعد الشريعة الإسلامية، وكان عضداً لخير الدين التونسي حين ولي رئاسة الوزارة، فسمي في أيامه وزير استشارة سنة 1290هـ، كما كان من العاملين في تأسيس المدرسة الصادقية وجمعية الأوقاف، وفي تنظيم المحاكم الشرعية وسن قانون العدول، ثم تقلد منصب الوزارة الكبرى 1300هـ فقام بالأعباء قياماً حسناً، وعرف بالخبرة والحكمة وسداد الرأي والرسوخ في العلم وحسن الخلق، توفي غرة محرم 1325/14 فيفري 1907م بقصره بالمرسى، وحفيده محمد الطاهر ابن عاشور إلى جانبه، وأمر المولى محمد الناصر باي (1906-1922م) بدفنه في مقبرة الأسرة المالكة. الزركلي: المرجع السابق. ج 6، ص 268 ومحمد بن الخوجة: المصدر السابق. ص 420-448 وأحمد ابن أبي الضياف: المصدر السابق. ج 7/ص 153.

⁴ بلقاسم الغالي: المرجع السابق. ص 35-36 وأيضاً: محمد الطاهر ابن عاشور: الفتاوى. ص 09.

⁵ مشرف بن احمد جمعان الزهراني: المرجع السابق. ص 16.

⁶ هكذا ورد في: محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقریب؟ ص 07. لكن شهر جمادى الأولى هذه السنة يوافق شهر ماي وليس سبتمبر.

تونس، ونشأ في ذات القصر حيث أكتنفه جدّه الرؤوم بفيض عطفه ورعايته واهتمامه، وأولاه أبوه حنانا وعناية، فكان لهذه العناية وتلك الرعاية أكبر الأثر في تكوين شخصيته، إذ نشأ على أكمل الصفات الدينية والأخلاقية، وأفضل المناهج العلمية والتربوية. (1)

2- حياته العلمية:

1-2 بدايات تعليمه:

بدأ تعليمه في البيت على يد جدّه الشيخ بوعتور وأبيه الشيخ محمد ابن عاشور، ولما بلغ من العمر ست سنوات، دخل كتاب جامع سيدي بوحديد، الواقع بجوار منزله الكائن بنهج الباشا بحاضرة تونس، فحفظ القرآن الكريم وبعض المتون التي تعد مبدأ لمختلف العلوم، كابن عاشر والاجرومية، على يد المؤدب محمد الخياري، كما تلقى مبادئ قواعد اللغة العربية على الشيخ أحمد بن بدر الكافي اعتمادا على شرح سيدي خالد الازهري، وتعلّم اللغة الفرنسية على يد حاذق لها من التونسيين، وهو أستاذه الخاص أحمد بن وثّاس الحمودي. (2)

2-2 التحاقه بجامع الزيتونة:

سنة 1310هـ/1892م انخرط بجامع الزيتونة (3) أحد قلاع الاشعاع العلمي في العالم الإسلامي، وسنّه أربعة عشر عاما، لينهل من ينابيعها بلهفة وشغف، على شيوخها من جهابذة أهل العلم والنبوغ،

¹ الحبيب ابن الخوجة: المصدر السابق. ج.1. ص 20-147. وبلقاسم الغالي: المرجع السابق. ص 37.

² بلقاسم الغالي: المرجع السابق. ص 37. وأيضا: محمد الحبيب ابن الخوجة: المصدر السابق. ج 1 ص 21-148

³ جامع الزيتونة: من أقدم الجامعات العلمية الإسلامية، فهو إلى جانب القرويين بالمغرب والأزهر بمصر والأموي بسوريا أكبر حصن للغة العربية والشريعة الإسلامية. أما عن تسميته بالزيتونة فقليل: لأنه بُني في موضع كان مشجراً بالزيتون، قُطعت كلها ولم تبقَ منها غير زيتونة واحدة، سُمي بها الجامع. ينسب أمر تشييده إلى عبيد الله بن الحبحاب والي هشام بن عبد الملك على بلاد المغرب، كما ينسب إلى فاتح تونس حسان بن النعمان، فيكون أمر بنائه لأول مرة سنة 79 للهجرة، وهذا هو الأرجح لدى المؤرخين، إذ من غير المنطقي أن تبقى مدينة في حجم تونس دون مسجد بين سنتي 79 و116هـ تاريخ قدوم ابن الحبحاب، بناء على هذا فإن عبيد الله بن الحبحاب يكون قد أتم عمارة الجامع وزاد فيه. أما أول درس بالزيتونة، فهو لعلي بن زياد التونسي صاحب الامام مالك، بدرس "الموطأ" رواية عن صاحبه.

تخرج من جامعة الزيتونة عبر تاريخها من العلماء ما يفوق الحصر نذكر منهم: المؤرخ ومؤسس علم الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون صاحب «المقدمة» والفقيه المفسر والمحدث محمد بن عرفة وشيخ الإسلام الطاهر بن عاشور صاحب «تفسير التحرير والتنوير» ومحمد الخضر حسين شيخ جامع الأزهر والمصلح الزعيم عبد العزيز الثعالبي صاحب كتاب «تونس الشهيدة» وشاعر الحرية أبو القاسم الشابي والطاهر الحداد مؤلف كتاب «امرأتنا في الشريعة والمجتمع» الذي أثار ضجة اجتماعية بدعوته لتحرير المرأة، والشيخ عبد الحميد بن باديس، الشيخ البشير الابراهيمي، الشيخ الحسين حمادي،... الخ. أنظر: الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956م،==

في مختلف العلوم، ورتب له دروسه وشيوخه، الشيخ عمر ابن الشيخ⁽¹⁾ الذي تولى توجيهه، فلقى عناية علمية من أساتذته، ودفتره بالزيتونة مؤرخ في 18 شعبان 1310هـ، ورقمه 3036، أما عدد صفحاته 44 من 100، وكانت فترة دراسته بالزيتونة سبع سنوات، أحرز إثرها شهادة التطويع سنة 1317هـ/ 1896م، بتفوقه على أقرانه.⁽²⁾

وقد درس ابن عاشور بالزيتونة العلوم والكتب المقررة من قبل نظارة الجامع، وهي التي كوّنت شخصيته العلمية، ومن أهمها: الفقه وأصوله، المنطق، علم الكلام، اللغة العربية وعلومها، علم الفرائض الحديث والسيرة النبوية، علوم القرآن.⁽³⁾

إن العلوم التي تلقاها ابن عاشور، وكوّنت عقليته العلمية والتربوية، كانت على رجال أفذاذ لهم دور كبير وأثر قوي في تشكيل هذه الشخصية، ومن هؤلاء الشيوخ:⁽⁴⁾ الشيخ عبد القادر التميمي، الشيخ محمد النخلي⁽⁵⁾، الشيخ محمد الدرعي، الشيخ محمد الصالح الشريف⁽⁶⁾، الشيخ عمر بن عاشور، الشيخ محمد الصالح الشاهد، إبراهيم المرغني (1350هـ/1931م)،

==ط2، دار المعارف-تونس. ص 219-223. والمنجي السعيداني، (جامع الزيتونة المعمور-منارة للعلم والمعرفة على مر العصور)، الشرق الأوسط-جريدة العرب الدولية، الخميس 08 نوفمبر 2007 ع 10572. ومحمد المختار بن محمود، (جامع الزيتونة من أقدم الكليات العلمية وأكثرها إنتاجا)، الزيتونية "مجلة شهرية تصدر عن جامع الزيتونة"، مج 02، ج 02، رمضان 1356/نوفمبر 1937. ص 02-05. وللنظر المستفيض عن كل ما يتعلق بهذا الجامع: انظر، جامع الزيتونة المعلم ورجاله، محمد العزيز بن عاشور، دار سرار للنشر، تونس.

¹ عمر بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن قاسم، المعروف بابن الشيخ أو سيدي عمر، ولد سنة 1239هـ بقرية يقال لها الماتلين، من عمل بترت، تلقى العلم على كبار الأستاذة، مثل الشيخ: محمد بن مصطفى البارودي، والشيخ: محمد الخضار، والشيخ: محمد بن الخوجة، والشيخ: محمد بن عاشور وغيرهم، وكان مدرّساً بجامع الزيتونة منذ سنة 1266هـ، إذ درس 60 سنة، توفي سنة 1329هـ محمد بن سعد القرني: الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير والتنوير، (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير)، إشراف د/ محمد ولد سيدي ولد حبيب، كلية الدعوة والأصول، جامعة أم القرى-السعودية، 1427هـ. ص 13. محمد الحبيب ابن الخوجة: المصدر السابق. ج 1 ص 150.

² ابن عاشور: أليس الصبح...؟ ص 07-08. وكذلك: محمد الحبيب ابن الخوجة: المصدر السابق. ج 1 ص 148 وما بعدها.

³ محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقریب؟ ص 07-08.

⁴ محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقریب؟ ص 07-08 أنظر أيضا: محمد حسين: التنظير المقاصدي عند الامام محمد الطاهر ابن عاشور من خلال كتابه مقاصد الشريعة، (أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية)، إشراف د/عمار ساسي، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر. 1423-1424هـ/2002-2003م. ص 29، 32.

⁵ الشيخ محمد النخلي من أشهر علماء جامع الزيتونة، ولد بالقيروان عام 1286/1869م وكان الشيخ من أشهر دعاة الإصلاح في تونس، فكان عضواً بالجمعية الخلدونية، والمدرسة الصادقية، والجمعية الزيتونية، من مؤلفاته: رسالة في الفقه المالكي، ورسالة في المرأة المسلمة، وتراجم بعض الأعلام التونسيين من أبناء عصره، وتوفي عام 1342هـ/1924م محمد بن سعد بن عبد الله القرني: المرجع السابق. ص 14.

⁶ الشيخ محمد صالح الشريف ولد عام 1285، وأصل أسرته من بجاية في الجزائر، تخرج على كوكبة من العلماء، أمثال: عمر بن الشيخ، سالم بو حاجب وغيرهما، وانتصب للتدريس بالجامع الأعظم بعد حصوله على شهادة التطويع عام 1304، وشارك في سنة 1316 في لجنة إصلاح التعليم بجامع الزيتونة، ت 1919/1338م محمد بن سعد القرني: المرجع السابق. ص 12.

الشيخ محمد ابن الخوجة ⁽¹⁾ ، الشيخ محمد النجار الشريف ⁽²⁾ ، الشيخ محمد الطاهر جعفر، الشيخ جمال الدين ⁽³⁾ . وهؤلاء كانوا ثمة شيوخ مصلحين مثل الشيخين ابراهيم الرياحي (1266هـ / 1850م)، وإسماعيل التميمي (1248هـ / 1832م) وغيرهما. ⁽⁴⁾

أما أهم شخصيتين كان لهما عميق الأثر في تكوينه العلمي والفكري، شيخين ذاع صيتهما بين أهل العلم، وهما: الشيخ سالم بن عمر بوحاجب البنبلي ⁵ ، وجدّه الشيخ محمد العزيز بوعتور. ⁽⁶⁾

2-2 عوامل نبوغه:

إضافة لما سبق ذكره من العلوم التي تلقاها، وشيوخه خريجي الارهاصات الاولى للإصلاح، الذين ألفوا فيه النباهة والنجابة، فاحتضنوه بمزيد من العناية، هناك عوامل أخرى ساهمت في تشكيل هذا الطود الشامخ، ونبوغه العلمي، منها:

- نشأته في بيئة علمية خالصة بين أبيه وجدّه، وعائلة مهتمة بالعلوم والمعارف، بلغ أفرادها شأوا بعيدا فيه.

- العناية التي أولتها له عائلته لاسيما جده الشيخ الوزير بوعتور الذي افرغ جهده في تربيته ، وكان جليسه وقت فراغه، حيث يلقنه العلم والادب والاخلاق، وكان يفتخر به وبنباهته، ولم تحبسه الوزارة ولا مشاغله عن العناية بحفيده، ومن عنايته به أن نسخ له بخط يده المفتاح للسكاكي، ومتن البخاري، وجمع له في دفتر كبير عيون الادب ونوادره، ونصوص الحكم، وبدائع النظم والنثر.

¹ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الخوجة، أخذ العلم عن والده وعمر بن الشيخ وغيرهما، ثم تولى التدريس من الرتبة الأولى والإمامة والخطابة بجامع سيدي محرز، والفتوى، ت 1325 هـ، محمد بن سعد بن عبد الله القرني: المرجع السابق. ص 14.

² أبو عبد الله محمد بن عثمان النجار، ولد 1248هـ، مدرس في جامع الزيتونة، من مؤلفاته مجموع الفتاوى، وبغية المشتاق في مسائل الاستحقاق، وشمس الظهيرة، وفقه أبي هريرة، تحرير المقال. محمد بن سعد القرني: المرجع السابق. ص 14.

³ أحمد جمال الدين - الفقيه - ولد ببني خيار، وتلقى العلم بجامع الزيتونة، ودرس به، وكان من أبرز تلامذته الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ومن مؤلفاته: بلوغ الأدب في مآثر الشيخ الذهب، والسراج في معرفة صاحب التاج رسالة وجيزة في بيان حديث المعراج وغير ذلك، ولا يعرف بالضبط تاريخ وفاته، إلا أنه كان حياً سنة 1323هـ. محمد بن سعد القرني: المرجع السابق. ص 12.

⁴ محمد الطاهر ابن عاشور: الفتاوى. ص ص 9-10.

⁵ أحد المصلحين، ولد عام 1244هـ ببنبلة، تعلم الزيتونة، وصار أستاذاً فيه، وهو فقيه محقق، لغوي أديب شاعر، له اليد الطولى في المعقولات، ملم بطرف من التاريخ والجغرافيا والرياضيات، وله نباهة وتميز وعلو كعب في العلم، نال شهرة واسعة وأثر في طلبته تأثيراً عظيماً، ت 1342هـ.

⁶ مشرف بن أحمد جمعان الزهراني: المرجع السابق. ص 12 وكذلك: محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقریب؟ ص 08.

- اهتمام أبوه محمد ابن عاشور بتعليمه، وهو رجل العلم ومن فسائله.
- رعاية أساتذته النصحاء لما أَلْفَوْه فيه من ذكاء ونبوغ.
- سهولة وصوله للمصادر العلمية، إذ فتح له جدّه خزانة كتبه، الزاخرة بنفيس المخطوطات.
- استعداده الفطري، فقد كان ذا قدرات ذهنية عالية، وقوة الحافظة، وحدّة الذاكرة، والهمة العالية والطموح للمعالي.
- تأثره في الجانب الاصلاحى بالشيخ محمد عبده خصوصا أثناء زيارته الثانية لتونس 1331هـ، فقد تابعه خلالها ودوّن كل ما سمعه منه، فقد كان معجبا بأرائه وأفكاره ⁽¹⁾ ، وبنقده للعلوم الإسلامية وتحديد فيها، كما فعل في "رسالة التوحيد" وغيرها، وكان ابن عاشور ضمن المجلس الإداري للخلدونية الذي دعا الامام محمد عبده لتقديم محاضرة على منبرها، ووجدت صدى في نفوس المتعطين للإصلاح، وتوثقت العلاقة بينهما، وأعجب الشيخ عبده بابن عاشور ونباهته وعلمه وأفكاره التنويرية، كما احتفى ابن عاشور بالضيف ونوّه به وأشاد بعلو مكانته، ولا يخفى توافق الرجلين في نظرهما لمبدأ الإصلاح، وهو إصلاح التعليم. ⁽²⁾

3- أسرته:

تزوج الشيخ ابن عاشور ابنة نقيب الاشراف بتونس، فاطمة بنت محمد بن مصطفى محسن ⁽³⁾ ، فأنجبت له بنتين وثلاث بنين وهم: العلامة محمد الفاضل توفي سنة 1970م في حياة أبيه، عبد الملك، زين العابدين الذي توفي في حياة والده كذلك. ⁽⁴⁾

4- وفاته:

عاش الشيخ محمد الطاهر بن عاشور عمرا مديدا، بلغ 97 سنة هجرية وشهرين، شغلها في الدرس والتبحر في العلوم، وخدمة العلم وإصلاحه، وزيّنه بإنتاج وافر من المؤلفات الغزيرة والآثار المختلفة،

¹ وتأثره بالشيخ محمد عبده أكثر لالتقائهما في وجهة نظر واحدة، وهي إصلاح الجانب التربوي والاجتماعي، بينما يرى الشيخ الافغاني **بوجوب** الإصلاح عن طريق السياسة، ويظهر تأثر ابن عاشور بالإمام محمد عبده في الميدان التربوي في كتابه "أليس الصبح بقريب؟"، وفي الميدان الاجتماعي من خلال كتابه "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام". بلقاسم الغالي: المرجع السابق. ص 185، 51 وأيضاً: جمال محمود أحمد أبو حسان: المرجع السابق. ص 60.

² محمد بن الخوجة: المصدر السابق. ص 448. وبلقاسم الغالي: المرجع السابق. ص 50. وأيضاً: محمد حسين: المرجع السابق. ص 29-32.

³ آل محسن عائلة معروفة بالعلم، وترعّمها لجامع الزيتونة. محمد حسين: المرجع السابق. ص 24.

⁴ محمد الحبيب ابن الخوجة: المصدر السابق. ج 1 ص 168. وأيضاً: محمد بن سعد بن عبد الله القرني: المرجع السابق. ص 33.

وفي يوم الأحد 13 رجب 1393هـ / 12 أوت 1973م، انتقل العَلمُ الراسخ إلى جوار ربه، ودفن بمقبرة الزلّاج، فرحمة الله عليه. (1)

5- وظائفه ونشاطاته العلمية والإدارية والشرعية:

اقتحم الشيخ ميادين عديدة نشط فيها، فبرز خلالها على أقرانه، وفاق فيها بعض شيوخه، إذ تقلّد عدّة وظائف سامية، على أكثر من صعيد.

5-1 وظائفه ونشاطاته العلمية:

- بعد أن تخرج من الجامع الأعظم بشهادة التطويع سنة 1317هـ/1899م، باشر الشيخ بن عاشور التدريس في الزيتونة، ثم ارتقى إلى الطبقة الثانية (2) في التدريس اثر اجتيازه لمسابقة سنة 1317هـ/1899م، ثم اجتاز مسابقة التدريس للطبقة الأولى (3) سنة 1324هـ/1905م.
- كان له دور بارز في تأسيس الجمعية الخلدونية ونشاطها، بإلقاء المحاضرات (4) على منبرها.
- درّس بالصادقية منذ سنة 1321هـ/1903م، وسمي عضو اللجنة المخصصة في وضع فهارس مكتبتها 1323هـ/1905م، ثم رئيس هذه اللجنة 1328هـ/1910م.
- حاضر في جمعية قدماء الصادقية، ومنها محاضراته "أصول التقدم والمدنية في الإسلام" سنة 1906م.
- انقطع عن التدريس منذ سنة 1911م، بسبب توليه مهمة القضاء، إلى سنة 1341هـ/1923م، حيث عاد للتدريس بالجامع والصادقية.
- اشرافه على تدريس كتب الحديث خلال شهر رمضان، ببيته وبالمساجد التونسية خاصة بالجامع الأعظم.
- ولبعد صيته بعلوّ كعبه في علوم اللغة وآدابها، فقد تمّ انتخابه عضواً بجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- سنة 1950م، ثم عضو بالمجلس العلمي العربي بدمشق سنة 1955م.
- شارك في الموسوعة الفقهية التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية الكويتية.

¹ محمد محفوظ: المرجع السابق. ج 3 ص 307.

² ارتقى الشيخ ابن عاشور إلى الطبقة الثانية عوضاً عن شيخه محمد النحلي، الذي ارتقى إلى الطبقة الأولى بوفاء الشيخ الصادق الشاهد (ت 1899/1317). بلقاسم الغالي: المرجع السابق. ص 56.

³ كان ارتقاؤه إلى الطبقة الأولى عوضاً عن الشيخ حسن بن حسين (ت 1906/1329). بلقاسم الغالي: المرجع السابق. ص 56.

⁴ والجدير بالذكر أن الشيخ ابن عاشور أول من حاضر باللغة العربية بتونس، من خلال محاضراته في الجمعية الخلدونية وجمعية قدماء الصادقية بالإضافة إلى جامع الزيتونة. محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقریب؟ ص 08.

- وإضافة لما سبق يجب التنويه بحركة الشيخ الدؤوبة، فقد كانت له رحلات إلى عواصم عربية وإسلامية وحتى الأوروبية، للمشاركة في الملتقيات العلمية، ومنها مؤتمر المستشرقين باستانبول في سبتمبر 1951م.⁽¹⁾

5-2 المناصب الادارية التي تولاها:

- عضو مجلس إدارة الصادقية 1326هـ/1909م.
- عضو مجلس إدارة الجمعية الخلدونية، ثم ترأسها.
- عين نائب الدولة لدى نظارة⁽²⁾ جامع الزيتونة سنة 1325هـ/1907م.
- ثم كان ضمن هيئة النظارة العلمية لجامع الزيتونة المعمور منذ سنة 1331هـ/1913م.
- كما عُيِّن عضوا في لجان تنقيح وإصلاح برامج التعليم الزيتوني منها صفر 1328هـ/ مارس 1910م، وسنة 1342هـ/1924م، وسنة 1352هـ/1933م.
- تولى مشيخة الجامع الأعظم في جمادى الأولى سنة 1351هـ/سبتمبر 1932م، ويعتبر أول شيخ لإدارة التعليم بالزيتونة⁽³⁾، بتسمية من الباي أحمد الثاني، وقد تخلّى عن مشيخة الجامع في العام الموالي من توليه، بضغط من المقيم العام عقب ما دعي "فتنة التجنيس"⁽⁴⁾، ومعارضة الشيوخ المحافظين

¹ الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقریب؟ ص ص 08-09، 209. وكذلك: محمد بن سعد بن عبد الله القرني: المرجع السابق. ص 18. وأيضا: بلقاسم الغالي: المرجع السابق. ص ص 56-67

² نظارة جامع الزيتونة: الهيئة التي تشرف على شؤون التعليم بالجامع، وتتكوّن من "شيخ الإسلام الحنفي والمالكي والقاضيين الحنفي والمالكي"، سنّها الباي أحمد باشا سنة 1842/1258 محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقریب؟ ص 05.

³ فقد كان قبل سنة 1351هـ/ 1932م يشرف على إدارة التعليم بالزيتونة "نظارة الجامع". محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح ؟ ص 05

⁴ فتنة التجنيس: أصدر الاحتلال الفرنسي قانونا في 1910م، يتيح لمن يرغب من التونسيين التجنس بالجنسية الفرنسية تسهيلات، كما فعل من قبل في الجزائر ومن بعد في المغرب، بغية خلع المواطنين المسلمين عن هويتهم في بلاد المغرب، وقد أفتى كثير من العلماء وقتها بجرمة تجنس المسلم بجنسية البلد المستعمر له فيما يدعى بفقّه النوازل، وأثير قانون التجنيس من جديد في: 20 ديسمبر 1923م، بمنح بعض التونسيين مزيدا من التسهيلات للحصول على الجنسية الفرنسية، فتصدى التونسيون وعلى رأسهم السياسيون الأحرار، وشيوخ العلم لهذا القانون (مثل الكتاب المندد بالتجنيس الذي أصدره محمد محي الدين القليبي وأحمد توفيق المدني وعثمان الكعّك)، ومنع العامة دفن المتجنسين في مقابر المسلمين باعتبارهم مرتدين، مستندين في ذلك على عدة فتاوى، أبرزها فتوى الشيخ الزنكلاوي المدرس بجامع الأزهر والذي أكّد في مارس 1924م بأن حكم المتجنّس في الإسلام مثل حكم المرتدّ عن الدين، وقد سار مفتي بترت الشيخ إدريس الشريف في ديسمبر 1932م في نفس الاتجاه، معتبرا تغيير الجنسية بمثابة تغيير الدين والارتداد عن شريعة الإسلام، وهو ما يخلع عنه حق الغسل والصلاة والدفن مع باقي المسلمين، ممّا أربك الفرنسيين فلجأ المقيم العام الفرنسي "منصيريون Manceron" بالاتفاق مع الوزير الأكبر الهادي الأخوة إلى الحيلة لاستصدار فتوى تضمن للمتجنسين الدفن بمقابر المسلمين، بتوجيه سؤال إلى المجلس الشرعي، مفاده أنه إذا حضر المتجنس أمام القاضي ونطق بالشهادتين، هل يحق له أن يتمتع بنفس حقوق المسلمين ومنها الدفن بمقابرهم؟ فكان جواب رجال المجلس الحنفي بالإيجاب دون تحفظ، أما أعضاء المجلس المالكي ==

على القديم، النابذين للتجديد والاصلاح، ومنهم الشيخ محمد بيرم الخامس والشيخ الطاهر جعفر والشيخ صالح الشريف وغيرهم، واقتصروا الشيخ ابن عاشور على مشيخة الإسلام، ليعود إلى مشيخة الجامع من جديد سنة 1364هـ/1945م، واعتزله 1952م، وإثر استقلال تونس تم تعيينه عميدا للجامعة الزيتونية⁽¹⁾ في 1375هـ/أفريل 1956م إلى سنة 1960م⁽²⁾.

5-3 وظائفه الشرعية:

- بدأ بخطة العدالة "التوثيق" ولم يمارسها.
- عين عضواً بمجلس الاوقاف الأعلى 1911م.
- حاكم بالمجلس المختلط العقاري 1329هـ/1911م.
- انخرط الشيخ في سلك القضاء سنة 1330هـ/1911م، ثم قاضي الجماعة "قاضي القضاة" المالكية 1913م، واستمر في القضاء إلى سنة 1341هـ/1923م.

==فاشترط أحدهم التخلي عن جنسيته المكتسبة، وزاد آخر التخلي عن جميع الامتيازات التي تحصل عليها بموجب التجنيس، لكن المقيم العام للإحراج الذي تسببه الإجابة "**خاصة المالكية**" لم ينشرها، وبذلك فتح الباب أما الشائعات والالتزامات وحديث الغوغاء، وغلبت الحماسة كل عقل، إذ أتهم الشيخ بن عاشور من طرف الزيتونيين بأنه أفق في مسألة التجنيس، فأعلن طلبة جامع الزيتونة ويقدر عددهم آنذاك بنحو 3500 طالب أنهم قرروا الإضراب عن الدروس إلى أن يتخلى الشيخ بن عاشور عن إدارة الجامع، كما سعت الإدارة لاستصدار فتاوى تؤيد التجنيس من طرف المخدوعين أو أشباه العلماء أو **الموالين لفرنسا**، ولم تهدأ البلاد وهاجت وماجت وقامت مظاهرات في معظم المدن التونسية وواصل الطلبة إضرابهم، وفي يوم الجمعة قرر الناس عدم الإقتداء في الصلاة بجميع الأئمة الذين شاركوا في هذه الفتوى، وأن لا تقام الصلاة وراءهم ولا وراء نوابهم بالجوامع التي يؤمونها، فأصبحت حاوية على عروشها، وصلى الناس وراء غيرهم صلاة الجمعة، وأقيم ذكر اسم "**اللطيف**" في الجوامع الكبرى احتجاجاً على هذه الفتوى، وذكر الناس ربه بلسان واحد قائلين "يا لطيف يا لطيف، أطف بديننا الحنيف"، فرأت الحكومة أن من الحكمة أن تدرس الأمر، وسعى المقيم العام الفرنسي لحل الإضراب بالقضاء على أسبابه، فخير الشيخ ابن عاشور بين خطتين: مشيخة الإسلام أو مشيخة الجامع فاختار الأولى، وهكذا انتهى الإضراب. أنظر: حمادي الساحلي، المرجع السابق، ص 221، 146-322، 223. وطارق البشري، (حول تحديد الخطاب الديني ومشاكله)، **مجلة الحج والعمرة**، شهرية تصدر عن وزارة الحج بالسعودية، س 57، ع 5، رجب 1423هـ/سبتمبر-أكتوبر 2002م، ص 67. وأيضاً: محمد المختار بن محمود، (حكم الله في التجنيس)، **الزيتونية** "مجلة شهرية تصدر عن جامع الزيتونة"، مج 01، ج 10، ربيع الثاني 1356هـ/جوان 1937م، ص 02-04. وكذلك: محمد العيد قدح: **الشيخ الحسين حمادي "دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي بتونس ووادي سوف 1902-1982م"**، ط1، مطبعة ذويب، الوادي-الجزائر، 2013. ص 52.

¹ انتقل مقرها من الجامع إلى بناية كبيرة خارجه، وتكونت من ثلاث كليات، لكل كلية تخصصان: كلية الشريعة (شعبة أصول الدين-شعبة القضاء) - كلية القراءات (شعبة علوم القرآن-شعبة الدراسات القرآنية) - كلية اللغة العربية (شعبة الآداب-شعبة اللغة)، ومدة الدراسة سنتين والسنة الثالثة للتخصص.

² محمد محفوظ: المرجع السابق، ج 3 ص 305 وكذلك: مشرف بن احمد جمعان الزهراني: المرجع السابق. ص 22-24.

- رجب 1341هـ/1923م عيّن مفتياً، 1924م مفتي ثاني، ونائب عن الشيخ باش مفتي، وباش مفتي (1) في رجب 1345هـ/جانفي 1927م، فأصبح بذلك كبير أهل الشورى في المجلس الشرعي.
- عيّن شيخ الإسلام (2) المالكي سنة 1350هـ/مارس 1932م، فكان أول من تولاه من المالكية، ثم عيّن في نفس السنة مستشار الحكومة للشؤون الدينية. (3)

6- أخلاقه وعلمه ومكانته:

إن تبوء الشيخ ابن عاشور لمناصب علمية وإدارية وشرعية كبيرة، وجمعه لأعلى المناصب العلمية والشرعية في تونس، "مشيخة الزيتونة" و"شيخ الإسلام"، لدليل على رفعة شأنه وعلو شأنه.

6-1 أخلاقه:

كان واسع الاطلاع جم المعارف والعلوم دؤوبا غزير الانتاج، ومع علمه تزيينه أخلاق عالية أولها التواضع، فلم يداخله الغرور على علمه وسعة اطلاعه، واشتهر بالصبر وقوة الاحتمال والصمود أمام الشدائد، فقد فقد ابنه زين العابدين ومحمد الفاضل واستقبل ذلك برباطة جأش، وامتنح بفتنة التجنيس ومعاودة الشيوخ الرجعيين ضد الاصلاح، فلا كسر ذلك من عزيمته ولا وهن عضده، كما عرف بعلو الهمة والاعتزاز بالنفس والترفع عن الدنايا والصغائر وسفاسف الأمور. (4)

وقد ذاع صيته وانتشر في الآفاق، حيث شارك في مؤتمر المستشرقين باسطنبول، وكان عضوا بمجامع اللغة بالقاهرة ودمشق، فلا غرو أن يكون أول الموشحين بوسام (5) الدولة التونسية، وهو وسام الاستحقاق الثقافي سنة 1968م.

¹ باش مفتي: لقب تركي معناه "كبير المفتين".

² شيخ الإسلام: لقب تفخيمي أطلق منذ القرن 10هـ على رئيس المجلس الشرعي الحنفي دون المالكي، حتى سنة 1932م حيث زال التمايز بين المذهبين، بتقليد رئاسة المجلس المالكي لقب شيخ الإسلام، فكان الشيخ ابن عاشور أول مالكي يتولى هذا اللقب. بلقاسم الغالي: المرجع السابق. ص 62.

³ محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص 09 وأيضاً: محمد حسين: المرجع السابق. ص 33.

⁴ محمد محفوظ: المرجع السابق. ج 3 ص 305-307.

⁵ أعلى وسام ثقافي، يمنح لكل مفكر امتاز بوفرة الانتاج وعمق الابحاث، في مختلف المجالات العلمية والاوساط الفكرية. بلقاسم الغالي: مرجع سابق. ص 68.

6-2 عقيدته ومذهبه:

الشيخ ابن عاشور أشعري العقيدة ⁽¹⁾ ، وذلك من خلال تصريحه، وكذا من خلال ردّه على المعتزلة ⁽²⁾ ، وترجيحه لآراء الأشعري ⁽³⁾ ، ولكنه لم يكن جامدا ولا مترمنا، فقد كان حيث يُوصّله اجتهاده، لذلك تجده يخالف الأشعري في بعض المسائل، مثل رأيه في الاستواء. ⁽⁴⁾

وفي الفقه يعد ابن عاشور من أساطين المالكية، ومردّد ذلك لنشأته العلمية، فقد تربى في وسط شيوخ مذهب مالك ⁽⁵⁾ ، وتقلده المناصب الشرعية تبعا لهذا المذهب، ولكنه غير متعصب ولا مغلق، فله

¹ الأشعرية: مدرسة فكرية إسلامية نسبة لأبي الحسن الأشعري، من كبار أئمتها: البيهقي والنوي والغزالي والعزّ بن عبد السلام والسيوطي وابن عساكر وابن حجر العسقلاني والقرطبي والسبكي، برز هذا المنهج على يد أبي الحسن الأشعري الذي واجه المعتزلة، وقد استمد اجتهاده من المصادر التي أقرّها علماء السنة فيما يخص صفات الخالق ومسائل القضاء والقدر، وبهذا مثل ظهور الأشاعرة نقطة تحوّل في تاريخ أهل السنة والجماعة التي تدعمت بنيتها العقدية بالأساليب الكلامية كالمناطق والقياس، فمثلا أثبت الأشعري أن تغيير المقدمات المنطقية مع استخدام نفس الأدوات التحليلية المعرفية يمكن أن يؤدي إلى نتائج مختلفة، وإلى جانب نصوص الكتاب والسنة، فإن الأشاعرة استخدموا العقل في عدد من الحالات في توضيح بعض مسائل العقيدة، وهناك حالات استخدم فيها عدد من علماء الأشاعرة التأويل لشرح بعض ألفاظ القرآن الموهمة للتشبيه، ويقول أبو الحسن الندوي في الاختلاف الكامل بين الأشاعرة والمعتزلة من جهة، وعدم مطابقتهم تماما لبعض أهل الحديث والحنابلة واختلافهم معهم في جزئيات منهجية من جهة أخرى: "وكان الأشعري مؤمنا بأن مصدر العقيدة هو الوحي والنبوة المحمدية.. وما ثبت عن الصحابة.. وهذا مفترق الطريق بينه وبين المعتزلة، فإنه يتجه في ذلك اتجاها معارضا لاتجاه المعتزلة، ولكنه رغم ذلك يعتقد.. أن الدفاع عن العقيدة السليمة، وغرسها في قلوب الجيل الإسلامي الجديد، يحتاج إلى الحديث بلغة العصر العلمية السائدة، واستعمال المصطلحات العلمية، ومناقشة المعارضين على أسلوبهم العقلي، ولم يكن يسوغ ذلك فقط، بل يعدّه أفضل الجهاد وأعظم القربات في ذلك العصر، وهذا مفترق الطرق بينه وبين كثير من الحنابلة والمحدثين الذين كانوا يتألمون ويتحرجون من التزول إلى هذا المستوى. أبو موسى الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، تح فوقية حسين محمود، ط1، دار الأنصار، مصر، 1977م. صص 37-09.

² المعتزلة: فرقة كلامية إسلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري في البصرة، على يد واصل بن عطاء الغزالي، وازدهرت في العصر العباسي، اعتمدت المعتزلة على العقل وقدموه على النقل في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة، وقالوا بأنّ العقل والفطرة السليمة قادران على تمييز الحلال من الحرام بشكل تلقائي، من أشهر المعتزلة الجاحظ، والخليفة المأمون، وكان تأكيد المعتزلة على التوحيد والعدل الاجتماعي أعطاهم أهمية كبرى لدى العامة في عصر كثرت فيه المظالم الاجتماعية وكثر فيه القول بتشبيه وتجسيم الذات الإلهية، وانطوى تراث المعتزلة لقرون ولم يعرف عنه سوى من كتابات الآخرين سواء من أشاروا إليهم عبورا أو من عارضوهم، إلى أن اكتشف مصادفة في اليمن قبل بضعة عقود أهم كتاب في مذهب الاعتزال وهو "المغني في أبواب التوحيد والعدل" للقاضي عبد الجبار، أطلق على المعتزلة أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصد والوعيدية. حسن عبد الحفيظ أبو الخير وآخرون: الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة-مصر، 2011. ص ص 328 وما بعدها.

³ أبو الحسن الأشعري: (260-324هـ) هو المنظر والمؤسس للمذهب المعروف باسمه "الأشعرية"، بعد أن انشق عن المعتزلة إثر خلاف بينه وبين شيخه، وأراد أن يقيم مذهبا وسطا يجمع بين منهج المعتزلة العقلاني والمنهج النقلي المعتمد على الرواية والحديث. الأشعري: المصدر السابق. صص 92-93.

⁴ مشرف بن احمد جمعان الزهراني: المرجع السابق. ص 24.

⁵ المذهب المالكي: أحد المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة عند أهل السنة والجماعة، ينسب إلى الإمام مالك بن أنس الأصبحي اليمني المولود بالمدينة المنورة سنة 93هـ/712م والمتوفى بها سنة 179هـ/796م، له عدّة مؤلفات أشهرها "الموطأ" الذي جمع فيه الحديث والمسائل الفقهية، له مكانة رفيعة بين الفقهاء، حتى قيل: "لا يفنى ومالك في المدينة، إذا ذكر العلماء فمالك النجم، إمام دار الهجرة، أمير المؤمنين في الحديث"، وله هبة عظيمة يقول الشافعي: "ما هبت أحدا قط هيبتي مالك بن أنس، حين نظرت إليه"، كما يقول سعيد بن أبي مريم: "ما رأيت أشد هبة من مالك،==

فله اجتهاد وترجيح ومناقشة لأقوال الفقهاء ونقدها، يرجح فيها غير المذهب أحياناً، ويستقل برأيه أحياناً أخرى. (1)

وله أربعة أسانيد في رواية الحديث، من خلال إجازات تحصل عليها من شيوخه وهي:

• إجازة جدّه الشيخ محمد العزيز بوعتور عام 1321هـ/1904م.

• إجازة الشيخ عمر بن أحمد ابن الشيخ عام 1325هـ/1907م.

• إجازة الشيخ سالم بوحاجب عام 1328هـ/1910م.

• إجازة الشيخ محمد بن الخوجة. (2)

6-3 سعة اطلاعه:

من يقرأ تصانيف ابن عاشور يرى سعة اطلاعه، وطول باع في الفهوم والعلوم، التي احتوتها آثاره، ويلمس تعدّد موارده العلمية، وتنوّع مشاربه، فتراه يتناول مسيرة التعليم من بدء الخليقة إلى عصره، لمختلف الأقسام، ويغوص في فلسفة الاغريق وآدابهم، وأساطير الأولين، ثم يعرج على نبذ من تاريخ أوروبا بصراع التقدميين ورجال الاكليروس، وقبلها إلمامه بالعلوم الدينية واللغوية، ثم الحديث عن البيداغوجيا... وغيرها، ويحكي أحد تلامذة الزيتونة القدامى (3)، أنه عند ذهابه لحلقته العلمية، يمرّ على حلقة التعليم العالي حيث يدرسه الشيخ الطاهر ابن عاشور، وعندما يصل إلى الحلقة الذكورة، يسيخ بسمعه لكلام الشيخ ابن عاشور، ويتشاكل في مشيته للاستزادة من السماع، فسمعه لمدة ثلاثة أيام وهو يفسر لتلامذته "البسملة".

==لقد كانت هيئته أشد من هيبة السلطان"، يعتمد المذهب المالكي على الكتاب والسنة وعمل اهل المدينة وقول الصحابي والمصالح المرسله (جلب منفعة أو دفع مضرة لم يشهد لها الشرع بإبطال) والقياس وسدّ الذرائع (منع الفعل المباح المؤدي إلى المخطور)، انتشر المذهب المالكي في كثير من بقاع العالم الإسلامي وخاصة في بلاد المغرب. للتوسع في المذهب أنظر: عبد الغني الدقر، الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، ط2، دار القلم، بيروت، 1990م.

¹ مشرف بن احمد جمعان الزهراني: المرجع السابق. ص 24. وأيضاً: محمد بن سعد بن عبد الله القرني: المرجع السابق. ص 26-27.

² محمد بن سعد بن عبد الله القرني: المرجع السابق. ص 19.

³ التلميذ المذكور هو الشيخ الحسين حمادي السوفي 1902-1982م، أصيل بلدة النخلة بوادي سوف. محمد العيد فدع: المرجع السابق. ص 53-54.

السيرة العامة للشيخ عبد الحميد ابن باديس

1307-1359هـ / 1889-1940م

1- اسمه ونسبه ومولده:

عبد الحميد بن محمد مصطفى بن المكّي بن محمد كحول بن الحاج علي النوري بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن بركات بن عبد الرحمان بن باديس الصنهاجي، وأمه من عائلة ابن جلول⁽¹⁾ وهي السيدة زهيرة بنت علي⁽²⁾ ابن جلول.⁽³⁾

1-1 آل باديس - الشجرة الكريمة:

تتوأ أسرة ابن باديس مكانة مرموقة فهي مشهورة بالثراء والجاه، إضافة إلى ألقا من الأسر التاريخية، حيث كانت مسيرة⁽⁴⁾ لدفة السياسية ودواليب الحكم في بلاد المغرب الإسلامي، ونبتت منها شخصيات تاريخية لامعة منها:

- بلكين بن زيري الصنهاجي " القرن 4هـ - عامل الفاطميين، والمعز بن باديس بن بلكين " القرن 5هـ " نائب المعز لدين الله الفاطمي على المغرب، ثم انفصل عنه.⁽⁵⁾
- أبو الحسن علي ابن باديس الذي اشتهر في مجال الأدب الصوفي بقسنطينة إبان القرن 10هـ/16م، والشيخ المفتي " بركات بن باديس " في قسنطينة في الفترة نفسها، ومن أسلاف أسرة "ابن باديس" المتأخرين قاضي قسنطينة الشهير أبو العباس حميدة ابن باديس.

¹ عائلة **ابن جلول** مشهورة بقسنطينة لمدة أربعة قرون على الأقل، وهي من قبيلة "بني معارف" في جبال الاوراس، انتقل أحد أفرادها إلى قسنطينة في عهد **الأتراك العثمانيين** وهناك تزوج أميرة تركية هي جدة العائلة. شريف رضا: تجربة التجديد والاصلاح في فكر ابن باديس ومحمد عبده، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 1432هـ/2011م، ص 19.

² هناك خلاف في نسب أمه، والنسب الذي ذكرته عن **الدكتور عمار طالبي**، أما **الدكتور بوصفصاف** فينسبها هكذا: زهيرة بنت محمد بن عبد الجليل بن جلول عبد الكريم بوصفصاف: **الفكر العربي الحديث والمعاصر** - محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس نموذجاً، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، ج1، 2005، ص 189.

³ **عمار طالبي**: آثار ابن باديس، ط3، الشركة الجزائرية، الجزائر، ج1، 1417هـ/1997م. ص ص 72-73. وكذلك: موقع الشيخ ابن باديس على النت: <http://www.binbadis.net>، تاريخ الإطلاع 21 مارس 2014م.

⁴ عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق. ص 185.

⁵ **عمار طالبي**: المرجع السابق، ج1، ص ص 72-73.

- وفي فترة وجود الاحتلال الفرنسي على أرض الجزائر، تولى جده مكّي ابن باديس القضاء، وكان عضواً في المجلس العام وفي اللجنة البلدية لقسنطينة، وكان موضع تقدير بين السكان بعد المساعدات المالية التي قدمها لهم خاصة أثناء المجاعة التي حلت بالبلاد فيما بين 1862م- 1869م، ودعي إلى الاستشارة في الجزائر وباريس، وقد قلّده "نابليون" (1) الثالث "وساماً". (2)
- وكان والده محمد مصطفى (ت1951م) مندوباً مالياً، ويتمتع بعضوية المجلس الجزائري الأعلى، والمجلس العام، والمجلس العمالي، وباش آغا شرفياً، ومستشاراً بلدياً، وقد احتل مكانة مرموقة بين الأعيان، وكان من ذوي الفضل والخلق الحميد ومن حفظة القرآن الكريم، وفوق هذا وذاك فقد كان ابن باديس الأب، يحسن مجاملة الحكام الفرنسيين واصطناعهم حتى يجعلهم يخفون من ضغطهم ومراقبتهم الشديدة على الأهالي المسلمين في قسنطينة ولا سيما عائلته. (3)

1-2 مولده:

عبد الحميد هو الولد البكر لوالديه، ولد في منزل والده بقسنطينة يوم الأربعاء على الساعة الرابعة ظهراً، وسجل في سجلات الحالة المدنية تحت رقم SX - 531 في اليوم الموالي، الخميس 12 ربيع الثاني 1307هـ (4)، الموافق لـ 05 ديسمبر 1889م (5)، ونشأ في ذات المنزل، برعاية والديه، وخصوصاً الوالد الذي أسبغ عليه من العطف والحنان، وكان له سنداً قوياً وركناً شديداً، يخفف عنه ضغط إدارة الاحتلال لما له من يد ندية تجاههم (6)، وقد قال له يوماً: ((يا عبد الحميد، أنا أكفيك أمر الدنيا، أنفق عليك وأقوم بكل أمورك (...))، فاكفني أمر الآخرة، كن الولد الصالح والعالم الذي ألقى به وجه الله)). (7)

¹ رئيس جمهورية فرنسا 1848-1852م وإمبراطور 1852-1870م، كان يحلم بإنشاء مملكة عربية في الجزائر خلال العقد السابع من القرن 19م.

² عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق. ص 186.

³ عبد الحق ابن باديس: المقابلة السابقة. نقلاً عن- عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق. ص 187-189.

⁴ إن هذه الدقة في تسجيل ميلاد الشيخ ابن باديس، مردّها إلى أنه ولد في وقت ضبط فيه الفرنسيون سجلات الحالة المدنية، التي أتموها سنة 1886م. عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق. ص 185.

⁵ يجعل الدكتور طالي سنة ميلاد ابن باديس بالتقويم الهجري 1308 هـ، وبالحساب يكون التاريخ الصحيح عام 1307هـ.

⁶ عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق. ص 185. وأيضاً: موقع الشيخ ابن باديس على النت: تاريخ الإطلاع 21 مارس 2014م.

⁷ عبد العزيز فيلاي: وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة ابن باديس الدراسية، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، 2012. ص 16.

2- حياته العلمية:

2-1 تعليمه الابتدائي والمتوسط بقسنطينة:

لقد حرص محمد مصطفى ابن باديس على تنشئة ابنه عبد الحميد تنشئة إسلامية، فلم يدخله المدارس الفرنسية كبقية أبنائه، وذلك ديدن العائلات المشهورة، بل أرسله للكتاب القرآني بأحد زوايا الطريقة القادرية ⁽¹⁾ في حي السوق بمدينة قسنطينة، وهو في الخامسة من عمره، فباشر بها أول تعليمه، على يد المعلم الشيخ محمد المداسي ⁽²⁾، ولفطنته واجتهاده ولاه شيخه امامة المصلين في صلاة التراويح بالجامع الكبير بقسنطينة وعمره أحد عشر سنة، تدريباً له على أداء هذه الفريضة، وقبله المصلون رغم صغر سنه وبقي يؤمهم في صلاة التراويح ثلاثة أعوام.

حفظ ابن باديس القرآن الكريم واتقن تجويده، ولم يتجاوز عمره ثلاثة عشر سنة، فاحتفى به والده احتفاء كبيراً، وكرّم شيخه المداسي، تكريماً يليق بالحدث، حيث جعل ابنه المحتفى به يغرف بيده في إناء يحتوي على قطع من الذهب غرفة، وناولها لمؤدبه. ⁽³⁾

وفي سنة 1903م شرع في تعلم العلوم الإسلامية والعربية على شيوخ فضلاء انتقاهم له والده، وأبرزهم الشيخ أحمد أبو حمدان لونيبي ⁽⁴⁾، وقد اعتنى الشيخ لونيبي بتلميذه عبد الحميد اعتناء خاصاً، لما رآه فيه من الاستعداد الفطري والذكاء وقوة الشخصية، لذلك نصحه بأن يتفرغ لخدمة العلم ونشره وألا يقرب الوظيفة لأنها تدفن العبقرية وتقيد الحرية.

¹ كانت أسرته من أتباع **الطريقة القادرية** وكذلك معلمه **الشيخ المداسي**، ذلك أن التبعية لإحدى **الطرق الصوفية** في ذلك العهد، ظاهرة شائعة مرغوبة بل واجبة مفروضة، حتى أن **الزوايا** رفعت شعار: "من لا شيخ له فالشيطان شيخه". عبد الحق ابن باديس: المقابلة السابقة. نقلاً عن- عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق. ص ص 288-291.

² عمار طالي: المرجع السابق. ج 1 ص 74.

³ عبد العزيز فيلاي: وثائق جديدة، مرجع سابق. ص 16.

⁴ **محمد حمدان لونيبي (ت 1920م)**: من أهل قسنطينة، تلقى دراسته في **مساجد ومدارس** هذه المدينة، على كبار علماء عصره، ولا سيما **الشيخ الأستاذ عبد القادر المجاوي (ت 1914م)**، شيخ شيوخ المدينة ومؤسس النهضة في الجزائر، تولى التدريس والإمامة **بالجامع الكبير ببطحاء سيدي الشيخ** منذ سنة 1881م، وكان الشيخ لونيبي من أتباع الطريقة التيجانية، عمل أستاذاً بالمدرسة الرسمية الفرنسية في **الكتانية** أيضاً، وله نشاط علمي ودعوي ذؤوب في المدينة، اعتنى بالإمام عبد الحميد بن باديس عناية خاصة لما وجد فيه من نبوغ فكري مبكر، وشغف كبير للعلم والمعرفة، تعرض حمدان لونيبي لمضايقات الإدارة الفرنسية فأوقفوه من التدريس في **الجامع الكبير**، بسبب نشاطه العلمي والديني والوطني، فهاجر إلى المدينة المنورة هروباً من هذه المضايقات وكان الإمام عبد الحميد يرغب في الهجرة معه لكن أباه منعه من ذلك، وقد أوصى أستاذه أباه **محمد المصطفى** بإرساله إلى الزيتونة لاستكمال دراسته. عبد العزيز فيلاي: وثائق جديدة... ص 49.

وقد لازم ابن باديس شيخه لونيسي خمسة أعوام يحضر دروسه بمسجد سيدي محمد النجار بقسنطينة، حيث يغترف من علمه ونصائحه وتوجيهاته، تحصل فيها على جانب وافر من العلوم العربية والإسلامية والتوجيه الحسن، وفي أثناء ذلك زوجه والده من ابنة عمه سنة 1904م، لكن زواجه لم يكن عائقا له عن مواصلة الدرس والتحصيل، وفي سنة 1908م هاجر أستاذه لونيسي الى المدينة المنورة ⁽¹⁾ تبرما بمضايقات الاحتلال، وخوفا من منعه احتج بمعالجة بصره، ولشدة تعلق عبد الحميد بأستاذه قرر السفر معه أو اللحاق به مهاجرا في طلب العلم، غير أن أباه منعه من ذلك فرقا عليه، وكان الشيخ لونيسي قد نصح مصطفى بإرسال ابنه إلى جامع الزيتونة لنهل العلوم والمعارف من شيوخه الكبار، لما رأى فيه من النباهة والجد والإصرار. ⁽²⁾

2-2 دراسته العليا بتونس:

وبعد سفر الشيخ لونيسي إلى الديار الحجازية، سافر تلميذه عبد الحميد إلى تونس لاستكمال دراسته سنة 1908م أو 1910م، تاركا الزوجة والولد في كفالة والديه، وقد أهلكته الدروس التي تلقاها بقسنطينة للحصول على مستوى السنة الرابعة من التعليم الزيتوني حسب نظام "الادعاء" ⁽³⁾، فبدأ الدراسة من السنة الخامسة، فكان ذلك من جميل الأقدار أن استطاع اختصار مراحل الدراسة التي تلزم لنيل شهادة التطويع، من سبع سنوات حسب البرامج المقررة إلى ثلاث سنوات فقط، وقد ساعده في ذلك الظروف السائدة في الزيتونة ⁽⁴⁾ آنذاك. ⁽⁵⁾

كما كان يحضر جانبا من المحاضرات التي كانت تلقى على منابر جمعيتي قدماء الصادقية والخلدونية، وقد كان بعض أساتذته يحاضرون بهما، ومهم الشيخ محمد النخلي، والشيخ الطاهر بن عاشور،

¹ ويزعم الدكتور فيلاي أن هجرة حمدان الونيسي إلى بلاد المشرق كانت في سنة 1910م، وزعمه هذا مبني على أن تلميذه عبد الحميد تنقل إلى جامع الزيتونة في هذه السنة، وليس سنة 1908م كما هو متداول، وأن الشيخ لونيسي كان آخر من درس ابن باديس بقسنطينة، ومعلومته عن سفر ابن باديس لطلب العلم بالزيتونة سنة 1910م استقفاها من دفتره الدراسي بالزيتونة. عبد العزيز فيلاي: وثائق جديدة... صص 19-23.

² عمار طالي: المرجع السابق. ص 74.

³ نظام الادعاء: وهو امتحان الطالب الجديد حول ما اكتسب من علوم، حيث يتم تحديد مستواه بعد الامتحان.

⁴ في هذه السنة صدر قرار بإبطال نظام الادعاء، والنص على قضاء الطالب 07 سنين لنيل شهادة التطويع، فهاج الطلبة الزيتونيون وماجوا وقاموا بالاحتجاج، وخوفا من تفاقم الاضطرابات استجيب لطلبهم وعلق العمل بهذا القانون إلى السنة الموالية، فكان ذلك من حظ ابن باديس الذي دخل ضمن امتحان الادعاء. عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق. ص 215.

⁵ نفس المرجع. ص 215.

وبعد ثلاث سنوات توجت دراسته بنيل شهادة التطويع الزيتونية سنة 1911م، حيث تفوّق على جميع أُنْداده، بناء على وجود اسمه في رأس قائمة الناجحين، التي نشرتها جريدة المشير التونسية. (1)

وبذلك حقق ابن باديس حلم والديه، وقد قصّ ابن باديس على تلاميذه ذات يوم هذا الحلم فقال: ((وحيثما ولجت الدار أسرع إليّ أبي فعانقني، وقال لأمي في سرور وابتهاج: ها هو قد جاءك عالما، فانطلقت من فمها زغرودة ما زلت أتذكرها ولن أنساها وشعرت من أعماقي منذ ذلك اليوم بمدى عبء المسؤولية التي أحملها على عاتقي بصفتي عالما، وكم أثّرت في نفسي تلك المناسبة الباقية في ذاكرتي ما دمت حيا))، كما حقق حلم أستاذه لونيسي، الذي أشاد بمواهبه وفطنته، ووجهه نحو طلب المعرفة بوصيته: ((العلم للعلم، وليس للتوظيف أو المنصب الإداري)). (2)

أقام ابن باديس أثناء دراسته بتونس، بمدرسة النخلة نهج الكتبية رقم 11 قرب جامع الزيتونة، وكان يسكن بها أحد شيوخه وهو المرحوم سعد السطافي. وقد أثّرت السنوات الأربع التي قضاها في تونس طالبا للعلم وأستاذا في شخصه تأثيرا بالغاً ما فتئ يذكره بعاطفة جيّاشة على أعمدة صحافته لاحقا. (3)

وقد تلقى الشيخ ابن باديس بالزيتونة المواد العلمية المقررة والمتعلقة بالمرحلة الثانوية التي تتوج بشهادة التطويع، وأهمها: (4) الفقه، أصول الفقه، المنطق، علم الكلام، اللغة العربية وعلومها، علم الفرائض "المواريث"، الحديث الشريف، السيرة النبوية، علوم القرآن.

إن العلوم والمعارف التي ازدان بها فكر ابن باديس بتونس، كانت على يد شيوخ أفذاذ لهم أكبر الأثر في تكوينه العلمي، ومنهم: (5)

¹ عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق. ص ص 219-221.

² نفسه. ص 228.

³ عبد الحميد ابن باديس: (المجلة الزيتونية)، مجلة الشهاب، ج 10، م 12، غرة شوال 1355هـ، جانفي 1937م، ص 440. وأيضا: عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق. ص ص 218-222.

⁴ أنظر أسماء الأساتذة وموادهم وتاريخ الامتحانات في الدفتر الدراسي للتلميذ عبد الحميد. ورقات 3-25. نقلا عن- عبد العزيز فيلاي: وثائق جديدة... ص ص 23-33، 74-96.

⁵ أنظر الدفتر الدراسي للطالب عبد الحميد ابن باديس ورقة 25-36. نقلا عن- عبد العزيز فيلاي: وثائق جديدة... ص ص 23-33. أنظر أيضا: عبد الحميد ابن باديس: (المجلة الزيتونية)، مجلة الشهاب، ج 10، م 12، غرة شوال 1355هـ، جانفي 1937م، ص 441.

الشيخ محمد الأخضر بن حسين "الخضر الحسين" الطولقي الجزائري التونسي ثم المصري، أبو محمد بلحسن "النجار" بن الشيخ المفتي محمد النجار، الشيخ الصادق النيفر، الشيخ محمد بن القاضي، الشيخ محمد العزيز الوزير⁽¹⁾، الشيخ محمد بن يوسف⁽²⁾، سعد السطايفي الجزائري، الشيخ الشريف بن السعيد، الشيخ محمد بن الشريف، الشيخ محمد الصادق النيفر⁽³⁾، الشيخ صالح الهواري، الشيخ محمد بن الخوجة، الشيخ عبد الرحمان البناي، الشيخ حسن بن الحاج عمر، الشيخ "محمد بن الطيب بوشناق، الشيخ محمد الصادق بن القاضي⁽⁴⁾، الاستاذ محمد البشير صفر.⁽⁵⁾

وأهم شخصيتين تركا الأثر العميق في تكوين شخصية ابن باديس العلمية، وشهدا لهما بالرفعة والمهارة في خوض بحار المعارف والعلوم، هما الشيخ محمد النخلي القيرواني⁽⁶⁾، الشيخ الطاهر ابن عاشور.⁽⁷⁾

¹ محمد العزيز الوزير: تحصل على شهادة التطويع من الزيتونة سنة 1907م، ثم تولى التدريس بها سنة 1910م أي في السنة التي التحق بها الإمام عبد الحميد بن باديس، كان من بين الأساتذة الذين عملوا على إصلاح التعليم بالزيتونة، تقلّد مفتي المالكية، وترأس مشيخة الزيتونة سنة 1943م، ثم لقب بشيخ الإسلام المالكية سنة 1945م، كما تولى وزارة العدل بتونس سنة 1947م ولهذا يلقب بالوزير، توفي سنة 1970م أجاز الإمام عبد الحميد بن باديس إجازة عامة، عندما التقى به في المدينة المنورة في شهر فيفري 1914م. عبد العزيز فيلالي: وثائق جديدة... ص 51.

² محمد بن يوسف (1863م-1938م): درس بالزيتونة وتحصل منها على التطويع، وصار مدرسا بها وشارك في مؤتمر المستشرقين في باريس سنة 1906م، تولى خطة الإفتاء سنة 1913م ولقب بشيخ الإسلام على المذهب الحنبلي سنة 1931م وأجاز الإمام عبد الحميد بن باديس إجازات خاصة وإجازة عامة آخرها كانت سنة 1920م. عبد العزيز فيلالي: وثائق جديدة... ص 51.

³ محمد الصادق النيفر (1882م-1938م): تولى التدريس بجامع الزيتونة، تقلّد القضاء المالكي وصار قاضي القضاة في تونس، كما انخرط في العمل السياسي وأصبح عضوا في اللجنة التنفيذية للحزب الحر، تولى الإمامة والخطابة بجامع الزيتونة، درّس الإمام عبد الحميد بن باديس في مرحلة التطويع وما بعده، وصفه ابن باديس بأنه: "العلامة المحقق الفقيه النوازي المتفنن" فيلالي: وثائق جديدة... ص 52 وأيضا: بوصفصاف: المرجع السابق. ص 223.

⁴ محمد الصادق بن القاضي (1850م-1911م): اشتغل بالتدريس في جامع الزيتونة والمدرسة الصادقية، عين إماما خطيبا مساعدا بجامع باشا بتونس العاصمة كان يتبع الطريقة التجانية، تتلمذ عليه الإمام في مرحلة التطويع. عبد العزيز فيلالي: وثائق جديدة... ص 52.

⁵ محمد البشير صفر (1856م-1917م): ولد بتونس سنة 1856م، تعلم بمدرسة الصادقية وحفظ نصيبا من القرآن الكريم، وأخذ بعض العلوم من الزيتونة، أرسل في بعثة لفرنسا لدراسة الهندسة والرياضيات، تقلّد مناصب في الدولة التونسية منها رئيسا لجمعية الأوقاف، ثم واليا على مدينة سوسة سنة 1908م. ربما درس عليه الإمام دراسة غير مباشرة حيث يقول: "بأن كرايس البشير صفر الصغيرة الحجم العزيزة العلم هي التي كان لها الفضل في اطلاعي على تاريخ أمتي والتي زرعت في صدري هذه الروح التي انتهت اليوم لأن أكون جنديا من جنود الجزائر" عبد العزيز فيلالي: وثائق جديدة... ص 51.

⁶ محمد النخلي القيرواني (1867-1924): تولى التدريس بالزيتونة وكان من كبار شيوخها، درّس فلسفة الأخلاق بالمدرسة الخلدونية، يعد من أهم أساتذة الإمام عبد الحميد بن باديس بالزيتونة، وزعيم النهضة الفكرية في تونس درّسه التفسير، فأثر فيه تأثيرا علميا كبيرا.

⁷ عمار طالي: المرجع السابق. ج 1 ص 75-77، 92 وكذلك: عبد العزيز فيلالي: وثائق جديدة... ص 50.

2-3 رحلته إلى الحج وطلب العلم:

بعد اكمال دراسته بالزيتونة، عاد الشيخ ابن باديس إلى مسقط رأسه قسنطينة، وانتصب للتدريس بالجامع الكبير، لكنه واجه مشاكل وعقبات، ثم منعه الشيخ المولود بن الموهوب من التدريس، فقام اثر ذلك برحلة للبلاد المشرقية لأداء فريضة الحج والاستزادة من طلب العلوم والمعارف، وخلال رحلته التقى بعدة شيوخ تتلمذ عليهم وأجازوه، وكان مبدأ هذه الرحلة منتصف أكتوبر 1913م لمدة تزيد على خمسة أشهر بدأها بالحج إلى بيت الله الحرام.⁽¹⁾

وبعد انتهاء الموسم توجه إلى المدينة المنورة، وفيها التقى بشيخه السابق حمدان لونيبي المدرس بالمسجد النبوي، وحضر جانباً من دروسه، ودروس غيره من علماء المدينة وشيوخها، وألقى هو الآخر دروساً أمام أستاذه وشيوخ المسجد وغيرهم فأعجبوا بفصاحته وعلمه، ولعل هذا ما جعل شيخه لونيبي ينصحه بالإقامة الدائمة في المدينة المنورة، لينتفع الزائرون لها من علمه، لكن الشيخ حسين أحمد أبادي الهندي⁽²⁾ أقنعه بالعودة إلى وطنه الذي يحتاج إلى علمه وجهده في التعليم والإصلاح ومكافحة الاحتلال، وحول هذه الحادثة روى ابن باديس، يوم تدشين دار الحديث بمدينة تلمسان سنة 1937م، حيث قال : ((أذكر أني لما زرت المدينة المنورة واتصلت فيها بشيخي الأستاذ حمدان لونيبي المهاجر الجزائري، وشيخي حسين أحمد الهندي أشار علي الأول بالهجرة إلى المدينة المنورة، وقطع كل علاقة لي بالوطن، وأشار علي الثاني - وكان عالماً حكيماً - بالعودة إلى الوطن، وخدمة الإسلام فيه والعربية، بقدر الجهد، فحقق الله رأي الشيخ الثاني ورجعنا إلى الوطن بقصد خدمته، فنحن لا نهجر، نحن حراس الإسلام والعربية والقومية بجميع مقوماتها في هذا الوطن)).⁽³⁾

كما تعرّف بالمدينة على رفيقي دربه في الإصلاح لاحقاً الشيخ البشير الإبراهيمي، الذي التحق بوالده في المدينة منذ سنة 1910م، والشيخ الطيب العقبي الذي هاجر إليها مع عائلته سنة 1896م.⁽⁴⁾

¹ عمار طالي: المرجع السابق. ص 80.

² **حسين أحمد الفيض أبادي الهندي (1878م-1957م/1377هـ):** ولد بالهند وحفظ القرآن الكريم وتعلم العلوم الشرعية، تصدر التدريس بالمسجد النبوي الشريف، وكان من أشهر مدرسيه، حتى لقب بخادم العلم بالمسجد النبوي، طلب منه أن يفتي بضرورة الخروج عن الدولة، لكنه رفض، فنفي إلى مالطة، وأطلق سراحه بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، فعاد إلى الهند، وتولى بها مشيخة تدريس الحديث الشريف بجامعة "ديوبند"، كما عمل نائب رئيس جمعية العلماء بدلهي عاصمة الهند، اجاز الإمام عبد الحميد بن باديس اجازة عامة بالمدينة المنورة، بعد أن أخذ عنه دروساً وتوجيهات، وتوفي سنة 1957م. عبد العزيز فيلاي: وثائق جديدة... ص 53.

³ عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق. ص 229-230. أيضاً: ابن باديس: (الاحتفال الرائع بافتتاح مدرسة "دار الحديث" بتلمسان)، الشهاب، ج8، م13، شعبان 1356هـ/أكتوبر 1937م. ص 355.

⁴ عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق. ص 229.

ثم أعقب الحج بزيارة لعدة أقطار عربية، حيث عرّج على بلاد الشام فمكث أياماً بدمشق، ومنها إلى بيروت، ثم فلسطين حيث زار ثالث الحرمين الشريفين، بيت المقدس، وبعدها توجه لتقاء الديار المصرية، التي بدأها بالعريش ثم بور سعيد فالإسكندرية، التي توقف بها عدة أيام، التقى فيها بشيوخها وعلمائها، وكانت له جلسات علمية وحلقات فقهية معهم، ولا سيما مع كبير علماء الإسكندرية الأستاذ الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي⁽¹⁾، الذي تقلد رئاسة الأزهر الشريف، فأجازه إجازة عامة في نهاية شهر ربيع الأول سنة 1332هـ الموافق لـ 24 فيفري 1914م⁽²⁾، وحضر جانباً من الدروس في الأزهر، فمنحت له شهادة العالمية من قبل شيخ الأزهر محمد بخيت المطيعي⁽³⁾، الذي أجازه كذلك.⁽⁴⁾

ورغم قصر هذه الرحلة إلا أن الشيخ ابن باديس بجمته واجتهاده وحرصه، استفاد منها أيما استفادة، من خلال الشيوخ الذين التقاهم، بالعلوم والمعارف التي حصلها منهم، وتبادل الأفكار ووجهات النظر، وتشخيص داء الأمة العربية والإسلامية، وتكوين أواصر الاخوة والصدقة، وبعد أن قضى مدة الرحلة عاد إلى الجزائر.⁽⁵⁾

2-4 عوامل نبوغه:

لقد تضافرت عدة عوامل في بناء شخصية ابن باديس العلمية والفكرية، وقد سبق ذكر بعضها، وأهمها التكوين العلمي الذي تلقاه خلال مشواره التعليمي، والشيوخ الذين أولوه عناية فائقة، مبدؤها اجتهاده ونجابهته وذكاءه، ومن العوامل الأخرى التي ساهمت في تشكيل شخصيته:

- إن الإنسان ابن بيئته، وبيئة ابن باديس أكبر عامل لبلوغه هذا الشأو.
- نشأته في أسرة ثرية كفته مؤونة العيش ومطالب الدنيا، فكان ذلك عاملاً لتفرغه للعلم.

¹ أبو الفضل محمد الجيزاوي (1264-1346هـ/1848-1928م): يعد من كبار علماء مصر، تولى رئاسة مشيخة الأزهر الشريف سنة 1917م، دامت هذه المشيخة نحو 10 سنوات، خطى خلالها بنظام التعليم في الأزهر، خطوات هامة، ولا سيما الإصلاح التربوي والمنهجي، وطرق التدريس، أجاز الإمام عبد حميد بن باديس اجازة عامة بالإسكندرية عام 1914م توفي سنة 1928م. عبد العزيز فيلاي: وثائق جديدة... ص 53.

² الدفتر المدرسي لابن باديس: إجازة الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي، ورقة 45 نقلا عن- عبد العزيز فيلاي: وثائق جديدة... ص 122.

³ محمد بخيت المطيعي (1854-1936م): أصله من بلدة المطيعة من أعمال أسيوط بالجنوب المصري، درس بالأزهر وتلمذ على الشيخين الافغاني ومحمد عبده، فتأثر بأرائهما ودعا إلى الإصلاح، درس بالجامع الأزهر وأصبح من كبار علمائه ثم شيخاً له، وتقلد وظيفة القضاء الشرعي سنة 1880م، ثم تولى منصب مفتي الديار المصرية، تشهد على كفاءته وأهليته للمشيخة مؤلفاته العديدة. كان حنفي المذهب، توفي سنة 1936م. عبد العزيز فيلاي: وثائق جديدة... ص 53.

⁴ عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق. ص 219.

⁵ شريف رضا: المرجع السابق. ص 23.

- رعاية والده له وتوجيهه لوجهة العلم وإعانتته بكل متاح، ولم يحاول قط ثني ابنه عن أي عمل يقوم به في الإصلاح كعادة من كانوا في مثل وظيفته ومركزه، كما أنه لم يلحقه بالمدارس الفرنسية بحكم رفعة العائلة، فيقول فيه الشيخ: ((إن الفضل يرجع أولاً إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة، ورضي لي العلم طريقة أتبعها، ومشرباً أردّه، وقاتي وأعاشني وبراني كالسهم وراشني، وحماني من المكاره صغيراً وكبيراً)).
- معاناة الجزائريين جراء سياسة الاحتلال، المبنية على التمييز العنصري والتجهيل.
- جبلة الشيخ وتركيبته، فقد كان يملك ذكاء وقادا، وذاكرة قوية، وروحا سامية تنو إلى المعالي، وتنفر من سفاسف الأمور.
- تأثره بدعوات الإصلاح المتعددة، فقد مكث مدة في تونس، وفترة بالحجاز، كما زار مصر التي مازالت إصلاحات الشيخ محمد عبده، ودعوة أستاذه جمال الدين الأفغاني في تفاعل أقطاب العلم بين مناصر ومعارض، ولا ننسى مجلة المنار التي أثنى الشيخ ابن باديس على صاحبها الشيخ محمد رشيد رضا.
- القرآن الكريم الذي هذب روحه، وسما بأفكاره، فكان أكثر آثاره حوله شرحا وتفسيرا، وكرّس له ربع قرن من حياته، وجعله مرتكزا للتربية، وها هو يقول: ((فإننا -والحمد لله- نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم، ونوجه نفوسهم إلى القرآن كل يوم)).⁽¹⁾

3- أسرته:

تزوج ابن باديس في سن مبكرة، حيث سارع والده بعقد قرانه في 08 مارس 1901م وعمر 11 سنة، بإحدى بنات عمومته السيدة اليامنة بنت أبوبكر ابن باديس، ولما بلغ 15 سنة تمت مراسم الزواج، سنة 1904م، فكان ثمرة هذا الزواج ولداً أسماه "عبده اسماعيل"، توفي صغيراً إثر حادث مروّع⁽²⁾، أما زوجته لم تستمر معه طيلة حياته، ذلك أنه كان يقضي جلّ وقته خارج البيت في الدرس والخطابة والدعوة،

¹ عمار طالبي: المرجع السابق. ص ص 77-80.

² ويقال عن سبب وفاته، إنه كان يتجول في ضيعة جدّه، إذ شاهد أحد حراس المزرعة يعلق بندقيته المعبأة بالرصاص على جذع شجرة، فحملها إسماعيل وراح يلهو بها، فخرجت منها رصاصة استقرت بصدرة فأردته قتيلاً، وكان عمره 17 عاماً، في 19 رمضان عام 1337هـ (يوافق لـ 17 جوان 1919م)، كما هو مكتوب على قبره، وهو مدفون إلى جوار أبيه. عمار طالبي: المرجع السابق. ص 75. وكذلك: عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق. ص 190.

ولم يعد يزور البيت إلا نادرا، فلم تحتمل زوجته الوضع، وغادرت بيت أهله، طالبة أن تقيم وحدها عوضا عن بيت والده، وكان هو يريد أن يقيها ضمن أفراد عائلة أبيه، حتى تتوفر لديه الحرية أكثر في الحركة والنشاط، وعندما رجع ولم يجدها رفض الذهاب لإحضارها رغم إلحاح والده، وبعد عدة أيام ولم ترجع للبيت طلقها، ورفض العدول عن قراره رغم محاولات أهل الزوجين، بل رفض الزواج مرة أخرى، وتفرغ لخدمة العلم درسا وتدرسا. (1)

4- وفاته:

لقد عاش الشيخ عبد الحميد بن باديس للفكرة والمبدأ، لم يحد عن فكرته ومبدئه قيد أنملة حتى آخر رمق من حياته، يوم الثلاثاء 08 ربيع الأول 1359هـ/16 أبريل 1940م، على الساعة 02:30 بعد الزوال، متأثراً بمرضه بمسقط رأسه مدينة قسنطينة، وكان محاطا بوالده وشقيقه الأكبر الزبير، والطبيب الفرنسي القادم من العاصمة "لوفي فالونزي" وابن خاله الطبيب القسنطيني الشهير محمد الصالح بن جلول.

وشيّعت جنازته في اليوم التالي لوفاته عصر يوم الأربعاء، جموع غفيرة من داخل قسنطينة ومن خارجها، فحضر جنازته بين 50 إلى 100 ألف شخص، رغم كل العراقيل التي وضعتها سلطة الاحتلال للحدّ من أعداد المشيعين، وقد حمل جثمانه إلى مشواه الأخير طلبة الجامع الأخضر دون غيرهم، وتولى إمامة الناس في الصلاة عليه الشيخ العربي التبسي، كما تولى تأيينه كل من الشيخ مبارك المليلي والعربي التبسي والدكتور محمد الصالح بن جلول، ودفن في مقبرة آل باديس الخاصة قرب مقبرة قسنطينة، تغمدته الله برحمته الواسعة.

واقمت إذاعة برلين السلطة الفرنسية باغتياله بالسّم، وذلك يوم 09 ماي 1940م على لسان الشيخ تقي الدين الهلالي 1311-1407هـ/1893-1987م وهو أمر وارد وإن كان يحتاج إلى أدلة قاطعة للتسليم به، ومن قائل أنه مات مودة طبيعية، وأخرى أنه مات بسرطان الأمعاء، أو بسبب تراكم التعب والارهاق جراء العمل المضني المتتابع لمدة تفوق ربع قرن، وهذا دأب الناس عند موت كل عظيم. (2)

¹ عبد الحق ابن باديس: المقابلة السابقة. نقلا عن-بوصفصاف: المرجع السابق. ص190. وأيضا: عبد العزيز فيلاي: وثائق جديدة...ص18.

² عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق. ص255. وكذلك: مولود عويمر: (الإمام عبد الحميد بن باديس المصلح الناصر)، موقع ابن باديس. : <http://www.binbadis.net>، تاريخ الإطلاع: 21 مارس 2014م.

5- وظائفه ونشاطاته العلمية والإدارية والشرعية:

لقد أسلفنا القول أن الشيخ لونيسي أوصى تلميذه ابن باديس، أن يدرس العلم للعلم لا للتوظيف ولا للريغيف، وألا يقرب الوظائف الحكومية حتى لا تكبله بقيودها، يقول ابن باديس: "فقد أوصاني - أي حمدان لونيسي - وشدد عليّ أن لا أقرب الوظيفة ولا أرضاها ما حييت، ولا أتخذ علمي مطية لها كما كان يفعل أمثالي في ذلك الوقت".⁽¹⁾

وعمل ابن باديس بوصية أستاذه فاعتزل الوظيفة الرسمية طول حياته، ولم يسع وراءها، ولا قبلها حين عرضت عليه، لهذا بقي متحررا طول حياته، لا يخضع إلا لأفكاره ومبادئه، وظل كذلك يعيش، على أموال والده أحيانا وعلى صندوق الطلبة أحيانا أخرى إلى أن توفي⁽²⁾، كما أوصى هو بدوره تلاميذه ألا يقربوا الوظائف الحكومية عند فرنسا، حتى يعيشوا مثله أحرارا لأفكارهم ومبادئهم ورسالتهم الإصلاحية.

5-1 وظائفه ونشاطاته العلمية:

- بعد نيله لشهادة التطويع سنة 1912م، مكث ابن باديس يدرس في الزيتونة لمدة عام، وهي سنة جرت بالجامع.
- ولما عاد إلى قسنطينة بدأ التدريس، ولم ينقطع عنه إلى أن توفي.
- نشط في الصحافة، وقام بعدة رحلات داخل الوطن وحتى خارجه بغية التوعية وخدمة العلم.⁽³⁾

5-2 المناصب الادارية التي تولاها:

- ترأس جمعية التربية والتعليم الإسلامية، لإحياء التعليم العربي الإسلامي، وعمل على توسيع نشاطها.
- سعى لإنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتولى رئاستها منذ نشأتها إلى وفاته (1931-1940م).
- كان ضمن عضوية وفد المؤتمر الإسلامي إلى فرنسا.⁽⁴⁾

5-3 وظائفه الشرعية:

كما كان ابن باديس إماما للناس في الإصلاح، وبعث الشخصية الجزائرية المنفصلة عن فرنسا فقد أمهم في صلاتهم، متطوعا وليس بصفة رسمية، إذ فرض نفسه في أرض الواقع على سلطة الاحتلال،

¹ عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق. ص 192.

² عبد الحق ابن باديس: المقابلة السابقة. نقلا عن - عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق. ص 231.

³ عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق. ص ص 228، 396، 415.

⁴ عمار طالبي: المرجع السابق. ص 114. ومالك بن خليف: المرجع السابق. ص ص 364، 425.

ولم تجد بدا من الإذعان المكروه، طالما لم يظهر عداء صريحاً، كما قام ابن باديس أحياناً بعمل القاضي الشرعي بتوجه المتخاصمين إليه أو بسعيه شخصياً، ومن ذلك اصلاح ذات البين، ومنه ما فعله أثناء زيارته إلى وادي سوف في ديسمبر 1937م حين أصلح بين أتباع الطريقتين التيجانية والقادرية ببلدة الرقية.⁽¹⁾

6- أخلاقه وعلمه ومكانته:

كان للشيخ عبد الحميد ابن باديس بُعد الصيت، ورفعة المنزلة، بين أهل العلم والصلاح والاصلاح، وهذا بفضل رفعة أخلاقه ونبوغه العلمي.

6-1 أخلاقه:

يتحلى ابن باديس بخلال كريمة وشيم عظيمة، منها والزهد فقد أتاه أحد أنصاره ذات يوم، بما تشتهيه النفس من الطعام فقال له الشيخ: ((ألا تعلم أنني ابن المصطفى بن باديس ؟ وان أنواعا مختلفة من الطعام اللذيذ تعد كل يوم في بيته، لو أردت التمتع بالطعام لفعلت، ولكن ضميري لا يسمح لي بذلك وطلبي يسيغون الخبز بالزيت وقد يأكله بعضهم بالماء))⁽²⁾ ، كما عرف بالصبر وقوة الشكيمة وثبات الجنان عند المكاره العظام، فلما مات ولده موته المفاجئة الأليمة، كان الشيخ ابن باديس يقدم دروسه لتلاميذه داخل المسجد، فتقدم منه أحد أصدقائه وأسرّ له بالخبر الحزن، فأكمل الدرس حتى نهايته، ثم انفرد في زاوية خاصة وراح يذرف الدمع، وتكرر نفس المشهد عندما توفي شقيقه سليم، وكان حينها أيضاً في حلقة الدرس.

كما عرف بالتواضع والسماحة والتسامح العفو عند المقدرة فقد عفا عن الذي حاول اغتياله، وبالجرأة والشجاعة والثبات والتضحية والأنفة وعزة النفس، فلم يضعف أمام مضايقات ومناورات سلطة الاحتلال، ولا لإغراءاته ومساوماته، ومن شيمه أيضاً الجِدّ والثابرة وطول النفس والارادة الفولاذية، ويكفيك من ذلك أنه يبدأ الدروس من بعد صلاة الفجر إلى منتصف الليل، لا يقطعها إلا قليلاً وقت القيلولة، وكان هذا ديدنه سنوات طوال.⁽³⁾

¹ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (شعبة الوادي): (الزيارة التاريخية لوفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس لوادي سوف سنة 1937م)، الشهاب الجديد، ع1، ربيع الأول 1427هـ/أبريل 2006م، ص13.

² عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 188.

³ عمار طالي: المرجع السابق، ص 120.

6-2 عقيدته ومذهبه:

اعتزل الشيخ ابن باديس المبادئ والأفكار والبراهين الكلامية والفلسفية، ونادى بسلوك منهج الصحابة المبني على الفطرة الانسانية البسيطة، الذين استقوْ عقيدتهم من المعين الأصيل، والمورد الصافي "الكتاب والسنة"، أما مذهبه فهو مالكي بحكم تكوينه، لكنه كان يدعو إلى الاجتهاد⁽¹⁾، وأهاب بالأمة للرجوع إلى منابع الإسلام الأولى، وانتقد بشدة أعمال بعض رجال الصوفية، خصوصا ما يفسد العقائد، وأبرزهم صاحب الطريقة العليوية، وتعرض لذلك إلى محاولة إغتيال يوم 14/12/1926م، لكنه نجا منها وعوقب الجاني بخمس سنوات سجن⁽²⁾، وفي هذه الحادثة أنشد محمد العيد آل خليفة قصيدة منها:

حَمَّتْكَ يَدُ الْمَوْلَى وَكُنْتُ بِهَا أَوْلَى	فِيَاكَ مِنْ شَيْخٍ حَمَّتْهُ يَدُ الْمَوْلَى
فَيَا لَوْ ضِيعَ النَّفْسُ كَيْفَ تَطَاوَلْتُ	بِهِ نَفْسُهُ حَتَّى أَسْرَ لَكَ الْقَتْلَ
فَوَافَتْكَ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ طَلَائِعُ	مُبَارَكَةٌ تَتَرَى مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى
وَأِنْ أُنْسَ لَا أُنْسَى الَّذِينَ تَظَافَرُوا	عَلَى الْفَتْلِ بِالْجَانِي فَقُلْتَ لَهُمْ مَهْلًا

¹ عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق. ص ص 304-319. وكذا: عمار طالبي: المرجع السابق. ص ص 91-92.

² أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة. أو القصة الكاملة للسلطان الإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، دار البعث، الجزائر، دت. ص ص 69-

خلاصة الفصل الثاني

إن كل من ابن عاشور وابن باديس سليل أسرة راقية، تملك نسبا رفيعا وتاريخا مشرفا، ووارثةً للشرف والمعالي، فالأول يتصل نسبه بالنبي ﷺ وكفى به شرفا، والآخر جدّه المعزّ بن باديس الذي أعاد هيبة المذهب المالكي في ربوع المغرب، بعد تكالب الشيعة عليه، وأجداد الشيخين ضربوا بسهم وافر من العلوم والمعارف والتصوف.

كما كانت نشأة الشيخين في وسط راقٍ، إذ كان أولياءهما قريبا من دواليب الحكم، وفي بحبوحة من العيش، فكفيا تكاليف الحياة وعناءها والسعي الحثيث طلبا للرزق، وفي وسط علمي فوالد ابن عاشور وجده لأمه بوعتور "كافله"، من العلماء المعدودين في تونس، وجدّ ابن باديس "المكي" عالم مشهور، ويظهر أن والده يملك عقلا واعيا، إذ وجّهه هذه الوجهة، وكفاه، فكان له سدّا منيعا ضد المكاره.

وكذلك الشأن في تكوينهما العلمي، الذي بدأه في كتاب المسجد، ثم في الزيتونة، وما وجداه من رعاية واهتمام من شيوخهما، بسبب أهمّ لمسوا فيهما النجاة والاستعداد الفطري والذكاء الوقاد والحافظة القوية، وتلقيا عموما نفس العلوم، ودرسا تقريبا على نفس الشيوخ، وأبرزهم الشيخ محمد النخلي القيرواني، إلا أن ابن عاشور لم يرح بلدته في سبيل طلب العلم، أما ابن باديس فقد تكبد الغربة والبعد عن الديار لطلب العلم مرتين، أولاهما بسفره للدراسة بالزيتونة، والثانية بسفره للحجاز والشام ومصر.

والذي تجدر الإشارة إليه هاهنا، هو تتلمذ العلامة ابن باديس على الشيخ ابن عاشور الذي يكبره بعشر سنين، وكان تأثيره عليه ذا بال، كما نلاحظ تنوّع مشارب ابن باديس، من الزيتونة لعلماء الحجاز فالشام فالأزهر بمصر، ومن المتصوفة لنقيضهم، بينما ابن عاشور لم يبارح الزيتونة وشيوخها، ومما سبق يظهر جليا التشابه بينهما في عوامل النبوغ، التي ذكرناها آنفا، بالإضافة إلى تأثرهما بدعوات المصلحين لاسيما نهج محمد عبده، الذي ركز على الإصلاح التربوي والاجتماعي، وهذا كان من أولويات الشيخين لإصلاح أوضاع البلدين، هو المبادرة بإصلاح التعليم، ونزع غشاوة الجهل، كما ان خدمة الشيخين لكتاب الله كان له أثر عميق في نبوغهما.

والاختلاف الجوهرى في حياة الشيخين، هو حياتهما الشخصية والمهنية، فبينما كانت حياة ابن عاشور مستقرة، زواج لآخر العمر أنتج عدّة أولاد، كانت حياة ابن باديس على النقيض من ذلك، إذ لم يستمر زواجه طويلا، وكان ثمرته ابن وحيد توفي صغيرا، ثم رفض بعده الزواج ثانية، كذلك عاش

ابن عاشور من السنين "94 سنة" قرابة ضعف ما عاش ابن باديس "51 سنة"، وبينما اختلف حول وفاة ابن باديس، فلم يكن الأمر كذلك بالنسبة لابن عاشور، ومردّد ذلك لأن ابن باديس توفي أثناء وجود الاحتلال وتحت الإقامة الجبرية، أما وفاة ابن عاشور فكانت في زمن متأخر.

أما بالنسبة للوظيفة الرسمية فإن ابن عاشور أقبل عليها بكلية، ولم ييارحها إلا أواخر حياته، وتنوّعت وظائفه الرسمية، العلمية والإدارية والشرعية، وحاول من موقعه العمل على ترقية التعليم وإصلاحه كما سنرى، ولكن ككل الوظائف الرسمية كان الشيخ عرضة للضغوط المستمرة، والتعثر الدائم، وانقطاع عمله بسبب الإقالة أو الاستقالة أو العمل عكس مبادئه، لكننا رأينا العكس تماما مع الشيخ ابن باديس الذي لم يقرب الوظيفة الرسمية، بناءً على وصية شيخه حمدان لونيسي، فكانت هذه الوصية بمثابة المحلّص له من ربكة المضايقة المضاعفة، لأنه لم يسلم منها تمام، جراء سياسة الاحتلال الرامية إلى عرقلة مساعيه لبعث التعليم الإسلامي وإصلاحه.

وكان كلا الشيخين عالما مخلصا، وعاملا دؤوبا، وفقهما مجتهدا على المذهب المالكي، وإمام يقتدى به، ومرّبيا مثاليا، ومصلحا لا يُشقّ له غبار، يتحليان بأخلاق عالية وشيم سامية وخلال كريمة، جعلتهما مثار اهتمام وتقدير كل من عرفهما، من أي تيار أو اتجاه، وكان أكبر هُـمهما خدمة الإسلام واللغة العربية والأخذ بأسباب القوة والظهور، وفي سبيل ذلك فقد أوقفوا حياتهما في خدمة العلم.

الفصل الثالث

الجهود التعليمية للشيخين

جهود الشيخ ابن عاشور في مجال التعليم

- تعريف الشيخ ابن عاشور للعلم.
- أهمية التعليم وإصلاحه لدى ابن عاشور.
- تحليله لواقع التعليم.
- جهود ابن عاشور العلمية لإصلاح التعليم.
- جهوده العملية للنهوض بالتعليم.
- آثاره.
- عراقيل وعقبات واجهت ابن عاشور.
- نتائج الجهود التعليمية للشيخ ابن عاشور.
- أشهر من تتلمذوا عليه.

جهود الشيخ ابن باديس في مجال التعليم

- تعريف الشيخ ابن باديس للعلم.
- أهمية التعليم وإصلاحه لدى ابن باديس.
- تحليله لواقع التعليم.
- جهوده العلمية لإصلاح التعليم.
- جهوده العملية في مجال التعليم وإصلاحه.
- آثاره.
- عراقيل ومعوقات الإصلاح.
- نتائج الجهود التعليمية للشيخ ابن باديس.
- أشهر تلامذته.

خلاصة الفصل الثالث

جهود الشيخ ابن عاشور في مجال التعليم:

إن دراسة الشيخ ابن عاشور بالزيتونة، ونباهته وهيمته، والوظائف العديدة التي تولّاها خصوصاً العلمية منها، وأخصّصه تدريسه بالزيتونة والصادقية والخلدونية، بالإضافة إلى المشاركة في لجان إصلاح التعليم بالزيتونة، أكسبته خبرة واسعة وتجربة ثرية، مكنته من معرفة أحوال التعليم بالزيتونة، ومعرفة المدرسين والطلبة والمناهج والمؤلفات والعلوم...، كما أن مختلف آراء الإصلاح داخليا وخارجيا ساهمت في تكوين وإثراء ونضج أفكار الإصلاح لدى ابن عاشور، واسترعى نظره لضرورة الرقي بالتعليم، فلا غرو إذا إن كان وصفه وعمله لإصلاح التعليم يتّسم بالعمق والدقة والرصانة.⁽¹⁾

1- تعريف الشيخ ابن عاشور للعلم:

يعرف ابن عاشور العلم بأنه نور للعقل واستقامته، ورائدا للإنسان فيما يعرض له في حياته، وليس مجرد ألفاظ تحفظ، أو متون تردد، أو شهادات تحصل، وما العلم إلا رفعة بالنفس في مدارج الكمال، وابعادها عن الغفلة، وهو إستفادة لمتلقيه وإفادة لغيره، وإذا لم يتبعه عمل، فإن متعلمه يضئ عمره في حفظ معلومات وترديد ألفاظ من غير طائل.⁽²⁾

2- أهمية التعليم وإصلاحه لدى ابن عاشور:

- تنوير للعقل المميّز للإنسان على سائر البهائم، وترقية لإدراك البشر وصقلها، لنفع الإنسانية وإظهارها في أجمل حللها وأجمل مظاهرها، بإنشاء أرقى أصناف الناس.
- الاشتغال بالعلم هو خدمة للدين، واثمار بأوامره، إذ يعد تطبيق لأمر إلهي، فتعلّمه بأمر أوائل الآيات القرآنية: ((اقرأ وربك الأكرم)) (العلق 03)، وتعليمه بتحذير النبي ﷺ من كتمان به بقوله: ((من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة))، وفي تفضيل ذوي العلم يقول تعالى: ((قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، إنما يتذكر أولوا الألباب)). (الزمر 09)
- إن خطأ التعليم العام أشدّ خطرا على الأمة من خطر الجهل، لأن التعليم العام إن صلح عمّ به الإصلاح، وإن كان فاسدا شقيت به الأمة كلها.
- لا استغناء للإنسان عن العلم لاستقامة أعماله وجلب المنافع ودفع المضار والعيش في سعادة.
- إنتاج قادة وروادا للأمة في جميع المجالات، لرسم المستقبل الزاهر، والتقدم الحضاري.

(1) محمد الحبيب ابن الخوجة، المصدر السابق. ص 286.

(2) محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص ص 210-211.

- العلم وإصلاحه هو معيار التفاضل بين الأمم.
- إن انتشار العلم وشيوعه، يقلل الجرائم.⁽¹⁾

3- تحليله لواقع التعليم:

يصف الشيخ ابن عاشور حالة التعليم بالزيتونة، بأنها بلغت من الوهن ما عجز معه عن أداء الدور المنوط به، حيث لا ضبط ولا نظام ولا رقابة، وغياب المؤلفات الناجعة، إضافة للمناهج الهزيلة وانعدام الدروس التطبيقية التي تساعد على إعمال العقل، فقلّ التحصيل، وتعطلت الملكات⁽²⁾ أو كادت.⁽³⁾ وكتابات وأخص بالذكر كتابه "أليس الصبح بقريب؟" أكبر واصف للتعليم ومحيط بدائه، وبالصغيرة قبل الكبيرة فيه، وأهمها:

3-1 تخلف التعليم وأسبابه:

إن فساد التعليم في تونس وما آل إليه من تدهور وانحطاط، يوعزه الشيخ ابن عاشور إلى نوعين من الأسباب؛ عامة وخاصة، فأما العامة فتقضي بالرجوع إلى أسباب تأخر المسلمين، وهو بحث مستفيض يستنفد بياض مجلدات كما يقول، وأما الخاصة فهي تدور حول محاور ثلاث، فهي إما بسبب فساد المعلم، أو فساد التأليف "العلوم"، أو فساد المناهج والنظام العام⁽⁴⁾، وهي مجملة كالآتي:

- العبوس الدائم لبعض الاساتذة وانقباضهم وتكلفهم في الهيئة والمشيئة والكلام، يقابله النقيض لدى البعض الآخر من رثاة الهيئة وسخافة الكلام، وهو ما يكون حائلا وراحة التلميذ، فينعدم انتفاعه بالدرس.⁽⁵⁾
- تعلق أكثر المدرسين بسفاسف الأمور وتوافهها، وبغض الزملاء وتحقيرهم، ومحاولة إقناع العامة والخاصة برفعة مرتبته، وعلو درجته في مدارج العلوم ومدارك الأفهام، مع أن القليل منهم من يحسن التعليم.
- تقديس أكثرهم للآراء والمؤلفات القديمة، فيدرسونها لتلاميذهم لقناً، فينشأ لدى تلاميذهم ضعف النقد والبحث، حيث ينشؤون على التقليد.

(1) محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص ص 14-27. وأيضا: بلقاسم الغالي، المرجع السابق. ص 183.

(2) الملكة، أن يصير العمل بتعليمات العمل كسجية للمتعلم لا يحتاج معها إلى مشايعة القواعد إياه.

(3) محمد الحبيب ابن الخوجة، المصدر السابق. ج 1. ص 31.

(4) المصدر نفسه. ج 1. ص ص 195-196.

(5) محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص ص 206-209.

- وقوف المتزمتين في وجه من يريد الإصلاح ويدعو له، بحجة أن علوم ومؤلفات القدماء أوصلت سالف الأمة إلى ذروة الحضارة، وأخرجت أساطين للعلم شغلوا الدنيا بصيتهم.
- تواطؤ الكثير من المدرسين مع الطلبة بحجة إعانة طالب العلم، فتراجع مستوى الطلبة عاما بعد عام، ومن مظاهر ذلك: شهادتهم للتلامذة بقراءة كتب مشروطة للدخول الامتحان، مع أنهم لم يدرسوها.
- الاعتماد على مدرّسين مبتدئين بأجر جدّ زهيد أو بدون أجر، أو أساتذة متطوعين زيادة على دروسهم المطلوبة، وهذا قصد التقليل من مصاريف التعليم وتكثير الدروس، لكن هذا فيه خلل كبير وخطر جسيم على التعليم ومستقبله، ويأتي الخلل من عدم انضباط هؤلاء المدرّسون، لعدم وجود ما يضبطهم للمبتدئين، أو كثرة ضغط الدروس للمتطوعين.⁽¹⁾
- سبب خاص التزام عدد متساوي من المدرّسين المالكين والحنفيين، مع أن السواد الأعظم في تونس على مذهب مالك، وما يقلد أبا حنيفة غير قليل من أحفاد الترك، وبالتالي يتم أحيانا تعيين مدرّسين حنفيين غير أكفاء، بسبب نقص المتقدمين لشغل وظيفة التدريس، وترك المالكين المؤهلين لكثرة عددهم.⁽²⁾
- ويقول العلامة ابن عاشور إن تأخر العلوم هو السبب في تأخر المسلمين عموما، ويرجع أصل تأخرها لسببين رئيسيين، وهما:⁽³⁾
 - وجود مسائل لا طائل منها للمتعلم، تُعدّ من العلم وليست من العلم في شيء.⁽⁴⁾
 - استبعاد علوم مهمّة، مثل العلوم العصرية.
- ثم يسوق خمسة عشر سببا لتأخر العلوم في تونس، نختصرها في الآتي:⁽⁵⁾
- جهود التأليف وعدم مواكبتها لصيرورة العصر: والاكتفاء بالمختصرات والشروح والخواشي، فترى مؤلفات ولا تجد جديدا، وأغلقت الأبواب أمام تطوير العلوم، وأصبحنا نتبع ما ألفينا عليها اسلافنا، والعالم يتطوّر من حولنا بتطور العلوم، ونحن رهن تقليدنا نلوك قديما دون رأي أو تمحيص، فتجد

(1) محمد الحبيب ابن الخوجة، المصدر السابق. ج 1. ص 35. وكذلك: محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص ص 104-119.

(2) محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص ص 119-121.

(3) المصدر نفسه. ص 157.

(4) ويعتبر ضرر هذا السبب أقل، لأن الزيادة وإن كانت تتيحها ضعيفة فرما تفيد الذهن إلا إذا شغلت عن المهم.

(5) محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص ص 143-179. وأيضا محمد الحبيب ابن الخوجة، المصدر السابق. ج 1. ص ص

في التأليف قولين متجانين وهما متضادان، ولا يبحث المؤلف في صحة أحدهما، ومن ظهر له الخلل، يعتمد إلى سده بتحريف الأقوال، وقلب المعاني عن مواضعها وتأويلها، للتوفيق بين المتضاد من الأقوال.

- **الثقة العمياء بمؤلفات القدماء** وكأنها أقصى ما يمكن بلوغه، حتى تجد مدحا لتأليف أو تعظيما لرأي لا يستحق أدنى ثناء، إلا انه قاله الشيخ فلان، أو كتبه فلان على كتابه، فأدخلوا تأليف الصالح في صلاحه وعصموه من الخلل والغلط، بزعمهم انه كشف.

- **شيوخ التصوف** وانتشاره في بلاد الإسلام، فقل أن تجد مسلما غير منتسب لطريقة من الطرق، فنشأ عنه الرضا بالموجود، ونبذ أغلبهم العلوم عدا علم المعرفة بالله "وهو التصوف عندهم"، وعودوا نفوس المريدين على قبول ما لا يفهم، واعتقاد دون انتقاد، ونبذهم لعدة علوم نافعة له دواعي شتى، منها ما عجزت عنه أعلامهم، أو من يقف ضد أفكارهم وآراءهم، من العلوم العقلية كالفلسفة والمنطق، أو الشرعية كأصول الفقه وأسرار التكليف، أو الأدبية باعتبارها مضيعة للوقت.

- **غياب الاختصاص** وشمول الكتب على خليط من العلوم، فغاب التحقيق والنقد والتطور، لأن الزمان أقصر من الإلمام بكل العلوم، فما بالك بالإضافة أو التجديد فيها، فأصبح طالب العلم يرضى بالقليل من كل علم، فإذا راد التأليف، جمع ما لديه من كل فن، ويحسب أنه ألف، وهذا لعمرى قمة الخلل.

- **عدم توحيد المصطلحات** فجاءت اصطلاحات مختلفة للفظ واحد، وهو ما يشوش على الأذهان.

- **عدم الانضباط والتسيب**: إذ يختار المدرس ما يشاء من العلوم أو الأوقات أو الأطوار التي يرغب في تدريسها، والتلميذ كذلك يختار المدرس ومقدار العلم على حسب أهليته أو استعداده.

- **عدم وضع مراقبة على التعليم ونقده**، من حيث العلل التي تصيبه وأدويتها، وحاجات الزمان، وغايات العلوم، وتنظيم البرامج التعليمية، وأهلية المعلمين وكفاءتهم، فغياب النقد يبقى الفاسد فاسداً، ويوقف السليم من العلوم عند حدها دون تطور.

- **غياب التطبيق والاعتماد على الإلقاء الشفاهي**، دون تمرين يربي ملكات التفكير عند الطلبة، وهو ما أدى إلى الإخلال بالابتكار والاجتهاد وتجميد العقول، حتى أنك تجد التلميذ يقرأ الأجرومية في النحو مرارا، ولا يستطيع إعراب مثال لم يذكره المدرس.

- **عدم إعطاء كل مرتبة من مراتب التعليم أسلوبها الناجع وعلومها المناسبة حسب الفئة العمرية.**

- **فصل التعليم عن التربية**، فأنج ذلك مدرسين تعجبك أزياءهم ويحملون أعلى الشهادات، فإذا عاشرتهم أو جادلهم، تجدهم هياكل فارغة من المروءة والأخلاق، وإذا كان هذا حال الخاصة، فما بالك بالعامّة، وبذلك رزئت الأمة في أخلاقها التي بها حياة الأمم ورفعتها.
- **عدم غرس الهدف** الأسمى من التعليم لدى الطلبة، وهو الكمال العلمي والتعليم لأجل العلم، مما جعل تفكيرهم ينحصر حول الفوز بوظيفة حكومية، بفعل توجيه القاصرين من أوليائهم، وبذلك تسرعوا في نيل الشهادة، وأصبح تعليمهم سطحي.
- **غلق باب الاجتهاد** والاشتغال بالنقل والتقليد، ولوّك انتاج المتقدمين، كأن كلامهم مثره دون تمحيص ولا ترجيح ناهيك عن التصحيح، وحجتهم في ذلك ان باب الاجتهاد مغلق.⁽¹⁾
- **عدم تلقين التلاميذ**، التاريخ الإسلامي وتاريخ الأمم الماضية وحضاراتها، وتراجم الرجال وسيرهم، بحيث يتخرج التلميذ ضعيف البصر ضيق الأفكار، وهو يظن بما ناله من علوم أنه بلغ الكمال ودان الثريا، وهو لا يدري أحوال العالم من حوله، وليس له أدنى فكرة عن الإصلاح وترتيب الأمور.
- **غفلة المسلمين** عن تغيير الحياة الاجتماعية في العالم، الذي أدى إلى تغيير الأفكار والقيم العقلية، مما استدعى تغيير أساليب التعليم، ومقادير العلوم، وقيمة كفاءة المعلمين لحاجات زمانهم، وبينما العالم في تطور مطرد في مجال التعليم، كان المسلمون نياما عما يجري حولهم.
- **غياب الحرية العلمية** ومرجعه إلى ضيق علم المتأخرين، وتعصبهم في تقليد آراء سلفهم التي يعدونها منتهى العلم، وتصويرهم للحكام والسلاطين أن الخروج قيد أئمة عما عليه الأقدمون كالإلحاد والزندقة، أو انتقاص من قدر العلماء، فأصبحت معارضتهم ضلال، وغدا المجتهد عرضة للاضطهاد، فحدث أن تلميذا اعترض على مسألة، ف قيل له: نصّ عليها الأشموني. فقال: وما الأشموني. فرُفع إلى من له نظر، فضربه ضربا مبرحا.
- **عدم الاهتمام بصحة المعلمين** لأن التعليم علم وعمل، فالعلم مناطه العقل، والعمل يكون بالبدن، فيجب الاهتمام بما جميعا، لكننا لا نرى في واقع التعليم، إلا ما ينهك قوى التلاميذ، في محل دراستهم

(1) يرى **الافغاني** (1254-1314هـ/1839-1897م) أن كل حضارة وتقدم أساسه الدين، وكل تقهقر وتخلفه سببه الإلحاد وفساد الدين، كما نادى بالاجتهاد والتجديد وإعمال العقل، وقال في ذلك: بأي نصّ سدّ باب الاجتهاد. بلقاسم الغالي، المرجع السابق. ص 19.

ومسكنهم⁽¹⁾، والتعليم بعد الأكل، وتقليل الحركة والمشي، حتى شاع أن من لوازم الصفة العلمية قلة المشي والحركة، ومشى الهويناء، بينما كثرة الحركة والحيوية عُدت من سوء السيرة وخطأ الرأي، وحتى العطلة الصيفية كان مغفولا عنها إلى سنة 1312هـ/1894م.⁽²⁾

لكل الأسباب السابقة جمدت الحياة العلمية وبعدت عن الابتكار والتجديد، فتجد كتابا يقرأ ومتن يحفظ أو شرح متن أو حاشية على كتاب أو على حواشيه، فتحجرت العقول وتبلدت الأفهام وانتشرت الاوهام والخرافات، وتفشى الجهل والامية.⁽³⁾

3-2 محاولات الإصلاح ومعيقاتها:

تعرض الشيخ ابن عاشور إلى محاولات إصلاح التعليم وروادها، فبدأ بحكم المشير أحمد باي وتأسيس المدرسة الحربية بباردو 1840م، والأوامر العلية لإصلاح التعليم بجامع الزيتونة، ثم فترة محمد الصادق باي ووزيره المصلح خير الدين باشا وتأسيس المدرسة الصادقية 1875م، إلى أن يصل إلى فترة الاحتلال وتأسيس الجمعية الخلدونية 1896م، وجمعية قدماء الخلدونية 1908م، ثم تأسيس الجمعية الزيتونية 1907م، وفي ثنايا ذلك أبرز دور المصلحين من الشيوخ والأساتذة أمثال محمود قبادو وسالم بوحاجب والبشير صفر... وغيرهم، وكذلك الواقفين ضد الإصلاح، لعل أبرزهم شيخ الإسلام محمد بيرم.

وتطرق إلى محاولات إصلاح التعليم بالزيتونة، وأبرزها اللجنة التي انعقدت سنة 1315هـ/1898م، للنظر في تنقيح ترتيب التعليم بالجامع الأعظم، وانقسم أعضاء هذه اللجنة إلى رأيين متقابلين، فمنهم من يرى لزوم بقاء تراتيب التعليم بالزيتونة كيفما كان ولا مدعاة للإصلاح وينعت هؤلاء بالمحافظين⁽⁴⁾، وآخرين كان مسعاهم إلى إحداث إصلاح شامل للمنظومة التعليمية للجامع.⁽⁵⁾

(1) حتى إن المؤرخ أبو القاسم سعد الله يذكر أنه أثناء دراسته بالزيتونة، مرض بالسل مرتين جراء رداءة المسكن الذي يقطنه وسوء التغذية.

(2) الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص ص 105-173.

(3) بلقاسم الغالي، المرجع السابق. ص 17.

(4) موقف المحافظين على القديم ضد الإصلاح منشؤه: التزم أحيانا - الخوف من أن النهج التجديدي سيضعف الجامع - التنافس بين العائلات العريقة حول ريادة الجامع - بحجة أن هذا النظام اخرج علماء أفذاذا. الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح؟ ص 104 وبلقاسم الغالي، مرجع سابق. ص ص 13-14.

(5) محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص ص 93-134.

4- جهود ابن عاشور العلمية لإصلاح التعليم:

4-1 نظرتة لإصلاح التعليم:

لقد ضمّن الشيخ ابن عاشور مجمل آرائه حول إصلاح التعليم في كتابه ((أليس الصبح بقريب؟)) الذي يعتبر بحق دستور لمن رام إصلاح التعليم الإسلامي من داخله، والكتاب أصدره سنة 1909م⁽¹⁾، واستعرض فيه تاريخ التعليم عند العرب وغيرهم وأطواره وأساليبه وكل ما يتعلق به، من قديم الزمان إلى وقته، خاصة التعليم العربي الإسلامي، حيث عني فيها بأسباب ضعفه وتخلف علومه، وتولى بجرأة نقدها وإبداء آرائه لإصلاح الوضع، واقتراح الطرق والوسائل الكفيلة بذلك، وكامل ملاحظاته حول الموضوع، التي بدأ في تدوينها كما قال منذ صيف 1321هـ/1903م، ولمدة ثلاث أصياف⁽²⁾، ثم ما انفك يجاهد بلا هوادة في سبيل تحقيقها، خصوصا لما تبوء مناصب متعلقة بمجال التعليم، مثل اختياره ضمن لجان إصلاح التعليم بجامع الزيتونة، والتدريس بها، وعضوية نظارتها، ثم تولي مشيختها، فأفرغ الجهد للإصلاح ما استطاع، وظلّ على ذلك حتى اقترن اسمه بحركة إصلاح التعليم الزيتوني، يقول الشيخ ابن عاشور: ((لم أدع فرصة إلا سعت إلى إصلاح التعليم)).⁽³⁾

4-2 دواعي إصلاح التعليم ومجالاته:

يرى ابن عاشور إن إصلاح التعليم هو المخرج الوحيد لإخراج الأمة من كبوتها، ويتعجب - خصوصا من المصلحين- إغفال هذا الجانب في عمليات الإصلاح، والالتفات إلى قضايا أقل أهمية، وقد سار -في هذا- على درب الشيخ محمد عبده، بوجوب الإصلاح العلمي والتربوي قبل كل شيء، ويلقي باللائمة على سكوت العلماء تجاه الفساد الحاصل، لأنه يؤدي إلى بقاء الأمة في حالها اقتداءً بهم، أو عدم إدراك العامة لواقعهم المرّ.

كما أن الفساد الذي عمّ المؤلفات والمدرسين ونظام التعليم ومناهجه، قعد بطلبة العلم عن الارتقاء في العلم، هذا حين كان العلم محصورا عندنا في علوم الشريعة ومكملاتها، أما اليوم وقد تنوّعت العلوم، صرنا أحوج لإصلاح التعليم أكثر من ذي قبل.⁽⁴⁾ وحتى يتم هذا الإصلاح بالصورة المرغوبة حدّده الشيخ ابن عاشور في إصلاح المجالات الآتية:

(1) المصدر نفسه. ص 142.

(2) استغل الشيخ تفرّغه أثناء العطلة الصيفية من شواغله وارتباطاته، في تدوين أفكاره لإصلاح التعليم، والتفكير في الأساليب الناجعة، ولتحقيق ما تصبو إليه نفسه للنهوض بالأمة. محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص 13.

(3) محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص 05. وأيضا: محمد الحبيب ابن الخوجة، المصدر السابق. ج 1. ص 36.

(4) محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح ؟ ص 152.

4-3 إصلاح التأليف "المواد الدراسية":

يعتبر إصلاح المؤلفات أول خطوة لمن رام إصلاح التعليم، ومرتبته قبل إصلاح المدرسين، لأنها المعلم الأول للتلميذ، والنبراس والمعين للمدرس، فإن المعلم ولو كان جامدا فلن يستطيع حجب صالح الآراء والنافع من العلوم، كما أن إصلاح هذه التأليف، يمكننا من إنشاء معلمين أكفاء في المستقبل، فهو إذا نصف العمل لإصلاح التعليم، وكيف للمعارف أن تتطور وهي محبوسة في تأليف وقفت منذ ستمائة سنة ؟

ويذكر ابن عاشور إن كثير من مؤلفات الأقدمين تعدّ مفخرة فيما وصلوا إليه من المعارف، ولكنها ليست منتهى العلم، كما إنهم أسسوا لنشيد، وغرسوا للنمّي، وبدأوا لتزيد، ولأن المؤلفات طرق العلوم، فوجب تقويمها وتنقيحها حتى تكون أسهل لطلاب العلم، وأقصر لإصلاح منظومة التعليم برمتها، وذلك عن طريق:

- اعتماد التخصص في العلوم، عوض الجمع بينها، واستقلال كل علم بمبادئه وعلمه.
- الإيجاز في اللفظ مع وضوح القصد وبيانه، وترك التطويل في التأليف، بتحاشي الزوائد الخارجة عن صميم الموضوع، وعدم الجمع بين العلوم، مثل إقحام المنطق في مبادئ الأصول، وتذليل النحو بعلم الكلام وغيرها.
- ترجمة ما سبقتنا به الأمم من علوم، خصوصا التخصصات الحديثة التي بني عليها التقدم الحالي.
- يجب الاتفاق على مصطلحات موحدة، وإذا اعتُمد مصطلح أقرب وأوضح تفسيرا للمدلول، فالواجب إشاعته حتى يعلمه أهل العلم.⁽¹⁾
- ينبغي للمؤلف أن يقف على غايات التأليف، وقد جمعها أحدهم في قوله:
 ألا فاعلمن أن التأليف سبعة
 لكل ليب في النصيحة خالص
 فشرح لإغلاق وتصحيح مخطئ
 وإبداع حبر مقدم غير ناكص
 وترتيب منشور وجمع مفرق
 وتقصير تطويل وتتميم ناقص⁽²⁾
- وفي مجال تدريس هذه المؤلفات، يستوجب وضع لجنة من أساطين العلماء تتولى أمرها، وعدم ترك اختيار المواد الدراسية للأساتذة يختارون ما توارثوه من مؤلفات، وعمل اللجنة يشمل:
- إحياء ما اندرس من العلوم التي هجرت لأسباب تاريخية، أو ظرفية لعدم إقبال الطلبة عليها، أو إحجام الأساتذة عن تدريسها.

(1) محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقریب؟ ص ص 142-153.

(2) محمد الحبيب ابن الخوجة، المصدر السابق. ج 1. ص 219

- يجب حسن اختيار المؤلفات، وتحقيقها لاستدراك الناقص أو المختل فيها، وجبره عن طريق التنقيح أو التصحيح، والبحث عمّا يحول دون فهمها.
- تحديد وانتقاء كم ونوع العلوم الملائمة، التي يجب أن يتلقاها المتعلم في مراحل دراسته. (1)

4-4 إصلاح المدرّسين:

- إن مسؤولية العلماء والمعلمين في الأمة جسيمة، لأنهم القدوة والمرشد، ولو قدروا دورهم حق قدره، لعلموا واجب الإصلاح لانتشار الأمة من وهنها، وعملوا وسعهم في ذلك، وإصلاح التعليم هو إصلاح للمعلمين.
- إن عملية الإصلاح تعتمد على رجال التعليم، ولكن من الأساتذة غير المقتنعين بالإصلاح، من يعمل جاهدا لعرقلته والتلاعب بقواعده، مما يستوجب الحذر من ذلك.
- أكبر عائق يواجه الإصلاح من طرف الأساتذة المعلمين، هو كراهية النظام والانضباط، وعدم إدراك أهمية مراقبة وتطوير التعليم، بل هو عند طائفة منهم كيفية واحدة متعارفة توارثوها، رقي بها سلفنا، أما حجّة المتحذلقين وهي أن وضع القانون للتعليم يحدّ من مواهب المعلم وإبداعه، لكن أنى لنا بالمعلم الموهوب، وأن وُجد فمن يضمن نصيحته للتلامذة، ولكن القانون يضبط الجميع، ويضمن الحقوق، ويكون بالمرصاد للعابثين، كما أن للأساتذة سعة للاجتهاد خارج الأوقات الرسمية، ولاقتراحاتهم اعتبار لدى لجنة النظر، والمؤكد أن القانون سيعضد المواهب أكثر مما يحدّها.
- يجب أن يخضع من يريد التدريس إلى تكوين متخصص، يبيّن لهم كيفية التعامل مع التلامذة حسب الأطوار التي يدرسون فيها، ومدى استعدادها لتقبل الملقى لهم من العلوم، ليكون أجدى لفهم الدروس والانتباه لها، بدل الملل الذي يصيبهم ويقلّل فيهم النبوغ.
- كذلك يجب على الأساتذة أن يكون قدوة لتلامذتهم، بأن يتمثلوا الخلال الكريمة والصفات الرفيعة في معاملاتهم، ليغرسوا فيهم حب العلم، والإنصاف، وحب الإصلاح لأنفسهم وسائر أمتهم، والمصابرة على كل ذلك، ليكونوا أفرادا نافعين في مجال العلم وغيره. (2)

(1) محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص ص 17، 145.

(2) نفسه. ص ص 202-207.

4-5 إصلاح النظام العام والمناهج:

- توفر الإرادة السياسية: إذ على الحكومات تثمين وتقبل الأفكار الصائبة والجادة، من عقلاء العلماء والمتعلقة بإصلاح التعليم.
- تقوية البحث العلمي، وإزالة الحواجز والعوائق، التي تقف في سبيل العلم، ومساعدة رجال العلم ليتفرغوا للنظر والفكر والبحث. (1)
- الاعتماد على مواهب المعلم الشخصية، وعدم التضييق، عليه بحجره على قواعد معينة تحد من نشاطه، وتعقل أدائه، كما يجب على المدرسين البحث عن الطرق الناجعة لتقديم الدرس، والوسائل الكفيلة بترقية المستوى العلمي والتربوي للطلاب.
- جعل راتب مناسب لمباشري التعليم من المبتدئين، يحضهم على الحضور والقيام بدورهم المنشود على أكمل وجه.
- محاولة تحديد نسبة المدرسين تبعاً لعدد اتباع كل مذهب "المالكي والحنفي". (2)
- يجب علينا أن نقرن أثناء تلقين تلامذتنا، بين سائر العلوم، وضروب الحكمة والفضيلة ومقتضيات المروءة، وحب النظام في كل الأحوال، والترفع عن صغائر الأمور وتوافهها، ودناءة الطبع وضيق الصدر، بحيث تكون الفضائل عندهم صفة ذاتية
- يجب مراعاة أسلوب التعليم حسب الأطوار التعليمية، ففي المرحلة الابتدائية تكون مهمة التعليم هو تدريب التلميذ على استحضار ما علمه والعمل به، وفي المرحلة المتوسطة يجب أن يكون التعليم محرضاً على تقوية الفكر والجمع والتحليل، أما في المرحلة العليا يكون هدف التعليم هو التدريب على الاستنتاج والنقد، وفي كل المراتب يجب التركيز على اللب من العلوم والابتعاد عن القشور.
- يجب إصلاح التعليم الابتدائي قبل الانخراط في التعليم الثانوي والعالي بالزيتونة. (3)
- يجب أن يلقن التلامذة حب العلم لذاته، وأن يرضى عن نفسه بنفسه حسب ما ظفر من معارف وعلوم.
- ترك الرأفة والتساهل في غير محله، كأن تكون في امتحان الطالب، إنما تكون الرأفة في إرشاده لطرق التحصيل، وضمان حقوقه، والغيرة من أن يهضم حقه، أو أن يُقدّم عليه من هو دونه، لأن وظيفة الامتحان هي اختبار المستوى العلمي للطلاب، وحصوله على أي شهادة، اعتراف بنبوئه مستوى الشهادة الممنوحة، فأى تساهل أو تقصير في إعطائها إنما هو تغيير للناس بحال صاحبها.

(1) محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص ص 17-21.

(2) نفسه. ص ص 109-121.

(3) نفسه، ص ص 115-122.

- ينبغي على المتحصل على شهادة التطويع أن يكون متقداً للعلوم قادراً على إيصالها لطلابها، لأن هذه الشهادة تخوله للتدريس، لذلك فاختباره في علم واحد ليس مقياساً لجدارته، فيجب تعدد مواد الامتحان. (1)

- بشأن ترقية اللغة العربية يقول ابن عاشور إن اللغة ترتقي وتنحط بتقدم الأمة الناطقة بها أو بتراجعها وانحطاطها، فلا يبلغ تلامذتنا الفصاحة، وهم لا يقرعون سمعهم الا سقط الكلام ورعونته التعبير، من المدرسين أو من الكتب المقررة عليهم، وإصلاح هذا الخلل بالاهتمام بالقرآن، وكلام العرب منظومه ومنثوره، وتوسيع التخاطب بها وتداولها، بالزام الأستاذ إلقاء الدروس مرتجلاً لا يطالع فيه الكتاب إلا للضرورة، وتعويد التلامذة بأن لا يتكلمون بغيرها مع أساتذتهم، ويُجعل لهم تمرينات أسبوعية في الخطب العربية بمراقبة أساتذة أكفاء، ويُكلفون بإنشاء مقالات فصيحة، وينبغي أن تكون لهم مجلة يُنشر فيها ما يحررونه من مقالات وأبحاث. (2)

ثم يحدد العلامة ابن عاشور مبادئ أربعة لضبط التعليم: (3)

1- تعميم التعليم ومراقبته وجعله إلزامياً، وتنظيم التدريس بالكتاتيب والتنسيق بينه وبين ما يتلقاه التلميذ في الجامع الأعظم.

2- ضبط أوقات التعليم، لضمان عدم تداخل تدريس العلوم، ومراقبة حضور المدرسين، وتوقيت ومقادير الدروس، وعدم التشويش على التلامذة، وضبطهم على النظام، وتنمين الوقت.

3- تخصيص محل التعليم، وهو من أعظم ما يساعد التلامذة على التلقي دون تشويش، واستبقاء توجه أفكارهم للعلم دون غيره، وهو ما يستوجب إخراجهم من المساجد، التي لا يمنع عنها الداخل والخارج، وأوقات الصلاة ولوازمها.

4- تقسيم التعليم إلى مراحل، وتعيين العلوم والدروس لكل مرحلة، وتحديد تلامذتها، وأستاذ لكل طائفة معينة، حيث يسهل على المدرس إحصاؤهم ومراقبتهم، ومعرفة أحوالهم العلمية والنظامية، ثم تحديد مدة معينة لتغطية البرنامج المحدد، وألا ينتقل التلميذ إلى السنة الأعلى إلا بعد إجراء إمتحان يثبت فيه جدارته.

(1) محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص ص 210-211.

(2) نفسه. ص ص 187-192.

(3) نفسه. ص ص 109-112.

4-6 شروط رجال الإصلاح:

يشترط الشيخ ابن عاشور للمضطلع بمهمة الإصلاح، أن تتوفر فيه:

أ- شروط القيام بالإصلاح، وهي:

1 الاهلية: أن يكون منشؤه في هذا التعليم- عارفاً بحاجات الزمان وغايات العلوم-

ناظراً إلى الروح لا الجثمان- بعيد عن متابعة السفساف- خبيراً ببدء التعليم ودوائه.

2 اخلاق الإصلاح: ومنها الصدق والاخلاص والصبر والاقتناع بضرورة الإصلاح.

ب- معرفة الغاية من التعليم: وهي انتاج قادة للأمة في دينها ودنياها ومصايح هداية وارشاد. (1)

5- جهوده العملية للنهوض بالتعليم:

يدرك ابن عاشور أهمية التعليم حق الإدراك، فهو يصفه بأنه الحافظ لدين الامة ولغتها ورقّيتها، لذلك دعت الحاجة إلى إصلاحه من جميع نواحيه، المناهج والأساليب والعلوم وطاقتهم التدريسية... وغيرها.

لذلك فقد عمل بجهد جهيد، وأفرغ وسعه في سبيل إصلاحه، وكان في ذلك دؤوب العمل، وإذا تأمنا حياته ألفتناها تدور حول العلم والسبيل لإصلاح التعليم، وآثاره العديدة وانتاجه الغزير في مختلف العلوم، وأعماله في هذا السبيل أوضح شاهد على ذلك وخير دليل: (2)

5-1 قبل توليه مشيخة جامع الزيتونة:

منذ أن أدرك الشيخ ابن عاشور الخلل، الذي عليه التعليم ببلده تونس وسائر بلاد المسلمين، بدأ في التفكير والسعي حسب موقعه لإصلاحه والرقى به، وكان ذلك منذ تخرّجه من خلال مباشرته التعليم في الزيتونة والصادقية والخلدونية، ومناشدته أولى الأمر، باقتراحات وعرائض تخص جانب إصلاح التعليم.

5-1-1 اقتراحات وجهها لأصحاب الشأن:

- حين عاد محمد الناصر باي (1906-1922م) من رحلته الباريسية، كان الشيخ ابن عاشور ضمن مستقبله، فنشر على مسامعه قصيدة ترحيبية، في محتواها دعوة لإصلاح التعليم، بقوله:

(1) محمد الحبيب ابن الخوجة، المصدر السابق. ج1. ص ص 34، 192-198، 286-288.

(2) محمد محفوظ، المرجع السابق. ج3. ص 305. وكذلك: محمد الحبيب ابن الخوجة، المصدر السابق. ج1 ص 38.

رأيتَ تقدما ورأيتَ مجدا	فُسِّنَ لنا على ذاكم نظاما
فهذا العلم يصدع مستغيثا	على أركانه يخشى الهداما
فمُدَّ له يدا كرفيق موسى	بحكمته جدارا قد أقاما
وإن وراء جُدُر العلم كترا	من العمران يجدر أن يُداما
ومثلك لا يُبصر عن دھول	فإن لكم به حظًا تسامى

- لما عُيِّن نائبا للدولة لدى نظارة جامع الزيتونة عام 1325هـ/1904م تقدّم بلائحة لإصلاح التعليم الزيتوني، وقع تنفيذ القليل منها ومطلوه في أغلبها.
- وفي عام 1329هـ/1908م كان ضمن لجنة تنقيح برامج التعليم الزيتوني، فاقترح إيجاد تعليم ابتدائي إسلامي منظم في المدن الخمس القيروان-سوسة-صفاقس-توزر-قفصة.
- دعوة ابن عاشور للشيخ المدرسين إلى توحيد الصف وتضافر الجهود للرقى بالتعليم. (1)

5-1-2 تدريسه للعلوم:

تولى الشيخ ابن عاشور التدريس في جامع الزيتونة منذ سنة 1320/1899م في الدرجة الثانية، ثم ارتقى إلى الطبقة الأولى عام 1324/1903م، ثم درّس في الصادقية 1321هـ/1900م والخلدونية، وأثناء قيامه بمهمة التدريس باشر عملية إصلاح التعليم من موقعه، فكان منهجه في التدريس مبعث الإعجاب من الطلبة، كما سعى لإحياء بعض العلوم العربية التي اندرست، مثل الصرف ودروس أدب اللغة، ومن ذلك مباشرته تدريس ديوان الحماسة لأبي تمام بنفسه، وقد ذاع صيته وشاعت شهرته فيه. (2)

ومن العلوم التي درّسها لطلابه: (3)

المنطق وعلم الكلام: مقدمة إيساغوجي - الشرح المطوّل للتفتازاني - النجاة لابن سينا.

علوم العربية: "دلائل الإعجاز" في البلاغة للجرجاني-شرح "ديوان الحماسة" لأبي تمام-الأجرومية في النحو

الفقه وأصوله: "شرح المحلّي لجمع الجوامع" للسبكي - "الموطأ" للإمام مالك.

(1) محمد محفوظ، المرجع السابق. ج3. ص 304-305. وكذلك: محمد الحبيب ابن الخوجة، المصدر السابق. ج1. ص 30، 294.

(2) محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص 10-12 وأيضاً: محمد محفوظ، المرجع السابق. ج3. ص 304، 306.

(3) محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص 09، 17.

علوم القرآن: "تفسير البيضاوي" بحاشية الشهاب، "شرح الشاطبي على الألفية"

التاريخ: "مقدمة ابن خلدون".⁽¹⁾ وهذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر.

5-2 أثناء توليه منصب شيخ الزيتونة:

لما تولى مشيخة الجامع الزيتوني وفروعه 1932م، وقع في صراع مع شيوخ الزيتونة المتزمتين الرافضين لأي تغيير في نظام الجامع، ثم وقعت له مشاكل مع سلطة الاحتلال بسبب "فتنة التجنيس"، فأزيح من منصبه، الذي عاد إليه سنة 1364م/1945 هـ إلى سنة 1951م، وفي هذه المرة صبّ جام نشاطه بقوة وعزيمة وصبر، في إصلاح التعليم بالجامع في شتى نواحيه، بإدخاله إصلاحات مهمة في نظام التعليم.⁽²⁾

فما كادت السنة الأولى تمضي حتى كان الكثير من شيوخ الجامع يؤيدونه في عملية الإصلاح، وظهر ذلك جليا في حفل ختام السنة الذي كان تأييدا مطلقا له، وكان جوابه لهم بضرورة التكاتف والتآلف والتعاون لتحقيق الغرض المنشود وهو الإصلاح، وفي خطابه في ذات الحفل أعلن الشيخ عن منهجه للإصلاح، وأجمله في أربع نقاط:

1- توجهه نحو الاهتمام والعناية بالطلبة.

2- تقديره لدور المدرسين وتحملهم المسؤولية.

3- الاهتمام بالعلوم وتطوير المناهج وضبط البرامج.

4- عزمه على تفقد المؤسسات العلمية التابعة للزيتونة.⁽³⁾

وسنرى فعلا أنه عمل حول محور النقاط الأربع الفارطة كما يلي:

أ- الاهتمام بالطلبة:

كان يتفقد أحوال الطلبة، وقد آلمه ما يعانونه جراء سكناهم في بيوت ضيقة قليلة التهوية مشبعة بالرطوبة، لذلك هرع إلى تكوين لجنة تشرف على بناء حي كبير لإقامتهم، واسند رئاستها لشيخ الإسلام المالكي محمد العزيز جعيط، وقد تحقق هذا المشروع الذي سمي "الحي الزيتوني"، ببناء حي كبير متكامل

(1) من المعلوم ان المقدمة ليس فقط لعلم التاريخ والنقد التاريخي، بل تحتوي على كثير من العلوم العقلية منها والنقلية، وأخيرا كانت أساسا لعلم الاجتماع.

(2) محمد محفوظ، المرجع السابق. ج.3. ص 305.

(3) محمد الحبيب ابن الخوجة، المصدر السابق. ج.1. ص ص 291-295.

لوسائل الصحة والراحة، ويعرف اليوم باسم "ابن شرف"، كما أوجد دائرة خاصة تابعة لمشيخة الجامع، تنظر في تنظيم شؤون مدارس إقامة الطلبة. (1)

ب- التركيز على دور المدرّسين:

- أولى عناية كبيرة لكفاءة الاساتذة وركز عليها.
- حرّض شيوخ الزيتونة المدرسين على إحداث أساليب تربوية مجدية، والتخلص من أساليب التلقين البالية.
- استعان بأساتذة التعليم الثانوي بالمدارس الرسمية لتدريس المواد العصرية، في المرحلة الثانية من التعليم الثانوي الزيتوني. (2)

ج- تطوير العلوم والمناهج والبرامج:

- حاول اصلاح البرامج والمناهج البيداغوجية بما يخدم العملية التعليمية.
- دعا المدرسين إلى نقد أساليب التعليم ومناهجه واختيار أحسنها وأجداها، لتحسين أداء طلبة العلم وتنمية مهاراتهم الذهنية، وتمكينهم من التصرف في رصيدهم العلمي، بدل حشوهم بكثرة المعلومات مع عجزهم عن التصرف فيها.
- أمر بالتقليل من دروس الالقاء، والاهتمام بالدروس التطبيقية، التي تتطلب التمهين والنقد للمسائل العلمية، بغية تنمية ملكات التلاميذ.
- اهتم بأنواع من العلوم كان الاهتمام بها ضعيفا ومحدودا، مثل التاريخ وأدب اللغة والانشاء...، وادخل بعض العلوم العصرية التي لم تكن معهودة، في برامج الزيتونة كالتطبيقات والحساب والهندسة والفيزياء... إلخ.
- نظم التعليم إلى شعبتين حسب العلوم: "شعبة أصلية" تدرس المواد الشرعية وعلوم اللغة العربية، مع الاخذ بعلوم الحساب والفلسفة والتاريخ والجغرافيا، و"عصرية" بها إلمام بالعلوم الشرعية، والتركيز على المواد الرياضية والطبيعية والفلسفية والاجتماعية واللغات الاجنبية-الفرنسية والانجليزية.
- يزعم البعض أن إصلاح التعليم بتونس عبر ادخال المواد الحديثة للدراسة، إنما تم أسوة بما فعله الشيخ عبده في جامع الازهر (3)، ونعتقد أن هذا الزعم محانب للصواب، فقد تم ادراج بعض هذه

(1) بلقاسم الغالي، المرجع السابق. ص 65.

(2) محمد الحبيب ابن الخوجة، المصدر السابق. ج1. ص ص 293، 297.

(3) قاله جمال محمود أحمد أبو حسان، المرجع السابق. ص 60. نقلا عن - الشنوفي: مصادر عن رحلي الإمام (محمد عبده الى تونس). ص 74.

- العلوم منذ سنة 1840م في المدرسة الحربية ثم في برنامج الصادقية، ولكن الامر الجديد لا يتم دفعة واحدة، وإنما عبر مراحل، حتى تعتاد عليه الناس، وترتاح له الانفس.
- رتبّ التعمق في التخصص في المرحلة العليا من التعليم الزيتوني.
- تحديد الكتب النافعة والمواكبة، قصد تدريسها بالزيتونة، فتم التخلي عن الغثّ من القديم المتواتر، وزيادة النافع المتروك المشهود له من طرف أهل العلم بالثراء العلمي وراقي الافكار.
- حثّ الشيوخ المدرسين على إصلاح المؤلفات ونقدها، والاكتثار من التأليف المواكب للتطور الحاصل، بدل الاستغناء بمؤلفات مرّ عليها ما يربو على ستمائة عام.
- أحدث نظام التفقد "التفتيش"، في الزيتونة بعدما كانت الأمور تسير سبيلًا، كلّ يعمل على شاكلته دون رقيب.
- أحكم نظام الجامع، بضبط الدروس والامتحانات ومواعيدها ضبطًا محكمًا.
- تنظيم الوقت الزمني للدروس. (1)

د- العناية بالفروع:

- أحدث فرعين للزيتونة بتونس، وخمسة فروع في عموم تونس بمدن: صفاقس، سوسة، القيروان، قفصة، توزر، ثم توسّعت الفروع إلى أن بلغت سبعة وعشرين فرعًا، منها فرعين للبنات.
- أسس فرعين للزيتونة خارج تونس، وهما فرعًا الجزائر بمدينة قسنطينة سنة 1947م.
- زاد عدد الطلبة من 03 آلاف إلى 25 ألف، وتبعًا لذلك زاد عدد المدرسين. (2)
- فحوّل جامع الزيتونة إلى جامعة إسلامية كبرى بمناهج وبرامج مجدية، وعلوم لم يعهدها طلبته، وأساليب وطرق حار فيها ذوي الافهام، وزاد من عدد الفروع التي وصلت إلى خارج القطر التونسي، وكل هذا الاصلاح في ظرف سبع سنوات فقط 1945م-1952م.

6- آثاره:

كانت ثمرة غراس التكوين العلمي للشيخ ابن عاشور، مؤلفات كثيرة ومتنوعة وصلت إلى الأربعين مؤلفاً منها المطبوع والمخطوط، ناهيك بمقالاته المتناثرة في الصحف التونسية والمشرقية، وشملت ضروبا

(1) بلقاسم الغالي، المرجع السابق. ص 59-62. وأيضا: محمد محفوظ، المرجع السابق. ج 3. ص 305.

(2) الحبيب ابن الخوجة، ج 1. ص 294، 296.

من العلوم، ففي علم التفسير كان مؤلفه الضخم المسمى "التحرير والتنوير"، ومنها في الحديث الشريف "النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح"، و"كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ"، وأهمها في الفقه وأصوله، "حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب (شرح تنقيح الفصول في الأصول) للقرافي"، و"مقاصد الشريعة الإسلامية"، و"الوقف وآثاره في الإسلام"، وبالنسبة للغة العربية وعلومها فكان مكثراً الانتاج، وأهم مؤلفاته فيها، "أصول الإنشاء والخطابة"، وتحقيق كتاب "سرقات المتنبي ومشكل معانيه لابن بسام النحوي"، و"غرائب الاستعمال"، و"موجز البلاغة"، وفي علم التاريخ منها "قصة المولد النبوي الشريف"، و"كتاب تاريخ العرب"، أما ميدان الدراسات الإسلامية، فأهم ما أبدع "أصول التقدم في الإسلام"، و"أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، و"تحقيقات وأنظار في الكتاب والسنة"... إلخ. (1)

7- عراقيل وعقبات واجهت ابن عاشور:

لقد أحدثت إصلاحات ابن عاشور ثورة على القديم المهترئ، مما أفرع سلطة الاحتلال، وأدخل الملح في نفوس أعداء الفكر الإسلامي من التونسيين وأبرزهم العلمانيين والاشتراكيين، فسعوا جميعاً للقضاء على هذه الروح الإصلاحية ذات التوجه الإسلامي، وجمعوا كيدهم للنيل من برنامجه، في إحياء وعصرنة التعليم العربي الإسلامي الأصيل، وإدخال التعليم العصري الحديث على نطاق واسع في البرامج التعليمية، فدبرت له المكائد بالاستعانة بمخالفه في المنهج، مثل الشيوخ المحافظين في الزيتونة، أو المخالفين له في الخلفية الثقافية، وهم دعاة الفرنكوفونية "التيار التغريبي"، بوعي وقصد أو بحسن نية، فمنهم من كان قصير الفهم عليل الفكر، ومنهم من سعى لإرضاء فرنسا، وطائفة ثالثة تطابقت أهدافها ومصالحها مع الحكومة في ضرب التيار الفكري الإسلامي، والسير في ركاب الحضارة الغربية، وإن أدى ذلك للانسلاخ عن الهوية الحضارية التونسية.

وفي هذا الإطار عمدت سلطات الاحتلال للتضييق على دعاة الإصلاح من الزيتونيين وغيرهم، واستخدمت القمع والاعتقال والسجن والنفي بتهم ملفقة، مثل المساس بالأمن، والتآمر على الدولة، كما كانت تسعى دائماً لتهميش التعليم الزيتوني والتحقيق من شأنه، ومن ذلك:

- محاولة تحجيم التعليم الزيتوني، وتقزيم نشاطه بعد أن عرف بعض الانتعاش ودبّ فيه روح الإصلاح.

(1) جمال محمود أحمد أبو حسان، المرجع السابق. ص 72-74. وكذا: محمد محفوظ، المرجع السابق. ص 307-309.

- إيقاف حركة انشاء الفروع الزيتونية.
 - التضييق على مورد هذا التعليم، بالحدّ من الإعتمادات المالية التي تجعله يقوم بمهامه على الوجه الأكمل.
 - منع الاساتذة التابعين لإدارة التعليم العمومي من تدريس العلوم العصرية بالزيتونة.
 - منع الأساتذة من الأجانب من التدريس بالزيتونة بعدم اعطائهم تأشيرة الدخول إلى تونس.
 - دعوة مجلس إصلاح التعليم الزيتوني للإنعقاد في محرم 1369هـ/مارس 1950م، وحمله على اتخاذ قرارات مناقضة لما تمّ إقراره للنهوض بالتعليم.
 - إذكاء الصراع بين المؤيدين للإصلاح والمناهضين له، من شيوخ الجامع وطلبته، وبث الفرقة والتراع.
 - إيقاع صدامات مفتعلة بين رجال الزيتونة والعناصر الوطنية بالإندساس في الفريقين.
 - فصل مدير المدارس الشيخ محمد الشاذلي بلقاضي، الذي نجح في إدارتها بحكمته وحزمه وكفاءته.
- وبعد ذلك عمد ساسة ومفكرون منهم تونسيون للقيام بإجراءات، الغرض منها القضاء على التعليم الزيتوني "العربي الإسلامي" برمته ومنها:
- إخضاع التعليم الزيتوني لوزارة التعليم، بعد أن كان يتبع الوزير الأكبر مباشرة.
 - فصل العلامة الشيخ ابن عاشور عن مشيخة الجامعة. ⁽¹⁾
- وبالموازاة مع الضغوط والمضايقات، عانى الشيخ من المعارضين للإصلاح والتجديد داخل الزيتونة نفسها، وأبرزهم من دعوا بالمحافظين، الذين قاموا بمختلف الوسائل لإجهاض التجديد والتطوير والإصلاح منها:
- الدسّ والكيد لدى الباي، وتأليب البسطاء من العامة، حتى قال أحد المعلمين بالجامع: إن ابن عاشور قد حذف من برامج الدراسة الكتب ذات البركة...!!
 - إشاعتهم أن ابن عاشور يسعى لعلمنة التعليم، وإيقاعه تحت سيطرة حكومة الاحتلال.
 - وصف الشيخ ابن عاشور وغيره من المصلحين بأقذع الأوصاف وأحطّ النعوت، ومنها رميهم بالبدعة والضلالة.
 - ونتج عما سبق انقسام الصف، وشقّ عصا الجماعة، ومنها على الصعيد الصحفي، فوقفت صحف الصباح والزهراء والوزير ضدّ عملية الإصلاح، ودافعت عن الجناح المحافظ، بينما صحف النهضة والصوت التونسي أيّدت الإصلاح ودعمته. ⁽²⁾

(1) محمد الحبيب ابن الخوجة: المصدر السابق. ج1. ص ص 302-305.

(2) بلقاسم الغالي، المرجع السابق. صص 13-14. وأيضا: محمد محفوظ، المرجع السابق. ج3. ص305. وكذا: بوصفصاف، المرجع السابق. ص321.

وُبُعِدَ الاستقلال كان القرار الحكومي، القاضي بتوحيد التعليم في كل المدارس والمعاهد الابتدائية والثانوية بمثابة الشعرة التي قصمت ظهر البعير، إذ اقتصر عمل الزيتونة في التعليم العالي، وقد حذفت منه روافده، وجففت منابعه، الابتدائية والثانوية. ⁽¹⁾

وإني باستعراض كل هذه المطبات والمعيقات والمثبطات لأستحضر حكمة الشاعر في قوله:

متى يبلغ البنيان تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
لو ألف بان خلفهم هادم لكفى فكيف بيان خلفه ألف هادم

8- نتائج الجهود التعليمية للشيخ ابن عاشور:

لقد عاش العلامة ابن عاشور حياة امتدت حتى ناهزت القرن "94 سنة"، في خدمة العلم وإصلاحه، علما وعملا، تدريسا وتأليفا، وتحمل في ذلك مشاق تنوء بها العصابة من الرجال، فكانت لذلك نتائج باهرة، وأبرزها:

- تعاضد دور التعليم العربي الإسلامي، إذ بدأ يستكمل عناصره الأساسية من مواد ومناهج ومؤلفات، مواكبةً للعصر، بنهج التحديث والتجديد، وإدخال المواد الحديثة.
- وغدا جامع الزيتونة مركزا لمقومات البلاد وهويتها، ومجالا للمواد المعروضة لا المفروضة، لبناء مستقبل البلاد، ودعم النهضة بتونس، بتوازن بين الأصالة والتحديث.
- تمكّن الاساتذة من المشاركة في المسيرة الثقافية والعلمية.
- ظهور حركة التأليف في مختلف العلوم، ومنها الرياضية والطبيعية باللغة العربية.
- زاد عدد الطلبة حتى ضاقت بهم الزيتونة، ومع إحجام الحكومة عن تقديم الدعم لها، اضطر القائمين عليها لاستئجار كثير من الدور والمنازل، واستعمال حجراتها للتدريس، كما أسسوا بمساعدة ذوي البرّ مقرا كبيرا لإيواء الطلبة وهو "الحي الزيتوني".
- أحدث التعليم تبدل في العقليات، منها أنه نزع عنها سلطان الطرق الصوفية، خصوصا السلوكات المنحرفة، والبدع والخرافات التي يتبعها بعض شيوخ الطرق للسيطرة على مريديها الأميين.

(1) محمد الحبيب ابن الخوجة، المصدر السابق. ج1. ص 306.

- دعم كثير من شيوخ الزيتونة وطلابها للحركة الوطنية، ومنها هبتهم في محنة التجنيس، ومشاركتهم في مؤتمر ليلة القدر، وقيام الاتحاد العام التونسي للشغل في رحاب الزيتونة وبمقر الخلدونية.⁽¹⁾

فلا عجب إن تغنى الشعراء بهذه النهضة الكبرى المباركة، أو فاحروا بهذه الأجداد الرفيعة، فقد جاء من ذلك على لسان مصطفى خريف: (2)

فدى لأبي الزيتونة القرم وابنها	وشيخ علاها، جاحد الفضل كافر
لقد كاد نور العلم فيها لينطفئ	فأوقده الشهم ابن عاشور طاهر
إمام على نهج الحقيقة سائر	هداه إلى نهج الحقيقة فاطره
أخز عزمات لا تلين لغامر	ورب مزايا ليس تفنى مآثره

9- أشهر من تتلمذوا عليه:

تولى العلامة محمد الطاهر ابن عاشور التدريس مدة طويلة، في جامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والجمعية الخلدونية، فتتلمذ عليه عدد كبير، وصار هؤلاء فيما بعد أبرز أعلام النهضة العلمية والدينية، ومن هؤلاء التلاميذ الذين ذاع صيتهم، ابنه البكر العلامة محمد الفاضل بن عاشور (ت1970م)، والشيخ محمد الشاذلي النيفر، والدكتور الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة (ت1983م)، وثلاثتهم تولى عمادة الجامعة الزيتونية على التوالي، ومحمد الصادق بن محمد الشطي (ت1364هـ)، وشقيق الشيخ محمد الخضر حسين زين العابدين بن حسين (ت1377هـ)، ومحمد بن خليفة المدني (ت1378هـ)، وأبو الحسن بن شعبان (ت1383هـ)، ومن خارج تونس الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ مبارك المليي... الخ.⁽³⁾

ومن ذكرنا من تلاميذه فيض من غيض، إذ يصعب حصرهم لكثرتهم، ولأن الكثير منهم غمر ذكره، ولكن الأكيد هو أن أكثر العائلات التونسية وحتى الجزائرية ذات صلة بجامع الزيتونة، فقد يكون أحد أفرادها أو أقربائها درس في الزيتونة، وتتلمذ على الشيخ ابن عاشور أو على أحد تلامذته.

(1) محمد الحبيب ابن الخوجة، المصدر السابق. ج1. ص 299-306. وأيضا: التليلي العجيلي، المرجع السابق. ص 251 وبعدها.

(2) محمد الحبيب ابن الخوجة، المصدر السابق. ج1. ص 307.

(3) محمد محفوظ، المرجع السابق. ج2 ص 136، ج3 ص 196-199، ج4. ص 191-196. وكذلك: خير الدين الزركلي،

المرجع السابق. ج3. ص 289، و ج6. ص 162، 325-326.

جهود الشيخ ابن باديس في مجال التعليم:

لقد أوقف الشيخ ابن باديس حياته على دراسة العلم وتدريسه، والبحث في أسباب علله وأدوائه، والتفكير في كيفية الخروج من مأزقه، وقضى زمنا طويلا في التدريس، وتأثر بأراء شيوخه وأساتذته الإصلاحية، ومع استعداده الفطري، وذكاءه الوقاد وموهبته الفذة، كل هذا جعل منه مدرسة مستقلة في الإصلاح، ومصدر لآراء وأفكار دقيقة وناجعة لتطوير التعليم ورقّيه.

وأسمى مطالب الشيخ ابن باديس ومبلغ أمله، هو إعزاز الإسلام واللغة العربية والعيش لهما، وقد عاهد على ذلك في حياته، بقوله: ((إني اعاهدكم على أني أقضي بياضي على العربية والإسلام، كما قضيت سوادي عليهما وإنها لواجبات، وإني سأقصر حياتي على الإسلام والقرآن، ولغة الإسلام والقرآن، هذا عهدي لكم))، ووصى بهما لما بعد موته فقال: ((أطلب منكم شيئا واحدا، وهو أن تموتوا على الإسلام والقرآن، ولغة الإسلام والقرآن)).⁽¹⁾

1- تعريف الشيخ ابن باديس للعلم:

يعرف الشيخ العلم على أنه ذلك التصوّر الجازم المطابق للواقع عن وعي وبصيرة، بينة محسوسة أو معقولة، فإذا لم يصل إلى رتبة الجزم فهو ظن⁽²⁾، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ((ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا)). الإسراء 37

ولما كان العلم بهذا المعنى مرادف لمعنى الحقيقة واليقين وهما نسيان، فقد أرخى ابن باديس تعريفه السابق بقوله: ((إنه يطلق أيضا على ما يكاد يقارب الجزم ويضعف فيه احتمال النقيض جدا))، واستدلّ في ذلك بقول إخوة يوسف عليه السلام: ((وما شهدنا إلا بما علمنا)) يوسف 81، فيوسع ابن باديس دائرة العلم بقوله: ((لأنه إدراك كاد يبلغ الجزم لانبنائه على ظاهر الحال، وإن كان ثم احتمال خلافه في الباطن، لأنه احتمال ضعيف بالنسبة لما شاهدوه))⁽³⁾، والملاحظ أن هذا التعريف للعلم لغويا، وهو المناسب في موقعه من التفسير، ولم أقف -فيما بحثت- على تعريف الشيخ الاصطلاحي للعلم.

(1) عمار طالي، المرجع السابق. ص 121.

(2) عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكميم الخبير، ط1، دار البعث، الجزائر، ط1، 1402هـ/1982م. ص 136.

(3) المصدر نفسه. ص 137.

2- أهمية التعليم وإصلاحه لدى ابن باديس:

- الحفاظ على بقاء الأمة، يقول: ((فلا بقاء للأمة إلا بالإسلام، ولا بقاء له إلا بالتربية والتعليم)).
- يعتبر الشيخ ابن باديس إن صلاح التعليم هو أساس الإصلاح.
- يحرّر العلم الشعوب من كل قيودها، وأبرزه التخلص من ربة الجهالة، والاحتلال الذي كان من أسلحته الثقيلة، تجهيل الشعب حتى يسهل الإمساك بخناقها، فلا بدع إن صدح مخاطبا الشعب الجزائري: ((وهورب فيكم العلم، حتى ظن أن قد رضيتم بالجهالة، وأخلدتم للنذالة، ونسيتم كل علم إلا ما يرشح به لكم، أم ما يمزح بما هو أضرّ من الجهل عليكم)).⁽¹⁾
- إن خدمة العلم كان مصدر عزّ أسلافنا، ولا عزّ لنا إلا إذا أخذنا بأسباب العظمة والقوة، وهي خدمة العلم كما خدموه.⁽²⁾
- تكمن قوة العلم وجدواه في العمل به، من خلال الممارسات العلمية، والسلوكات الأخلاقية، والقيم التي تفرق بين العالم والجاهل، وإلا فلا معنى للعلم مع العشوائية، وعدم التطبيق على أرض الواقع.
- خدمة الإسلام والمسلمين وإيصال الخير لجميع الجزائريين، لأنه لا إسلام بدون تعليم، وكيف يتسنى للعبد القيام بالعبادة في خضم الجهالة.
- هو تطبيق لأمر إلهي، حيث إن القيام بأعباء التعليم واجب على ولي الأمر، فإذا فرط فيه فقد وجب على جماعة منهم، فإن لم يقوموا به لحق الإثم كل فرد منها.⁽³⁾

3- تحليله لواقع التعليم:

يُوعز الشيخ ابن باديس فساد التعليم بالجزائر، إلى الآلة الاستدمارية التي أبقت أول الأمر على التعليم ببعض المساجد، منها في قسنطينة الجامع الكبير والجامع الكتاني فقط، ويقوم التعليم في المسجدين على الفقه والتوحيد والعربية، ثم صدر أمر أوائل القرن 20م، قضى على البقية الباقية من التعليم المسجدي، فلم يعد له معناه ووظيفته بعد أن أفرغ من محتواه.⁽⁴⁾

(1) الشهاب مج 13، ج 08، 01 شعبان 1356هـ/أكتوبر 1937م. ص 396-397. وكذلك: عبد الرحمان شيبان، المصدر السابق. ص 84.

وأیضا: عمار طالي، المرجع السابق. ج 1. ص 101.

(2) عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير... ص 356.

(3) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009. ص 80-101.

وسعد حميسي: العلم والقيم الأخلاقية في فكر الشيخ عبد الحميد ابن باديس، موقع ابن باديس على النت، تاريخ الإطلاع: 21 مارس 2014

(4) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: سجل مؤتمر... ص 102.

4- جهوده العلمية لإصلاح التعليم:

1-4 نظرتة لإصلاح التعليم:

إن مسار الشيخ ابن باديس التعليمي، والأفكار التنويرية التي تلقاها على بعض شيوخه، وأبرزهم الشيخ لونيسي والشيخ النخلي والشيخ ابن عاشور، وجلاء بصيرته، كلها جعلته يدرك هاوية التعليم العربي الإسلامي، وأنارت دربه لحلول تخصّ هذا المشكل العويص، وأدوية لهذا الداء العضال.

2-4 دواعي الإصلاح:

يقول الإمام ابن باديس: ((لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماءهم (...))، ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم))، ومن خلال قولته هذه يربط ابن باديس صلاح العلماء بإصلاح التعليم، وإصلاح هؤلاء العلماء هو إصلاح للمجتمع، ويؤكد هذا بقوله: ((صلاح التعليم أساس الإصلاح)).⁽¹⁾

3-4 إصلاح التآليف "العلوم":

دعا ابن باديس المدرسين وشيوخ العلم إلى الاجتهاد ونبذ القديم العديم الفائدة المتوارث منذ أحقاب، الذي يعتبر مظهرا من مظاهر قصورنا وجمودنا.⁽²⁾

4-4 إصلاح المدرسين:

- اقترح تأسيس كلية دينية تكون نواتها طلبته النجباء، ومهمتها تخريج رجال الفقه بالدين يعلمون الأمة أمر دينها.
- تكليف لجنة لوضع خطة للنهوض بالتعليم، من حيث العلوم والكتب والمناهج.
- حثّ شعب الجمعية على تأسيس مدارس في كل مسجد.
- تدريب المعلمين بدروس تطبيقية قبل شروعه في مهمة التدريس.
- وجوب المدرسين قراءة كتب فن التعليم "البيداغوجيا".

(1) عمار طالي، المرجع السابق. ج1. ص 101.

(2) عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق. ص ص 425-426.

- يجب على المدرسين الاعتماد على تمرين التلاميذ، وليس الاستغناء بالدراسة النظرية، لأن العلم دون تطبيق إنما هو تضييع للوقت، وتعطيل للملكات، وتقليل للتحصيل. (1)

4-5 إصلاح النظام العام والمناهج:

- نادى ابن باديس بإصلاح التعليم على أساس المرجعية الإسلامية المتمثلة في مصدرية الأساسيين: القرآن والسنة، والرجوع به إلى منهجه النبوي الأصيل، وفي هذا يقول: ((ولن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه، في مادته وصورته فيما كان يعلم صلى الله عليه وسلم، وفي صورة تعليمه، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم أنه قال: " إنما بعثت معلماً ". فماذا كان يعلم؟ وكيف كان يعلم؟"، وقال: " ولن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا به للتعليم النبوي، في شكله وموضوعه في مادته وصورته))
- الدعوة لاتحاد العلماء وتوحيد جهودهم في عملية إصلاح التعليم للنهوض بالمجتمع. (2)

5- جهوده العملية في مجال التعليم وإصلاحه:

5-1 الاقتراحات والمطالب والعرائض:

- قدّم مطالب للمؤتمر الإسلامي باسمه الخاص، وتدور أغلب مطالبه حول إصلاح الدين والتعليم.
- انتقد المناهج التربوية في جامعي الأزهر الزيتونة، وشارك في محاولة إصلاح التعليم الزيتوني، حيث بعث باقتراح إلى لجنة إصلاحه، ضمّنه تصوّره وخلاصة آرائه في التربية والتعليم.
- ومن نظراته في هذا المجال، اقتراحه على لجنة المناهج التي شكلها الباي سنة 1931م لإصلاح التعليم الزيتوني، ويتضمن الاقتراح آراء نظامية ومنهجية، إذ قسّم اتجاه التعليم إلى قسمين: قسم المشاركة

(1) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: سجل مؤتمر.... ص 103. وينظر: عمار طالي، المرجع السابق. ج1. ص 102، 110. وكذلك: عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق. ص 390-427.

(2) عبد العزيز فيلالي وآخرون: البيت الباديسي مسيرة علم ودين وسياسة، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، 2012. ص 116. وأيضاً: عمار طالي، المرجع السابق. ج1. ص 110. وينظر: مالك بن خليف، المرجع السابق. ص 459.

"جذع مشترك" ومدته 8 سنوات، وقسم التخصص ويشمل: فرع القضاء والفتوى وفرع الخطابة والوعظ والإرشاد وفرع تخريج الأساتذة ومدته سنتان... إلخ. (1)

- نادى بالتعلم والتثقيف باللسانين العربي والفرنسي، فاللغة العربية اللغة الأصيلة بالبلاد وبها يفهم الدين الإسلامي، والفرنسية هي -حاليا- لغة الحضارة، فكل متلمس للرقى والتقدم عليه باللغات الغربية، والفرنسية هي أقربها للجزائريين.

- يحرض ابن باديس الجزائريين وخصوصا الشباب على طلب العلم حيث كان وبأي لغة كانت، فيقول: ((فأرجوكم أيها الشبان الحازمون أن تأخذوا العلم بأي لسان كان، وعن أي شخص وجدتموه، وأن تطبعوه بطابعنا لنتفع به الانتفاع، المطلوب كما أخذه الاورباويون من أجدادنا وطبعوه بطابعهم النصراني وانتفعوا به)).

- دعوته لكل البلدات الجزائرية أن تحذو حذو جمعية التربية والتعليم الإسلامية، بإنشائها مدارس حرة للتعليم العربي الإسلامي، أو تأسيس فروع للجمعية بمناطقها.

- الاحتجاج لدى السلطات على التضييق وعرقلة التعليم العربي الإسلامي.

- مما جاء في الفصل الرابع للقانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين: ((نشر الدين الإسلامي الصحيح، (...)) ومحاربة الجهل (...))، وذلك بإلقاء المحاضرات التهديبية، وإنشاء المدارس لأبناء المسلمين، يتعلمون فيها لغتهم العربية)). (2)

5-2 تدريسه للعلوم:

5-2-1 توليه التعليم المسجدي:

- عقب رجوعه من الزيتونة، انتصب الشيخ ابن باديس للتدريس في الجامع الكبير بقسنطينة حيث شرع في إلقاء الدروس للعموم من كتاب "الشفاء" للقاضي عياض وغيره، ولما رجع من رحلته

(1) بوصفصاف، المرجع السابق. ص 424-427. ومالك بن خليف، المرجع السابق. ص 423.

(2) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومبادئها الإصلاحية، المطبعة الجزائرية الإسلامية-قسنطينة، دت. ص 03. عبد الرحمان شيبان: من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009. ص 82-84. وكذلك: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر... ص 79. وأيضا: علي غنابزي: دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية بالجزائر للحفاظ على الهوية الوطنية، ط 1، مطبعة مزوار، الودي-الجزائر، 2012. ص 43. أيضا: عمار طالي، المرجع السابق، ج 1. ص 108-113.

المشرقية سنة 1914م استأنف تعليمه بالجامع الأخضر، ورابط فيه أكثر من ربع قرن، يعلم القرآن ويفسره ويشرح الحديث النبوي للصغار والكبار ⁽¹⁾، كما علم في مساجد كثيرة بمدينة قسنطينة مثل: "الجامع الكبير" و"سيدي قموش" و"عبد المؤمن" و"سيدي بو معزة" و"سيدي فتح الله"، وكان الطلبة يفدون إليه من جميع نواحي القطر، ليدرسوا علوم الدين واللغة، وبلغ عدد تلاميذه في التعليم المسجدي بين سنوات "1917-1936م" من 100 إلى 300 طالب سنوياً، أما مستمعي دروسه الليلية فيُقدَّر عددهم بألفي مستمع. ⁽²⁾

- وابن باديس أول من بدأ تعليم الصغار خارج الكتاتيب القرآنية، بما يشبه التدريس في المدارس، ويقول في ذلك: ((كان التعليم المسجدي بقسنطينة قاصراً على الكبار، ولم يكن للصغار إلا الكتاتيب القرآنية. فلما يسر الله لي الانتصاب للتعليم عام (1332هـ/1913م) جعلت من جملة دروسي، تعليم صغار الكتاتيب القرآنية بعد خروجهم من آخر الصبيحة وآخر العشيّة، فإن ذاك أول عهد الناس بتعليم الصغار)). ⁽³⁾

- **من العلوم التي درسها:** تفسير القرآن الكريم - شرح الحديث الشريف - الفقه المالكي - العقيدة - التاريخ - الآداب والاخلاق الإسلامية - اللغة العربية وعلومها "النحو والصرف والبلاغة والبيان والأدب" - العلوم العقلية كالمنطق - الحساب... إلخ، وأهم الكتب التي يستقي منها هاته العلوم: "موطأ" الإمام مالك "الحديث" - أقرب المسالك، رسالة أبي زيد القيرواني، متن ابن عاشر "الفقه" - قطر الندى، الأجرومية، لامية الأفعال، ديوان الحماسة لأبي تمام - ديوان المتنبي - السلم - المكودي - التنقيح - مقامات الحريري - المفتاح - أمالي القالي - مقدمة ابن خلدون. ⁽⁴⁾

- **أوقات التدريس:** قسم الشيخ طلبته إلى صنفين: الأول الكهول والشيوخ والثاني الصغار، وحدد لكل صنف وقتاً، وكانت حلقات درسه من صلاة الفجر إلى منتصف الليل، لا تنقطع إلا أوقات الصلوات وفترة الغداء وراحة وجيزة وقت القيلولة، فيقضي نهاره يعلم الصغار العلوم الدينية والعربية متدرجاً معهم حسب مستوياتهم وأوقات تفرغهم، لأنه كان يدرس أطفال المدارس الرسمية

(1) عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق. ص 243-245.

(2) عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق. ص 382-385. وكذا: توفيق المدي: كتاب الجزائر. ص 97.

(3) عبد الرحمان شيبان، المصدر السابق. ص 81.

(4) عمار طالي، المرجع السابق. ص 313-315. وأيضاً: بوصفصاف، المرجع السابق. ص 245. وعلي غنابزة، المرجع السابق. ص 37.

الفرنسية، وبرنامج دراستهم في مدارسهم موزعا طول النهار بين 08 صباحا و 06 مساء⁽¹⁾، وكان ينهض بأعباء التدريس وحيدا في مدارس مختلفة ينتقل إليها ولم يكن عمله ينتهي بنهاية النهار، بل يستمر مع كهول قسنطينة من التاسعة مساء حتى منتصف الليل كل يوم تقريبا.⁽²⁾

5-2-2 تأسيس المدارس ونشاطه بها:

بعد سنوات من التدريس المسجدي 1913-1922م نقل الشيخ ابن باديس عمله نقلة نوعية، حيث باشر بتأسيس المدارس، وأشهر المدارس التي أسسها هو ورفاقه المصلحين، أو تلامذته:

المكتب العربي الابتدائي بقسنطينة: كوّن ابن باديس نواة التعليم الابتدائي بإنشائه سنة 1922م صلبة جماعة من المصلحين "المكتب العربي الابتدائي"، في محل فوق مسجد سيدي بومعزة، ثم نقلها سنة 1927م إلى مقر الجمعية الخيرية الإسلامية لاتساع مكانها، يقول ابن باديس: ((ثم بعد بضع سنوات رأى جماعة من الفضلاء المتصلين بنا تأسيس مكتب يكون أساسا التعليم الابتدائي العربي فأسسناه، وكان الاخوان الفضلان: السيد العربي والسيد عمر بن غسولة قد اشتريا مسجد سيدي بومعزة والبناء المتصل به، وكان فوق بيت الصلاة محل للسكن بالكراء فأزالاه عن ذلك، وابقياه محلا فارغا فجعلناه هو المكتب)) وبهذه المدرسة 04 أقسام، قسمان مخصصان لأبناء الكتاتيب القرآنية، وقسمان لأبناء المدارس الفرنسية.⁽³⁾

مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة: في سنة 1930م حوّل الشيخ ابن باديس وعصبته عملهم ضمن إطار منظّم، بتأسيسهم "جمعية التربية والتعليم الإسلامية"، وغيّروا اسم مكتب التعليم العربي إلى "مدرسة التربية والتعليم"، واعترفت بها السلطات في فيفري 1931م، وأسست لها عدة فروع في قسنطينة منها: فرع الجزائر، فرع أولاد ابراهيم، فرع الشباب، فرع باردو، فرع سيدي مبروك، وبلغ عدد طلبة المدرسة وفروعها عام 1934م، 400 تلميذ وتلميذة، واستمرت المدرسة في عملها، إلى أن ضاقت سلطة الاحتلال بها ذرعا وأغلقتها عام 1957م.⁽⁴⁾

(1) عمار طالي، المرجع السابق. ج1 ص 115.

(2) كان يشرع بعد صلاة الفجر في إلقاء دروس في مواد ومستويات متنوعة حتى الساعة العاشرة أو الحادية عشر صباحا، ينزل بعدها في مكتبه، ثم يستأنف الدروس حتى صلاة العصر المغرب، وفي الليل يلقي درسا عاما في تفسير القرآن، يتبع بالتحضير لدروس الغد وتحرير مقالات صحفية، ولا يتوجه للنوم إلا بعد منتصف الليل. بالإضافة إلى كل هذا النشاط، كان يقوم بتفقد المدارس الحديثة التي كانت له المبادرة في تأسيسها، ويحضّر الامتحانات، ويقوم شخصيا بتوديع التلاميذ عند توجههم للعطلة. عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق. ص 244-245.

(3) عبد الرحمان شيبان، المصدر السابق. ص 82. ومالك بن خليف، المرجع السابق. ص 355. وأيضا: بوصفصاف، المرجع السابق. ص 386.

(4) عمار طالي، المرجع السابق. ج1. ص 114. وكذلك: عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق. ص 386.

مدرسة دار الحديث بتلمسان: أسستها جمعية العلماء آخر صيف 1937م، وهي من أهم مدارس الجمعية، وكانت تحت إشراف الرجل الثاني في الجمعية الشيخ محمد البشير الابراهيمي.

مدرسة التربية والتعليم بسكرة: أسست عام 1937م، وتخرج منها ثلة من الشخصيات الجزائرية المهمة، لعل أبرزهم الشهيد العربي بن مهيدي.

وبلغ عدد مدارس الجمعية 31-1934م، 70 مدرسة، وفي سنة 1938م بلغ عددها في عمالة قسنطينة وحدها 85 مدرسة، كلها تحت إشراف الشيخ عبد الحميد ابن باديس، بمساعدة المشايخ الفضلاء والعلماء المصلحين، أمثال: محمد البشير الابراهيمي، الطيب العقبي، مبارك الميلي، العربي التبسي، حمزة بوكوشة، عبد الحميد حيرش، محمد خير الدين، عمر دردور، الفضيل الورتلاني... إلخ.⁽¹⁾

5-2-3 الاهتمام بالطلبة:

- أرسل بعثات علمية للزيتونة بتونس والأزهر بمصر وإلى دمشق، وقد توسط لهم بمراسلات إلى علماء الزيتونة والأزهر قصد حصولهم على منح دراسية، وفي هذا الإطار تدخل العالم المصري الشيخ محمد عبد الله دراز عدة مرات لدى شيخ الأزهر لصالح تلاميذ ابن باديس.

- كان ابن باديس يحتفي كل عام بطلبته المتخرجين، فينظم لهم حفلا لاستقبالهم وتكريمهم، يقول محمد الصالح بن عتيق الذي تخرج من جامع الزيتونة في منتصف الثلاثينيات: ((عدت إلى الجزائر (...). أحمل الشهادة وفرح بذلك أهلي، ولكن فرح أستاذنا العظيم كان أكثر، فقد استقبلني مع بعض الإخوان الذين فازوا في امتحان الشهادة استقبالا رائعا، فأقام لنا حفلا مضيئا (...). وأهاب بنا إلى القيام بالدعوة الإصلاحية، في الجهة التي نكون بها (...). ولم يكتف رحمه الله بهذا (...). ونشر أسماءنا في مجلة الشهاب تحت عنوان: "نجوم الجزائر" تشجيعا لنا وتعريفاً للأمة بنا))⁽²⁾

كما عمل الشيخ على توفير الغذاء والمسكن والخدمات الصحية للطلبة الفقراء، عن طريق حث المحسنين من مدينة قسنطينة، وخارجها كمدينة بسكرة، الذين ساهموا في إعانة ابن باديس على رعاية الطلبة، ونذكر منهم في عمالة قسنطينة:

(1) عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق. ص 387-388. وأيضا: عمار طالبي، المرجع السابق. ج. 1. ص 117.

(2) مولود عويمر: الإمام عبد الحميد بن باديس المصلح الثائر، موقع الشيخ ابن باديس على النت: <http://www.binbadis.net>

تاريخ الإطلاع: 22 ماي 2014م.

- السيد ابن جلول محمود الطباخ: كان يتكفل بتغذية خمسين طالبا.
- السادة: بوبلجبال، وزعيتر محمد، وبورغيدة علي الكواوشة: ساعدوا في توفير ثمن الخبز والعمل.
- الحاج العربي وعمر أبناء مغسولة: تكفلا بإسكان الطلبة في القسم الأعلى لمسجدهما سيدي بومعزة.
- عائلات قسنطينية كثيرة: تتكفل بإطعام كثير من الطلبة في بيوتها.
- أهل مدينة بسكرة: يرسلون إلى صندوق الطلبة بنحو ثلاثين خيشه من التمر.
- الدكتور بن جلول والدكتور ابن الموفق وطبيب الاسنان الطيب زرقين: للقيام برعاية صحة الطلبة.(1)

5-2-4 التركيز على دور المدرسين:

خصص دروسا لمعلمي جمعية التربية والتعليم الإسلامية، يوم الاحد من كل اسبوع، فقسمهم فوجين حسب ظروفهم، ففوج يدرسه الساعة 10 نهارا، والفوج الآخر يتلقى درسه الساعة 08 ليلا، وكما سبقت الإشارة إليه فقد اقترح تأسيس كلية لتخريج المدرسين، كما يدخل عقده للمؤتمر السنوي لإطارات التعليم بالجمعية في مضمار توعية وتأطير المدرسين.(2)

5-2-5 تطوير العلوم والمناهج والبرامج:

يصدر الشيخ كل سنة بيان يحتوي على العلوم المدرجة في مدارس، والكتب المدرسية، فعلى سبيل المثال يحتوي بيان 1933/10/21م على مواد: التفسير، التجويد، الحديث، الفقه، العقائد الدينية، الأخلاق، اللغة العربية وعلومها "النحو-الصرف-البيان-الأدب"، والآداب الإسلامية، الفنون العقلية من منطق وحساب، وغيرها.

أما الكتب المعنية بالدراسة فهي: الموطأ، أقرب المسالك، الرسالة، ابن عاشر، المفتاح، الزنديوي، التنقيح، السلم، المكودي، القطر، الاجرومية، الزنجاني، اللامية، السعد، الجوهر المكنون، من ديون الحماسة، من ديوان المتنبي، الأمالي للقيالي، من مقدمة ابن خلدون.

وبيان سنة 1936م إحتوى على عدد الطلبة المسجلين، والطلبة الذين سافروا إلى الزيتونة لإكمال دراستهم، كما أفصح عن تطور المناهج وزيادة مواد الدراسة، فإضافة إلى العلوم السابقة، زاد علوم: الفرائض "علم المواريث"، الجغرافيا، التاريخ، الأصول، المواعظ.(3)

(1) طالي، المرجع السابق. ج.1. ص ص 117-118. أيضا: مالك بن خليف، المرجع السابق. ص 358.

(2) عبد الرحمان شيبان، المصدر السابق. ص 83. وأيضا: عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق. ص ص 390-391.

(3) مالك بن خليف، المرجع السابق. ص 356.

5-2-6 العناية بالنظام والانضباط والفروع:

- تأسيس جمعية التربية والتعليم الإسلامية سنة 1349هـ/1930م، ومن خلال نظرة تحليلية فاحصة لبعض بنود القانون الأساسي لهذه الجمعية، يبرز لنا البعد والنضج التنظيمي في فكر بن باديس. وحضور الأبعاد التعليمية الاجتماعية والاقتصادية.
- تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لنشر العلم والفضيلة ومحاربة الجهل والرذيلة، وقد نص قانونها الأساسي في فصله الأول: أنها جمعية دينية علمية تهذيبية أدبية، وكل هذه الكلمات تدل على مهمة الجمعية الأساسية وهي التعليم.
- يعقد ابن باديس سنويا مؤتمرا تعليميا تقييما بالعاصمة، خاص بإطارات التعليم الذي تقوده جمعية العلماء.
- نشر بيان عن الحركة التعليمية سنويا، ومن جملة محتوياته أوامر تنظيمية منها؛ تعيين الاساتذة، وتنظيم الطلبة، ونفقات التعليم، ففي بيان 1933م:
 - تقسيم التلاميذ إلى أربعة مستويات، لكل مستوى علومه ومنهجه.
 - عدد التلامذة: نحو الثلاثمئة.
 - المعلمون وهم الشيوخ: عبد الحميد ابن باديس، عبد الحميد بن حيرش، حمزة بوكوشة، المتخرجون من جامع الزيتونة المعمور، ومن كبار التلامذة، الشيوخ: البشير بن أحمد، عمر دردور، بلقاسم الزغداني.
 - النفقة: لا تنقص يوميا عن ثلاثمئة فرنك مع ملحقات. (1)

ومما يتصل أيضا بتنظيم التعليم بالجامع الأخضر مسائل نذكرها فيما يلي:

- أ - شروط الانخراط في التعليم: وضع ابن باديس شروطا لكل من يريد التعلم في الجامع الأخضر بأن:
 - يكون حافظا للقرآن العظيم أو بعضه، وأقله الربع - لا تتجاوز سنه 25 إذا كان مبتدئا لم تتقدم به القراءة - أن يأتي بكتاب من كبير بيته أو عشيرته للتعريف به - ينبغي للطالب أن يأتي معه بفرشه وغطائه. (2)
 - ولضبط التلاميذ الوافدين عليه لطلب العلم، شكّل هئتين تنظيميتين، هما:

(1) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: القانون الأساسي. ص 02. وكذلك: مالك بن خليف، المرجع السابق. ص 356-365. وأيضا: عمار طالي، المرجع السابق. ج 1. ص 116-117.

(2) مالك بن خليف، المرجع السابق. ص 357. ينظر أيضا: عبد الحميد بن باديس: الدروس العلمية الإسلامية بقسنطينة، جريدة الصراط، س 01، ع 04، 16 جمادي الثانية 1352هـ/09 أكتوبر 1933م. ص 03.

ب: لجنة الطلبة: تتكون من 18 عضواً من أعضاء جمعية التربية والتعليم، ومهمتهما الإشراف على شؤون الطلبة، ومنها "الصندوق المالي للطلبة" وضبط مداخله ومصاريفه.

ج: نظام العرفاء: أحدثه ابن باديس لضبط التلاميذ وتنظيم سلوكهم، والعريف هو أحد الطلبة الناهجين يختاره الشيخ ليكون مسؤولاً عن مجموعة من الطلبة "ينتمون لنفس منطقته الجغرافية"، ومهمة هذا العريف مراقبة سيرة وسلوك الطلبة، واتخاذ الإجراء التأديبي اللازم عند الاقتضاء. (1)

5-2-7 المساهمة في تأسيس النوادي وتنشيطها:

ساهم الشيخ ابن باديس في تأسيس النوادي الثقافية، وعمل على إنجاح عملها، بتعهده إياها بالزيارات، وإلقاء المحاضرات، وتخصيصها بنشاطات معينة، ومنها:

– نادي الترقى بالعاصمة: أسس هذا النادي فضلاء وأعيان من مدينة الجزائر سنة 1927م، وكان ابن باديس يزوره باستمرار، ويحاضر فيه، ولما أسس جمعية العلماء عام 1931م جعله مقراً رئيساً لها.

– نادي السعادة بقسنطينة: أسس في جويلية 1925م من طرف المثقفين وأصحاب الشهادات العليا.

نادي الاتحاد بقسنطينة: أسسه الدكتور ابن جلول، ويوجد ضمن أعضائه المحامي الزبير ابن باديس أخو الشيخ عبد الحميد، كان الشيخ يحاضر فيه ليلة الإربعاء من كل أسبوع، كما جعله مركزاً يلتقي فيه بحجاج بيت الله الحرام. (2)

5-2-8 نشاطه الصحفي:

ساهم الشيخ في إصدار جريدة النجاح، بمعية الشيخ عبد الحفيظ الهاشمي بمدينة قسنطينة سنة 1919م، وتعتبر "النجاح" الجريدة العربية اليومية الوحيدة في الجزائر إلى الاستقلال، ونشط فيها الشيخ باسم مستعار "القسنطيني أو العبسي" ثم تولى عنها، وأسس صحفاً مستقلة، تقوم بالتوعية والارشاد ونشر الثقافة والعلوم والتربية والإصلاح، والشيخ يعلم أهمية الصحافة وتأثيرها على مختلف شرائح المجتمع، لذلك ظلّ مستميتاً في نشاطه الصحفي رغم مضايقات الاحتلال إلى وفاته، ومن عبقرية ابن باديس أنه أنشأ

(1) عمار طالي، المرجع السابق. ج1. ص ص 116-118. وكذلك: مالك بن خليف، المرجع السابق. ص 359، 362.

(2) عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق. ص 393-396.

صحفا باسمه، ينشر فيها ما يشاء دون الخوف من أن يضرّ ذلك بجمعية العلماء أو نشاطها، وصحفا باسم جمعية العلماء يتقيد فيها بالنظام ويسير نشاطها بحذر، وصحفا أخرى دعمها بمقالاته ومساعداته، مثل جريدة "La Défense" للأديب محمد الأمين العمودي.⁽¹⁾ والصحف التي أسسها الشيخ ابن باديس:

- جريدة المنتقد: أسسها يوم 11 ذي الحجة 1343هـ/1925/07/02م وهي أسبوعية، عطلت بأمر من الحاكم العام يوم 10 ربيع الثاني 1344هـ/1925/10/29م، بعد صدور 18 عددا، وهو شبيه بما وقع لصحيفة العروة الوثقى التي عطلتها السلطات البريطانية والفرنسية بعد صدور 18 عددا.⁽²⁾

- جريدة الشهاب: أسسها الشيخ بعد 13 يوما من تعطيل المنتقد يوم 12/11/1925م، وكانت جريدة أسبوعية ثم حولها إلى مجلة شهرية عام 1929م جراء الازمة المالية الخانقة التي وقعت فيها، وقد توقفت الشهاب عن الصدور من تلقاء نفسها في شهر أوت 1939م، بعد أن لاحت في الأفق غيوم الحرب العالمية الثانية، وهذا الاجراء الذكي من باديس مبعثه، الخوف من أن تضطر المجلة لنشر ما يتعارض مع مبادئها، مثل تأييد فرنسا في حربها ضد الألمان.⁽³⁾

- جريدة السنة النبوية الحمديّة: أسبوعية أسسها كلسان حال جمعية العلماء يوم 08 ذي الحجة 1351هـ، ولقيت حتفها على يد سلطة الاحتلال يوم 10 ربيع الأول 1352هـ/1933م بأمر من وزير الداخلية الفرنسي، وتمت مصادرة آخر أعدادها، رقم 13.⁽⁴⁾

- جريدة الشريعة النبوية الحمديّة: تأسست يوم 24 ربيع الأول 1352هـ/1933م، خلفا لجريدة السنة أي باسم الجمعية، وهي أسبوعية أيضا، عطلتها آلة الاحتلال يوم 07 جمادى الأولى 1352هـ/1933م وقد صدر منها 07 أعداد فقط.⁽⁵⁾

- جريدة الصراط السوي: أسبوعية أنشئت بعد 22 يوما من تعطيل جريدة الشريعة يوم 21 جمادى الأولى 1352هـ/1933م، وحالها كسابقاتها، إذ عطلت يوم 22 رمضان 1352هـ، بعد 17 عددا.⁽⁶⁾

(1) عمار طالي، المرجع السابق. ج1. ص ص 82-88. وأيضا: أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة. ص 128.

(2) جريدة المنتقد، العدد 01 و18، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2008.

(3) أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة. ص 59.

(4) جريدة السنة النبوية الحمديّة، العدد 01 و13، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 2003.

(5) جريدة الشريعة النبوية الحمديّة، العدد 01 و07، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، دت.

(6) جريدة الصراط السوي، العدد 01 و17، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 2003.

جريدة البصائر: أسسها الشيخ ابن باديس في غرة شوال 1354هـ/ 27 ديسمبر 1935م، بعد مساعي حثيثة من النافذين لدى إدارة الاحتلال في الجزائر وفرنسا، بحجة نشر العلم والثقافة، وأوقفها ابن باديس قبيل الحرب العالمية الثانية، أسوة بمجلة الشهاب ولنفس الدواعي. (1)

5-2-9 إنشاء المطبعة الجزائرية الإسلامية:

أسس الشيخ مطبعة خاصة يوم 16 أبريل 1925م، بمعية أحمد إسماعيل بوشمال "استشهد عقب اعتقاله أواخر 1958م" الذي تبرع بمحله التجاري ليكون مقراً للمطبعة، كما شاركه في تأسيسها خليل بن محمد ابن القشي الذي عمل مديراً لها، لأنه كان يتقن فن الطباعة بحكم خبرته، لسابق عمله في مطبعة جريدة النجاح، وساعده في الطباعة إسماعيل صحراوي وعبد الحفيظ صويلح. (2)

وهذه الخطوة لها دلالتها المهمة، حيث أنها تزيح كثيراً من الضغط والمساومة، من طرف أصحاب المطابع لما يريد الشيخ طبعه، فتضمن الاستمرارية والعمل بحرية، وكانت المطبعة ركيزة هامة في مشروع ابن باديس الإصلاح، لاسيما في المجال التعليمي والتثقيفي، بنشر الصحف واللوائح والتقارير... وغيرها. (3)

5-2-10 القيام بالرحلات للتوعية:

لم يكتف الشيخ ابن باديس بالدروس التي كان يقدمها أو يشرف عليها بمدينة قسنطينة، بل كان يقوم برحلات توعوية في أيام الراحة الأسبوعية وفي العطلة الصيفية، جاب خلالها مناطق كثيرة من ربوع الجزائر، وحتى المناطق التي تعذر عليه الوصول إليها، بسبب البعد أو ضيق الوقت وغيرها، كان يرسل وفوداً ممثلين للجمعية، ومهمة هذه الرحلات التعرف على أحوال الجزائريين وتوعيتهم، وحثهم على تشجيع العلم والرجوع إلى جادة الصواب، خصوصاً في مجال الدين وأبرزه العقيدة، كما أنها فرصة لتأسيس المزيد من شعب الجمعية، والمدارس الحرة، وبهذا الأسلوب الإعلامي، زادت فروع الجمعية، وتنامى عدد طلابه من مختلف جهات الوطن وخاصة من عمالة قسنطينة، وأصبحوا يفتنون على دروس الشيخ بالجامع الأخضر. (4)

(1) عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق. ص 397-406.

(2) أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة. ص 112، 115.

(3) موقع الشيخ ابن باديس على النت: <http://www.binbadis.net>، تاريخ الإطلاع 21 مارس 2014م.

(4) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: سجل مؤتمرو... ص 79. ينظر كذلك: عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق. ص 415.

5-2-11 تعليم المرأة في فكر ابن باديس:

كان وضع المرأة سيئاً للغاية، تعاني من المهانة والإحتقار والجهل، بسبب العرف الاجتماعي والإحتلال، الذين أذلاها وأهانها، وهو ما آلم ابن باديس فكتب في الشهاب على أثر ذكر قصة الصحابية الربيع بنت معوذ: ((هؤلاء السيدات الصحابيات رضي الله عنهن، قد كن يشاركن الرجال في الحرب وهي أبعد الأشياء عن طبعهن، ويقمن معهم بما يليق بهن، فلنا فيهن وفيهم القدوة الحسنة، أن نشترك معنا نساءنا فيما نقوم به من مهام مصالحنا، ليقمن بقسطهن مما يليق بهن في الحياة -على ما يفرضه عليهن الإسلام من صون وعدم زينة وعدم اختلاط-، ولن تكمل حياة أمة إلا بحياة شرطيتها الذكر والأنثى)).⁽¹⁾

وكان يدرك مقاصد دعاة تحرير المرأة، التي في ظاهرها الرحمة والعطف على المرأة، وباطنها مفسدة لها وإخراجها عن فطرتها، فردّ عليهم دعواهم بما قطع قول كل خطيب، إذ صدح بقوله: ((إذا أردتم إصلاح المرأة الحقيقي، فارفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها، فإن حجاب الجهل هو الذي أخرها، وأما حجاب الستر فإنه ما ضرّها في تقدمها، فقد بلغت بنات بغداد، وبنات قرطبة، وبنات بجاية مكاناً في العلم وهن متحجبات)).

وبلغ اهتمام ابن باديس بتعليم المرأة إلى فتح مجال التعليم للفتاة الجزائرية منذ صغرها، باعتبار المرأة مربية الأجيال والحارس الأول على قيمها الدينية والخلقية:

- عندما أنشأ جمعية التربية والتعليم جعل من مهامها تعليم البنات مجاناً، بهدف إعداد المرأة الجزائرية للقيام بدورها الرسالي.
- أعلن أثناء افتتاح هذه المدرسة على أن تعليم البنات فيها مجاني سواء العاجزات على دفع المصاريف أو القادرات، وقد ضمت هذه المدرسة بعد شهور من إنشائها ثمانين فتاة.
- خصص دروساً للنساء في المسجد الاخضر وغيره من مساجد قسنطينة، وقد كن يحضرن بأعداد ضاقت بها المساحة المخصصة لهن في المسجد.⁽²⁾
- أما ما يبعث على الدهشة والاعتزاز بمدى همّة الرجل، وبعد شأوه في الإصلاح، هو عزمه على إرسال مجموعة من الطالبات اللاتي أتممن دراستهن الابتدائية في مدرسة جمعية التربية والتعليم

(1) عمار طالي، المرجع السابق. ص 198-203. وكذلك: مالك بن خليف، المرجع السابق. ص 462-463.

(2) عبد الرحمان شيبان، المصدر السابق. ص 104-105. أنظر أيضاً: عمار طالي، المرجع السابق. ج.1. ص 118.

بقسنطينة، إلى مدرسة جمعية دوحه الأدب السورية ليطمن تعليمهن الثانوي والعالى (1)، حيث راسل سنة 1939م رئيسة هذه الجمعية، وفيما يلي نص الرسالة: ((يسرّك يا سيدتي أن تعرفي أن بالجزائر نخبة أدبية تهذيبية تستمد حياتها من العروبة والإسلام، غايتها رفع مستوى الشعب العقلي والاخلاقي، ومن مؤسسات هذه النهضة، جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة. ولما علمت إدارتها بجمعيتكم المباركة بما نشرته عنها مجلة "الرابطه العربية"، رغبت أن ترسل بعض البنات ليتعلمن في مدرسة الجمعية، فهي ترغب في حضرتكم أن تعرفوها بالسبيل الى ذلك)) (2). ولكن باندلاع الحرب العالمية، ثم وفاة الشيخ، حيل دون تمام المشروع.

5-2-12 الاهتمام بتعليم الجزائريين المغتربين في فرنسا:

اهتم الشيخ ابن باديس بتعليم الجزائريين في كل مكان طالته قدرته، ومنه فرنسا البلد المحتل للجزائر، فبعث إليها سنة 1936م أحد تلامذته، وهو الشيخ الفضيل الورتلاني "1900-1959م"، لتمثيل جمعية العلماء، وتأسيس فروع لها في نواحي فرنسا، تعمل على توعية وتنقيف وتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي للجزائريين، بل لكل الرغبين من المسلمين وخصوصا المغاربة، فأسس ثلاثين مركزا وناديا للجمعية بإسم "التهذيب" في المدن الفرنسية الكبرى مثل باريس وليون ولسيليا، ومن الذين أوفدهم الشيخ ابن باديس إلى فرنسا لمعاضدة الشيخ الفضيل الورتلاني، الشيوخ، السعيد الصالحى ومحمد الصالح بن عتيق ومحمد الزاهي الميلي... وغيرهم، ولما عاد الورتلاني إلى الجزائر سنة 1937م وقدم تقريره للشيخ ابن باديس، عين الشيخ السنوسي على مركز باريس، وشدّ أزهرهم بالشيخ محمد علي الهاشمي والشيخ حمزة بوكوشة "شنوف" "1907-1994م"، إذ سافر إليها عام 1937م وأصبح ممثل الجمعية في مدينة ليون، والشيخ فرحات الدراجي "1906-1951م" ممثلا لها في مرسيليا. (3)

6- آثاره:

لم يخلّف الشيخ عبد الحميد ابن باديس مؤلفات تضاهي شهرته العلمية في كمّها، حتى أنه ما يؤثر عنه قوله: "شغلنا تأليف الرجال عن الكتب"، ولكن بالرغم من ذلك فإن آثاره تشفّ عن سعة اطلاع،

(1) كان تلاميذ الشيخ النجباء من الذكور الذين ينهون دراستهم عنده يوجههم لإتمام دراستهم في تونس بجامع الزيتونة، أما البنات فلا سبيل لذلك.

(2) مالك بن خليف، المرجع السابق. ص 366.

(3) أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة. ص 101-103. وكذلك: عاشوري قمعون: العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة، ط1، مطبعة صخري، الوادي-الجزائر، 1433هـ/2012م. ص 35. ومولود عويمر: رحلات الإمام ابن باديس إلى تونس وفرنسا، مقال من موقع ابن باديس على النت: <http://www.binbadis.net>، تاريخ الاطلاع: 21 مارس 2014.

ورفعة فكر، ولا تزال مورداً ومعيناً للباحثين، والغالب الأعمّ من هذه الآثار عبارة عن مقالات منشورة، وبنوّه الدكتور عمار طالي -وهو أشهر من جمع آثار ابن باديس-، على أن ما جمعه ليس كل آثاره، فله إملاءات كثيرة على تلامذته لا زالت تقبع في خزائن أصحابها، أو أتلّفها الزمن وطواها تعاقب الحداث، ومن مؤلفاته: "رسالة جواب عن سوء مقال"، و"تحقيق وتعليق على كتاب: العواصم من القواصم لمؤلفه القاضي أبي بكر بن العربي"، ومن إملاءاته على تلاميذه "العقائد الإسلامية"، و"رجال السلف ونساؤه"، و"مبادئ الأصول".

أما باقي الآثار فقد نشرت في شكل مقالات على أعمدة صحيفتيه وصحف جمعية العلماء وغيرها، ويمكن تصنيف مقالاته إلى: التفسير، الحديث الشريف، الفقه والفتاوى، التاريخ والتراجم، القضايا الإسلامية، القضايا السياسية والوطنية، الدراسات الإسلامية، مقالات مختلفة، ثم جمعت هذه الآثار المتفرقة في كتب منها: التفسير "محال التذكير من كلام الحكيم الخبير"، آثار ابن باديس جمعها الدكتور عمار طالي، ثم جمعتها وزارة الشؤون الدينية في 05 أجزاء.⁽¹⁾

7- عراقيل ومعوقات الإصلاح:

- وقوف إدارة الإحتلال بالمصاد لمحاولات بعث الأمة، وبالأخص في مجال التعليم، فأغلقت المساجد في وجه الوعاظ، وعرقلت إنشاء وسير المدارس العربية الحرة... إلخ، ولما تأسست جمعية العلماء حاولت عرقلة مسيرتها التعليمية، بوضع المطبات أهمها نشر الوالي في العاصمة بيانا في 16 فيفري 1933م، هاجم فيه الجمعية واتهمها بالعمالة للجامعة الإسلامية، وبعد يومين أصدر قراراً بمنع العلماء من التدريس والإرشاد في المساجد دون رخصة من السلطة الفرنسية، واستمرت الوضع كذلك بمراقبة رجال الجمعية، ووقف صحفها الواحدة تلو الأخرى، إلى آخر حياة ابن باديس، إذ صدر قانون 20 جانفي 1938م من طرف وزير الداخلية الفرنسي، ويتضمن التضييق على نشاطات الجمعيات والنوادي الثقافية والرياضية التابعة لجمعية العلماء، ثم بقرار من نفس الوزير في 08 مارس من نفس السنة، أغلقت عدة مدارس حرة، واعتقل كثير من العلماء بذريعة عدم امتلاك الرخصة، ويتهم الشيخ ابن باديس على هذه القرارات في مقال "بعد 20 سنة نسأل هل عندنا رخصة؟"، فيقول فيه: ((يا الله للإسلام والعروبة في الجزائر، كل من يعلم بلا رخصة يغرم ثم يغرم ثم يسجن)).

(1) عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق. ص 262-266. وكذلك: عمار طالي، المرجع السابق. ص 75، 96. وأيضاً: شريف رضا، المرجع السابق. ص 22.

- وقف كذلك لجهود الشيخ بالمرصاد، أعداء الإصلاح من الشيوخ الجامدين الأعداء لكل جديد، أو المتصلين بإدارة الاحتلال مثل الشيخ ابن الموهوب الذي منعه من التدريس بالجامع الكبير بقسنطينة.
- عارض ابن باديس بعض شيوخ الزوايا، ممن ساءهم تحجم الشيخ ضد العقائد الفاسدة أو العوائد البالية أو المصالح الشخصية باسم الدين، وأبرزهم شيخ الطريقة العليوية، وقد حاولوا السطو على مقاليد تسيير جمعية العلماء، فلما فشلوا أسسوا جمعية علماء السنة ضرارا لجمعية العلماء.(1)

8- نتائج الجهود التعليمية للشيخ ابن باديس :

- إن ابن باديس كان وحده أمة، كيف لا ؟ وقد بعث أمة من سبقتها، وأيقظها من رقادها، بدأه بمفرده، ثم ساعده إخوانه من العلماء وتلامذته النجباء، فتضاعف الجهد، وقوي العضد، فكان نتائجه:
- إحياء التعليم العربي الإسلامي، ونشره على صعيد واسع في شتى ربوع الجزائر، وبدأ يتطور على مستوى المناهج والطواقم العلمية التي تيسر العملية التعليمية، ومحاولة تحديثه ليوائم التطور الحاصل للعلوم العصرية.
- أصبحت المدارس العربية الحرة ملاذاً لأبناء الجزائريين وبناتهم، ليزيل عنهم غمة الجهل والامية.
- تشكيل الناشئة بأسس أصيلة، توازن بين المقومات الأساسية للجزائريين "العربية والإسلامية"، والتطور في العلوم ومناهجها.
- تكوين إطارات جزائرية عن طريق البعثات العلمية التي قام بها الشيخ للعديد من العواصم.
- إنشاء الشخصية الجزائرية المستقلة عن كيان المعمرين، ومغالبة توجيه سياسة المحتل الرامية لتذويب مقومات المجتمع، وإخراج مسخ مسلوب الهوية ينقاد بسهولة ويسر.

9- أشهر تلامذته:

لقد كان لحركة الشيخ عبد الحميد ابن باديس عظيم الأثر، داخل المجتمع الجزائري بكل أطيافه وجميع مستوياته، فأحدثت زلزالاً رهيباً في أرضية الاحتلال، وبالأخص في ما يخص نشاطه التعليمي، الذي أحيا به ربما بالية، فقد كانت اللغة العربية غريبة في موطنها حتى جاء ابن باديس، فأعاد بريق الضاد في سماء الجزائر، وكان ذلك بواسطة الذين تتلمذوا عليه، الذين علق عليهم آمالا كبيرة.

(1) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: سجل مؤتمر... ص 57-79. وكذلك: عمار طالي، المرجع السابق. ج 1 ص 119. و مولود عويمر: الإمام عبد الحميد بن باديس المصلح الثائر، موقع الشيخ ابن باديس، تاريخ الإطلاع: 22 ماي 2014م.

وتلامذته أبعد من أن نحصيهم عدداً، لكن أبرزهم ممن حملوا مشعل الإصلاح في حياة ابن باديس أو بعد وفاته الشيوخ الأفاضل: المؤرخ مبارك الملي، السعيد الزاهري، الفضيل الورتلاني، سعيد البياني، السعيد صالح، عبد اللطيف سلطاني، أحمد حماني، علي مرحوم، محمد الصالح رمضان الذي نشر لشيخه عدة أعمال، محمد الصالح بن عتيق، باعزير بن عمر، الهادي السنوسي، محمد بن العابد، السعيد الزموشي، أحمد بن ذياب، أحمد بوشمال... إلخ. (1)

(1) مولود عويمر: الإمام عبد الحميد بن باديس المصلح الثائر، موقع الشيخ ابن باديس على النت: <http://www.binbadis.net>، تاريخ الإطلاع: 22 ماي 2014م.

خلاصة الفصل الثالث

لقد بذل الشيخين في سبيل العلم والتعليم الغالي والنفيس، وتفرغاً له تفرغاً تاماً، فلم نعلم بوجود شاغل لهما غيره طول حياتهما، وكانت جهودهما نظرية علمية، وتطبيقية عملية، والفرق واضح فيما يخص الجهود المبذولة من طرف الرجلين في مجال التعليم.

ويبدو أن العلامة ابن عاشور لا يضاهي في علمه وسعة اطلاعه، فقد كان تعريفه للعلم عميقاً اصطلاحياً، وتحليله لواقع التعليم في تونس تحليل رائع، يتسم بالرصانة، دقيق التفاصيل، ملمّ بكل شاردة وواردة فيه، لأسباب تخلفه التي تخص المشاركين في العملية التعليمية من مدرسين وعلوم ومناهج، ثم تطرقه لمحاولات إصلاح التعليم قبله، وقد أحسن في كل ذلك وأجاد، وأوضح وأفاد.

أما تلميذه الشيخ ابن باديس فقد كان أقلّ وزناً من الناحية النظرية، فتعريفه للعلم لغوياً بسيطاً، وتحليله لواقع التعليم مقتضب جداً، وكذلك عند تطرقه لأسباب تخلف التعليم الذي يوعزه إلى الاحتلال الفرنسي، أما بالنسبة لأهمية التعليم وإصلاحه فيتفق الشيخان في ذلك مع بعضهما إلى حد كبير.

وبالنسبة للمجهود النظري العلمي فلا مراء في تفوق الشيخ الطاهر ابن عاشور في هذا الجانب، حيث تطرق إلى دواعي الإصلاح، وكيفية إصلاح المؤلفات والعلوم والمدرسين والمناهج، بطريقة تثير الإعجاب لدرجة الدهول، وآثاره الغزيرة والمتنوعة شاهدة على ذلك، عكس الشيخ ابن باديس الذي كان تناوله لهذا الجانب موجزاً مختصراً، وتأليفه وإن كانت في الصميم، إلا أنها لم ترق لمستوى تأليف ابن عاشور

وفي الجانب العملي التطبيقي كان مجهود الشيخين فيه جباراً، وأكبر من أن تسعه هذه الدراسة، ولكن بتناولنا لإشارات أعمالهما، يبدو جلياً ميل كفة ابن باديس، الذي كان مدهشاً؛ حيث حاول تعليم أكبر قد ممكن ومسّ جميع الشرائح، فقد بدأ التعليم في المساجد ثم في المدارس، بأسلوب خاص غير معهود حسب تأكيد تلاميذه، ونهض بأعباء التدريس وحيداً في مدارس مختلفة، وأوجد مؤسسات تعليمية لم تكن موجودة وطورها، وأسس الصحف، ونشط نواحي عديدة، وعمل في إصرار وعناد عجيب، فإذا أغلقت له إدارة الاحتلال مدرسة فتح أخرى، وإذا عطّلت له جريدة أنشأ غيرها، ثم تدعم عمله بزملائه المصلحين وتلاميذه النجباء، وكان من ثمرات مجهوداته أن تخرج على يديه أجيال من أبناء الجزائر، أبرزهم جيل الثورة التحريرية الكبرى، ولا أدل على ذلك من أن قوة الثورة كانت في القطاع القسنطيني، وهذا معنى أنه باعث الأمة الجزائرية.

أما ابن عاشور فقد كانت دروسه مبعث إعجاب طلبته، بمنهجه المتميز الذي لم يألّفه طلبة الجامع الأعظم، فتخرج على يديه كوكبة من الأفذاذ المصلحين من تونس وغيرها، خصوصا جارتها الجزائر، لعل أبرزهم الشيخ ابن باديس نفسه، ولكن عمله لم يكن تحديد جذري، فقد عمل على تطوير مؤسسة قائمة بذاتها منذ قرون "جامع الزيتونة"، وانصبت جهوده الإصلاحية والتربوية والتعليمية عليه.

حقّق الشيخين نتائج كبيرة وأهمها، إحياء التعليم العربي الإسلامي، وإنتشار التعليم بين شرائح كبيرة من التونسيين والجزائريين، وتدعيم وإحياء الشخصية المستقلة عن المحتل، وتكوين إطارات ساهمت في الحراك الوطني، للتخلص من ربقة الإحتلال، كما واجها عراقيل وصعوبات أهمها إدارة الإحتلال، والمتعاونين معه من الأهالي، والشيوخ المتزمتين الرافضين لكل جديد، وبعض شيوخ الطرق الصوفية، والتيار الفرنكفوني التغريبي المعادي للاتجاه الإسلامي العربي الأصيل، وهو ما أدى إلى انتكاسة لجهود الشيخين في مجال التعليم.

خاتمة

إن هذا البحث الذي تناول المجهود التعليمي لطوطين شاخين، ألا وهما الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور والشيخ عبد الحميد ابن باديس، ومحاولة المقارنة لما قدماه من خدمات جليلة في هذا المجال، قد بين لنا حقائق كثيرة، وكشف عن نتائج عديدة، يمكننا استعراضها في الآتي:

كان التعليم في كل من تونس والجزائر متواضعا جدا، ويتسم بأنه إسلامي عربي خالص متوارث منذ قرون، ولم يشفع لتونس وجود مؤسسة تعليمية عريقة "الزيتونة"، وكذلك محاولات الإصلاح المتكررة التي انتهجها المتنورون والساسة على حد سواء، فكان انتشار الأمية بها على نطاق واسع.

عمل الاحتلال في البلدين على محاربة التعليم العربي الإسلامي بشتى الوسائل، ومنها القضاء على المؤسسات التعليمية (المساجد، الزوايا،...)، وكذلك الاستحواذ على الأقباس التي تعدّ رافدا رئيسا لكل الأنشطة الثقافية والاجتماعية... ومنها التعليم، كما عمل على محاربة الثقافة المحلية بالتضييق على الدين الإسلامي واللغة العربية، في سياسة ترمي إلى تجهيل أكبر عدد ممكن من الجزائريين والتونسيين، والحرص على عدم نشر التعليم الفرنسي على نطاق واسع، مكتفيا بعدد قليل من أبناء البلدين، لاستعمالهم حسب مصلحته، وأهمها خلق مجموعة ذات خلفية ثقافية غربية تعينهم على تسير شؤون البلاد، وتستعملهم في ضرب إخوانهم ذوي الثقافة الأصيلة، وكانت آلتها في الجزائر أقوى منها في تونس بسبب طبيعة الاحتلال، وسياسته في البلدين.

ومما أفرزته السياسة التعليمية للاحتلال في البلدين، تنوع التعليم في تونس حسب اللغة والعرق "عربي-فرنسي-إيطالي"، وحسب الثقافة "إسلامي-يهودي-لائكي"، وفي كلا البلدين كان هناك فرق كبير بين التعليم العربي والفرنسي، فالأول كان بسيطا للغاية، لا يعدو كونه اجترار لمتون في الدين واللغة العربية، بأساليب عفا عليها الزمن، ولا تدرس العلوم الحديثة.

أما التعليم الفرنسي فقد كان بمنهج متطورة وعلوم حديثة وأساليب مجدية، وما يؤخذ عليه خاصة في الجزائر، التزييف الصارخ واستعمال العلم لاحتواء البلاد، خصوصا في مادتي التاريخ والجغرافيا، لكن مع ذلك فقد كشف هذا التعليم للمتورين من البلدين، فداحة ما هم عليه من مستوى في العلوم، وبفضل هامش الحرية المتاح للتونسيين، فقد كان نشاطهم أكبر من الجزائريين في محاولة تدارك الأمر، بإصلاح التعليم ومحاولة اللحاق بركب الحضارة، بتأسيس المدارس العصرية، والسعي الحثيث لإصلاح التعليم.

ونتيجة للوضع المتردي، وتفتح العقول قبل الأعين على الوجه الآخر للحضارة، ظهرت ثلثة من المتنورين الواعين الذين حاولوا الخروج من أزمة التخلف، عبر الأخذ بأسباب الإصلاح، وأهمها إصلاح العلوم والتعليم، وزاد من نضجهم المؤثرات الخارجية، وأبرزها دعوات رجال الإصلاح في الشق الآخر من العالم الإسلامي "المشرق"، وأبرزها دعوة الشيخ محمد عبده الذي زار المنطقة، وإن كان تأثيره في تونس أقوى منه في الجزائر، وهؤلاء المصلحون هم من مهد الطريق بزرعهم بذرة الإصلاح، وعليهم تتلمذ الشيخين ابن باديس وابن عاشور.

إن من أهم الأسباب وراء التكوين العلمي والنبوغ للشيخين، هو الاهتمام البالغ لأولياء أمورهما، وتوجيههم السديد لسلوك طريق العلم، ثم الوسط العلمي الذي نشأ فيه، وكذلك الرعاية الكبيرة لشيخوهم، بفضل نباهتهما التي كانت سببا لاهتمام الأهل، ويعتبر الشيخ محمد النخلي القيرواني، المؤثر المشترك بين الشيخين، بتأثيره البالغ في مستقبلهما الاصلاحى، كما كان للشيخ ابن عاشور تأثير كبير على الشيخ ابن باديس، باعتباره شيخا له في الزيتونة، وقد أثر فيهما نهج الشيخ عبده، الذي ارتكز على الاصلاح التربوي والاجتماعي، لهذا كان من أولويات الشيخين لإصلاح أوضاع البلدين، المبادرة بإصلاح التعليم، ونزع غشاوة الجهل، كما أن خدمة الشيخين لكتاب الله كان له أثر عميق في نبوغهما.

تنوّع شيوخ ابن باديس بفضل رحلتيه لطلب العلم "الزيتونية ثم الحجازية"، فكان ذلك باعثا لثراء أفكاره، أما تعلّم الشيخ ابن عاشور فكان على شيوخ الزيتونة، من خريجي العلم الشامخ إبراهيم الرياحي.

على الرغم من ابن باديس عاش من السنين نصف ما عاشه ابن عاشور، فإن عمله كان أكثر تأثير وفاعلية، وذلك لتفرغه الكلي للتعليم، وانصباب كل جهوده عليه، ووجوده في ساحة **بكر** بدأ فيها عملية البناء، وتحرّره من الوظيفة الرسمية المقيّدة، لكن ابن عاشور توزع اهتمامه بين أسرته ووظائفه إضافة إلى مجهوده في مجال التعليم، الذي كان قائما بذاته، وهيمنة تبعات الوظائف الرسمية، التي حدّت من نشاطه، وحالت دون تحقيق آماله.

أثّرت الوظائف الرسمية في مردود الشيخ ابن عاشور العملي، وكبحت جماحه في السير بعيدا في مجال التعليم وإصلاحه حسب طموحه ورؤيته، بل بلغ به الأمر أحيانا إلى الانسحاب، وبالتالي تعطيل عملية اصلاح التعليم، وقد كُفّيَ الشيخ ابن باديس هذا العائق نتيجة امتثاله لنصيحة شيخه حمدان لونيسي، لكنه مع ذلك واجه تضيقا من نوع آخر، وهو آلة الاحتلال، وبسبب عدم ارتباطه بالوظيفة الرسمية، فلم يتمّ إيقافه تماما، وإن من عظمة ابن باديس تركه لزعزاع الدنيا وزينتها، إذ لو شاء لعاش عيشة الأمراء

في أملاك والده، أو صار من كبار الموظفين، ولكنه أقبل على الإصلاح ومعاناته ومكابدة المشاق في سبيله، حتى أثرت في صحته:

وإذا كانت النفوس كبارا *** تعبت في مرادها الأجسام

يتحلى كل من الشيخين بخصال حميدة، وشيم عالية رفيعة، أهمها الصبر الجميل أمام الشدائد والحن، والإصرار والإرادة والعمل الدؤوب لبلوغ المراد، والتحمل في سبيله الأذى والنصب والمكاره، كما يتصفان بعلو الهمة والاخلاص والتواضع، والترفع عن السفاسف، وكلها أخلاق تليق بصاحب العلم، والله درّ شوقي حين يقول:

لا تحسبن العلم ينفع وحده ما لم يتوَّج ربه بخلاق

بذل الشيخين جهودا جبارة وسعياً سعيًا حثيثاً، في سبيل إصلاح التعليم وتعميمه والرقى به، وتباينت في ذلك جهودها، والناظر لآثارهما يرى بجلاء نزوعهما إلى الإصلاح وابتغاء التطور والتقدم والتحديث، فالشيخ ابن عاشور كان من ناحية التنظير، وكشف الداء ووصف الدواء، مبعثاً للافتتان والدهشة، ومن هذا نستقرئ سعة علمه وعمق أفكاره، التي ترجمتها آثاره العديدة والمتنوعة، أما العلامة ابن باديس فإنه لم يبلغ شأو شيخه ابن عاشور، في ميدان التنظير، إذ كان تناوله للموضوع وإن كان في الصميم، لكنه عفويًا موجزاً، وبذلك نلاحظ أن مؤلفاته وإن كانت متنوعة، فهي عبارة عن رسائل قصيرة، وأكثرها مقالات في الصحف، لكن ميزة الإثنين أنهما عرفا كيف يجمعان بين القدم الصالح من ثقافة وتراث، وبين الحديد المقيّد في العلوم والأفكار العصرية في تلاؤم وانسجام كاملين.

وفي الجانب العملي، فقد كان لابن عاشور أعمال وإصلاحات لو تواصلت لكانت تونس الآن على غير هذه الحال، فعمل بالتدريس فكان نعم المدرّس، أنار فكر طلبته، وزودهم بما لم يعهده شيوخ الجامع من قبل، كما تقلّد وظائف متصلة بمجال التعليم، فعمل ما في وسعه في إصلاحه، ثم تولى منصب شيخ الزيتونة، فكرّس جهده لإنقاذها من الركود والجمود الذي أصابها قروناً طوالاً، وقد صدقت فيه نبوءة الشيخ محمد عبده بوصفه سفيراً للإصلاح بتونس.

أما جهود الشيخ ابن باديس العملية في ميدان التعليم، فهي محيرة للعقول والأفهام، فأيّ طاقة تختبئ وراء ذلك الشخص الضئيل الجثة؟ حتى يكون بهذا الصبر والجلد والقوة، فلم تنه وحدته في هذا المجال، ولم توقفه أقوال المثبطين، ولم يوهنه عمل المعرقلين من أعوان إدارة الاحتلال، فقام بجهد جهيد وعمل

متواصل مديد وعلى عدّة جبهات، فعمل في نفس الوقت مدرّسا، مديرا، صحفيا، محاضرا... وأنشأ المدارس والنوادي والصحف، فكان بحق رائدا لنهضة الشعب الجزائري.

والملاحظ أن كلا من الشيخين عمل على إصلاح الجامعة التي درس فيها، فبينما باشر ابن عاشور إصلاح الزيتونة بنفسه لما له من نفوذ مباشر، قدم ابن باديس اقتراحات للجنة التي أسسها باي تونس، لأجل إصلاح مناهج التعليم بالجامعة الزيتونية، حيث حرص كلاهما على تنظيم التعليم وترقيته، من خلال ضبط التلاميذ وتنظيمهم والتكفل بهم، والعلوم التي تدرس مع تحديد الكتب المدرسية، واختبار المدرسين.

وبالجملة فإن كل من ابن عاشور وابن باديس يمتلكان شخصية متعددة الجوانب متنوعة المواهب، توفرت فيها مؤهلات من النادر أن تجتمع في شخصية واحدة، العلم والورع والفقه في الدين، وامتلاك مذهب في تفسير كتاب الله، وكلاهما معلم موهوب، مجدد لأساليب التعليم، وكاتب بارع، وخطيب مفوّه، وصحافي ناجح، يقولان الشعر وإن كانا مقلّين، ومن زعماء الفكر الإصلاحية، مساهرين لمقتضيات العصر وظروف الحياة.

وقد صادف الشيخين تكالب الغزوة الأوروبية الصليبية على البلاد الإسلامية، ومحاولة محو هويتها وقطعها عن جذورها، وشعوبها في نوم غليظ وسبات عميق، ثم كان لابن عاشور بعد الاستقلال معاناة مع التبعية الثقافية والاقتصادية والسياسية، وتصرف الحكومة الوطنية، بما لم تجرؤ عليه حكومة الاحتلال، من غلق الزيتونة ومحاربة التعليم العربي الإسلامي، أما ابن باديس فقد كفاه الله شر ذلك اليوم، بوفاته وبريق الأمل في عينيه لبناء دولة جزائرية عربية على المنهاج الرباني.

بالإضافة إلى العراقيل السياسية، واجه الشيخان مشاكل جمّة، من بعض شيوخ الزوايا -خصوصا ابن باديس-، ومن الشيوخ الجامدين المعارضين للإصلاح، ويدعون في تونس بالمحافظين، وهم على النقيض من كتلة المحافظين بالجزائر الذين نادوا بالإصلاح، أما محافظي تونس فنادوا بالإبقاء على القديم وهاجموا الإصلاح بشدّة، ومردّد ذلك لجهل في نفوسهم، فإن مظنتهم بأن كل جديد بدعة، وكذلك خشيتهم من أن يهدم الجديد القديم الذي تربّوا عليه، بالإضافة إلى ما صرحوا به مرارا من أن هذا "التعليم" القديم أخرج أفذاذا عظاما، وآخرها جبلة النفس في استوحاش الجديد المجهول لديها، والركون إلى القديم المعلوم، و((الناس أعداء ما جهلوا وأحباء ما ألفوا)) كما قال الإمام علي رضي الله عنه، وقديما قال ابن دريد:

جَهَلْتُ فَعَادَيْتَ الْعُلُومَ وَأَهْلَهَا *** كَذَاكَ يُعَادِي الْعِلْمَ مَنْ هُوَ جَاهِلُهُ

ومع ذلك فقد نال كل من ابن باديس وابن عاشور بعض التكريم، من طرف حكومتي الجزائر وتونس، وخصوصا ابن باديس، حيث ترصع باسمهما لافتات المعاهد والمدارس والمساجد والمدن والشوارع والمستشفيات، كما عيّن تاريخ وفاة ابن باديس للإحتفال بعيد العلم في الجزائر، لكن التكريم الأكبر هو موقعهما في قلوب العرب والمسلمين، وذكرهما الراسخة في وجدان المجتمع المدني، حيث لا زالت إلى الآن تنظم لهما الملتقيات الوطنية والمغربية والدولية، وتكتب حولهما الدراسات، وتنشأ باسمهما الجمعيات والمراكز والمؤسسات الثقافية الأهلية. وهذه من بركة العلم تجاه خدامه بحفظ ذكرهم من النسيان، وأجدر الناس بالخلود الذين يبنون الامم وينشؤون الاجيال، ويصدق في هذين الطودين العظيمين قول ابن السيد البطليوسي:

أَخُو الْعِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ *** وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ التُّرَابِ رَمِيمٌ
وَذُو الْجَهْلِ مَيِّتٌ وَهُوَ مَا شِ عَلَى الثَّرَى *** يُظَنَّ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَهُوَ عَدِيمٌ

وقبل الختام لابد أن هذا البحث بمحاولة إجابته على التساؤلات المطروحة في المقدمة، قد فتح إشكاليات جديدة جديدة بالبحث، فإننا نرى أن هذا البحث لا يمكن أن يستوفي الإجابة الشافية على إشكاليته، لما للشيخين من الجهد الكبير، والتأثير البالغ في مجال التعليم وإصلاحه، بالإضافة إلى آثار الرجلين التي تعدّ إطارا خصبا، للبحث والتحقيق وإعادة النشر، بصفتها تتناول قضايا ما يزال الكثير منها مطروحا، كالتعليم والإصلاح والانتماء الحضاري... إلخ.

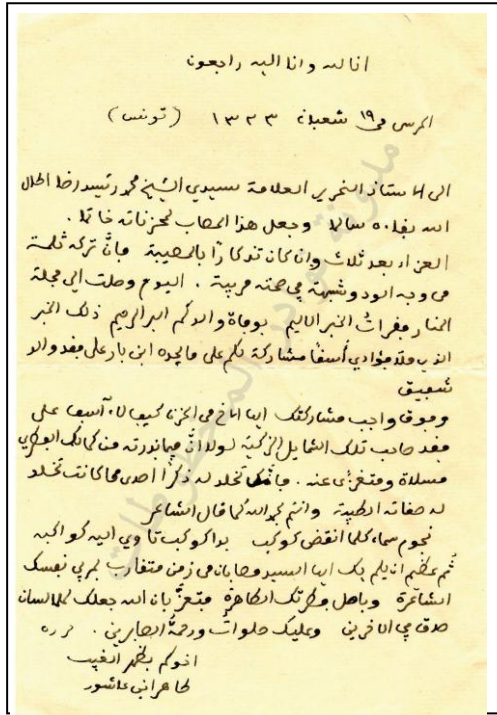
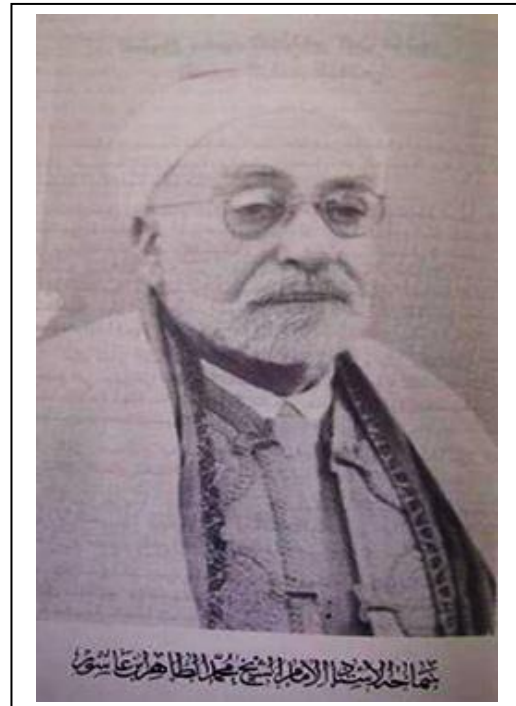
أخيرا نسأل الله تعالى أن يثيب الشيخين، بقدر ما جاهدوا فيه، وعلمنا من العلوم، وعملا على نشرها، وإصلاح ما وجدها من فساد، كما نسأله تعالى أن يترّل عليهما شآبيب رحمته، ويسكنهما الفردوس الأعلى.

الملاحق

ملحق 1: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

ملحق 2: رسالة بخط الشيخ ابن عاشور موجهة

إلى الشيخ محمد رشيد رضا، تتضمن تعزيتة لوفاة والده



ملحق 3: شيخ الزيتونة محمد الطاهر ابن عاشور يتوسط كوكبة من شيوخ الزيتونة سنة 1945م

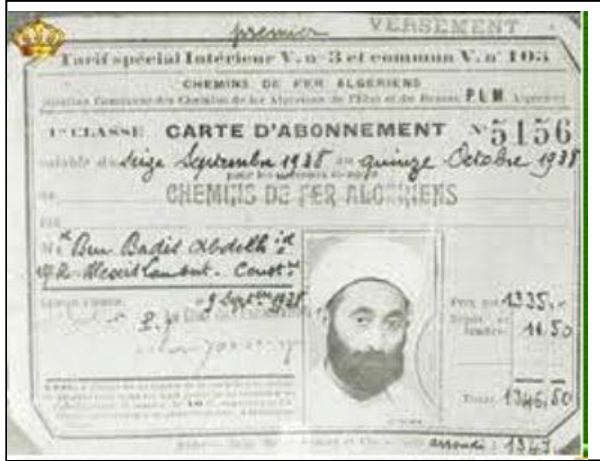


المصدر: منتديات تونيزياناسات <http://www.tunisia-sat.com> تاريخ الإطلاع: 16 ماي 2014

ملحق 4: الشيخ عبد الحميد ابن باديس

ملحق 5: بطاقة اشتراك في النقل بخطوط السكك

الحديدية تخص الشيخ ابن باديس

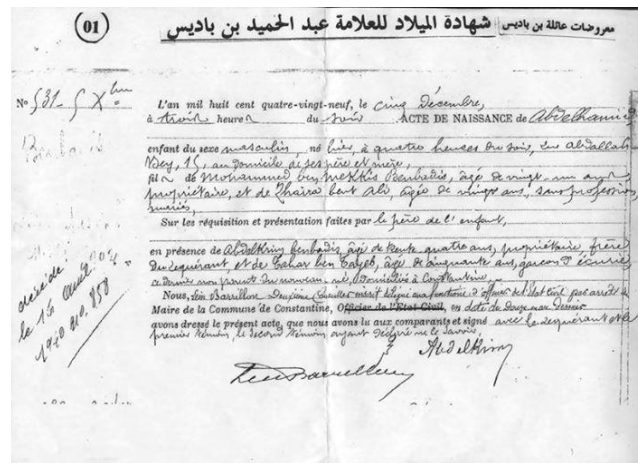


ملحق 6: شهادة ميلاد الشيخ ابن باديس

ملحق 7: مشهد من جنازة الشيخ ابن باديس



جنازة الامام عبد الحميد بن باديس في وسط ساحة الشهداء حاليا



ملحق 8: نموذج من إهتمام مدارس جمعية العلماء بتعليم الإناث



ملحق 9: الشيخ عبد الحميد ابن باديس وسط مجموعة من الإصلاحيين



- في الصف الأول : جلوسا ، من اليمين إلى اليسار : محمد السعيد الزاهري ، المصري التبيسي ، الشيخ الإبراهيمي ، محمد إبراهيم الكتاني (من المغرب غربا) ، عبد الحميد بن باديس ، الطيب العقبي ، عبد القادر بن زيان ، مبارك الميلي .
- في الصف الثاني وقوسا : محمد العيد آل خليفة ، فرحات الدراجي ، باقر بن عمر ، مصطفى حلووش ، محمد خير الدين علي الفخاري ، أبو اليقظان . . أختلت هذه الصورة بنادي الترفي حوالي 1934 .

المصدر: أغلب ملاحق ابن باديس من موقع الشيخ ابن باديس على النت: <http://www.binbadis.net>

تاريخ الإطلاع 21 مارس 2014م..

المصادر والمراجع المعتمدة:

المصادر:

- 1 (ابن أبي الضياف) أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999م.
- 2 (ابن باديس) عبد الحميد، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ط1، دار البعث، الجزائر، ط1، 1402هـ/1982م.
- 3 (ابن الخوجة) محمد الحبيب، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور، "3 أجزاء"، الدار العربية للكتاب، تونس، 2008م.
- 4 (ابن عاشور) محمد الطاهر، أليس الصبح بقریب؟ "التعليم العربي الإسلامي"، ط3، دار سحنون، تونس، 2010م.
- 5 (ابن عاشور) محمد الطاهر، الفتاوى، دراسة وتحقيق محمد بوزغبة، ط1، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2011م.
- 6 (الأشعري) أبو موسى: الإبانة عن أصول الديانة، تح فوقية حسين محمود، ط1، دار الأنصار، مصر، 1977م.
- 7 (بن الخوجة) محمد، صفحات من تاريخ تونس، تح حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1986م.
- 8 (بن نبي) مالك: في مهب المعركة، إرهابات الثورة، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، 2002 "إعادة ط3، 1981م".
- 9 (الثعالبي) عبد العزيز، تونس الشهيدة، تر سامي الجندي، ط1، دار القدس، بيروت- لبنان، 1975م.
- 10 جامع الزيتونة، الدفتر الدراسي للطالب عبد الحميد ابن باديس. نقلا عن (فيلالي) عبد العزيز: وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة ابن باديس الدراسية، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، 2012.

- 11 جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
- 12 جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومبادئها الإصلاحية، المطبعة الجزائرية الإسلامية-قسنطينة، دت.
- 13 (حماني) أحمد: صراع بين السنة والبدعة. أو القصة الكاملة للسوط بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، دار البعث، الجزائر، دت.
- 14 (شيبان) عبد الرحمان: من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
- 15 (عباس) فرحات: ليل الاستعمار، تر عبد العزيز بوباكير، دار القصة- الجزائر، 2005م.
- 16 (المدني) أحمد توفيق: جغرافية القطر الجزائري، مطبعة الشريف، تونس، دت.
- 17 (المدني) أحمد توفيق: كتاب الجزائر، المطبعة العربية، د م، د ت.
- 18 (المدني) أحمد توفيق: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1956.

المراجع:

- 19 (أبو الخير) حسن عبد الحفيظ وآخرون: الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة-مصر، 2011.
- 20 (بن خليف) مالك: الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس، ط1، دار طليطلة، الجزائر، 1432هـ/2010م.
- 21 (بوصفصاف) عبد الكريم: الفكر العربي الحديث والمعاصر - محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس نموذجا، ج1، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، 2005.
- 22 (جعفر) عبد الوهاب: البنيوية في الانثربولوجيا وموقف سارتر منها، دار المعارف، مصر، 1989.

- 23 (الدقر) عبد الغني، الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، ط2، دار القلم، بيروت، 1990م.
- 24 (رضا) شريف: تجربة التجديد والاصلاح في فكر ابن باديس ومحمد عبده، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 1432هـ/2011م.
- 25 (الزركلي) خير الدين: الأعلام- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 2002م.
- 26 (زروقة) عبد الرشيد: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1913-1940، ط1، دار الشهاب، بيروت- لبنان، 1999/1420.
- 27 (سارتر) جان بول: عارنا في الجزائر، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، دت
- 28 (سعد الله) أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1992م.
- 29 (سعد الله) أبو القاسم: خلاصة تاريخ الجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1428هـ/2007م.
- 30 (الشاطر) خليفة وآخرون: تونس عبر التاريخ ج3 الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية- تونس، 2005م.
- 31 (الشريف) محمد الهادي: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تع محمد الشاوش ومحمد عجيبة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993م.
- 32 (طالبي) عمار: آثار ابن باديس، ط3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1417هـ / 1997م.
- 33 (الطاهر) عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956م، ط2، دار المعارف، تونس.
- 34 (العجيلي) التليلي: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881-1939، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1992م.

- 35 (عمورة) عمار: موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانة للنشر والتوزيع، القبة- الجزائر، 2002م.
- 36 (الغالي) بلقاسم: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور- حياته وآثاره، ط1، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، 1417هـ/1996م.
- 37 (غنازية) علي: دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية بالجزائر للحفاظ على الهوية الوطنية، ط1، مطبعة مزوار، الوادي-الجزائر، 2012.
- 38 (فيلالي) عبد العزيز: وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة ابن باديس الدراسية، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، 2012.
- 39 (فيلالي) عبد العزيز وآخرون: البيت الباديسي مسيرة علم ودين وسياسة، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، 2012.
- 40 (قدح) محمد العيد: الشيخ الحسين حمادي- دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي بتونس ووادي سوف 1902-1982م، ط1، مطبعة ذويب، الوادي-الجزائر، 2013.
- 41 (القصاب) أحمد: تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، تع حمادي الساحلي، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، 1986م.
- 42 (قمعون) عاشوري، العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة، ط1، مطبعة صخري، الوادي-الجزائر، 1433هـ/2012م.
- 43 (محجوبي) علي: انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تع عمر بن ضو وحليمة قرقوري وعلي محجوبي، سراس للنشر، تونس، 1986م.
- 44 (محموظ) محمد: تراجم المؤلفين التونسيين، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1994م.
- 45 (مورو) محمد: الجزائر تعود لمحمد ﷺ، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 1992م.

المقالات:

- 46 (ابن باديس) عبد الحميد: (الاحتفال الرائع بافتتاح مدرسة "دار الحديث" بتلمسان)، مجلة الشهاب، ج8، م13، شعبان 1356هـ/أكتوبر 1937م.
- 47 (ابن باديس) عبد الحميد: (الدروس العلمية الإسلامية بقسنطينة)، جريدة الصراط، س 01، ع 04، 16 جمادي الثانية 1352هـ/09 أكتوبر 1933م.
- 48 (ابن باديس) عبد الحميد: (كتاب مفتوح النواب الجزائريين بالعمالات الثلاث)، جريدة البصائر، قسنطينة، ع 110، س 21 صفر 1357هـ - 22 أبريل 1938م.
- 49 (ابن باديس) عبد الحميد: (المجلة الزيتونية)، مجلة الشهاب، ج10، م12، غرة شوال 1355هـ، جانفي 1937م.
- 50 (أبو حسان) جمال محمود أحمد: (الإمام محمد الطاهر بن عاشور - سيرة ومواقف)، المجلة الاردنية في الدراسات الإسلامية، مج5، ع2/أ، 1430هـ/2009م
- 51 (البشري) طارق: (حول تجديد الخطاب الديني ومشاكله)، مجلة الحج والعمرة، شهرية تصدر عن وزارة الحج بالسعودية، س 57، ع 5، رجب 1423هـ/سبتمبر-أكتوبر 2002م.
- 52 (بن سالم) حميد: (الثقافة الإسلامية ومكانة اللغة العربية في الجزائر قبل الاستقلال)، مجلة اللسان العربي، ع 01، س 01، الرباط المغرب، 1964م.
- 53 (بن محمود) محمد المختار. (جامع الزيتونة من أقدم الكليات العلمية وأكثرها إنتاجا)، الزيتونية "مجلة شهرية تصدر عن جامع الزيتونة"، مج02، ج02، رمضان 1356هـ / نوفمبر 1937.
- 54 (بن محمود) محمد المختار: (حكم الله في التجنيس)، الزيتونية "مجلة شهرية تصدر عن جامع الزيتونة"، مج01، ج10، ربيع الثاني 1356هـ/جوان 1937م.
- 55 جمعية العلماء المسلمين الجزائريين-شعبة الوادي: (الزيارة التاريخية لوفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس لوادي سوف سنة 1937م)، الشهاب الجديد، ع1، ربيع الأول 1427هـ/أبريل 2006م.

56 (السعيداني) لمنجي. (جامع الزيتونة المعمور. منارة للعلم والمعرفة على مَرَّ العصور)، الشرق الأوسط-جريدة العرب الدولية-الخميس 8 نوفمبر 2007 ع 10572.

57 (عبد الوهاب) حسن حسني. (أثر تاريخي معاصر لجامع الزيتونة). الزيتونية" مجلة شهرية تصدر عن جامع الزيتونة". مج 04. ج 06. صفر 1360 / مارس 1941.

58 (ماكن) ريشارد: (لوي ماشوال والاصلاح التربوي بتونس خلال السنوات الاولى للحماية الفرنسية)، المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر، ع 03 جانفي 1975م، تونس.

الرسائل الجامعية:

59 (حسين) محمد، التنظير المقاصدي عند الامام محمد الطاهر ابن عاشور من خلال كتابه مقاصد الشريعة، (أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية)، إشراف د/عمار ساسي، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر. 1423-1424هـ/2002-2003م.

60 (الزهراني) مشرف بن احمد جمعان، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه "التحرير والتنوير"، (أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه)، إشراف د/أمين محمد عطية باشه، كلية الدعوة والأصول، جامعة أم القرى، السعودية، العام الجامعي 1426-1427هـ.

61 (فلالي) رابح، جامع الزيتونة والحركة الاصلاحية في الجزائر 1908-1954، (رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر)، إشراف د/عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ وعلم الآثار - كلية العلوم الانسانية والاجتماعية - جامعة منتوري - قسنطينة، السنة الجامعية 1428هـ/2007-2008م.

62 (القرني) محمد بن سعد بن عبد الله، الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير والتنوير، (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير)، إشراف د/محمد ولد سيدي ولد حبيب، كلية الدعوة والأصول، جامعة أم القرى-السعودية، 1427هـ

63 (معزة) عز الدين، فرحات عباس والحبيب بورقيبة "دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، 1899-2000"، (أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر)، إشراف د/عبد

الكريم صفصاف، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010م.

المواقع الالكترونية:

64 (بن تمسك) مصطفى: (تطور التعليم في تونس من التعدد إلى التوحيد). من موقع منتديات مكتبتنا العربية - تاريخ الاطلاع 2014/02/17.

65 (حميد) عبد القادر: (لماذا حُرقت كتب جان بول سارتر بالجزائر؟) جريدة المستقبل الالكترونية، يوم 0102/30/02.

66 (خميسي) سعد: (العلم والقيم الأخلاقية في فكر الشيخ عبد الحميد ابن باديس)، موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس على النت: <http://www.binbadis.net>، تاريخ الإطلاع: 21 مارس 2014.

67 (عويمر) مولود: (الإمام عبد الحميد بن باديس المصلح الثائر)، موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس على النت: <http://www.binbadis.net>، تاريخ الإطلاع: 22 ماي 2014م.

68 (عويمر) مولود، (رحلات الإمام ابن باديس إلى تونس وفرنسا)، موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس على النت، تاريخ الاطلاع: 21 مارس 2014.

69 موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس على النت: <http://www.binbadis.net>، تاريخ الإطلاع 21 مارس 2014م.

المصادر الأجنبية:

70 Thomas Shaw: **Voyage dans la régence d'Alger**, ou Description géographique, physique, philologique, etc, Marlin-Paris, 1830.

الفهارس

فهرس الأعلام:

حرف - أ -

- أبا حنيفة النعمان 67 إبراهيم المرغني 41 الدكتور ابن الموفق 93
 ابن بسام النحوي 81 القاضي أبي بكر بن العربي 100
 ابن جلول محمود الطباخ 93، 95 ابن حجر العسقلاني 47
 ابن سينا 77 ابن عساكر 47
 ابن منصور الصنهاجي 33 أبو إسحاق إبراهيم الرياحي 37، 20، 38، 41
 أبو بكر زروق 11 أبو الحسن بن شعبان 84
 أبو الحسن علي ابن باديس 49 أبو الحسن الندوي 47
 أبو العباس حميدة ابن باديس 49 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الخوجة 41
 أبو عبد الله محمد بن عثمان النجار 41 الشيخ أبو القاسم الحفناوي .. 33
 أبو القاسم الشابي 39 أبو محمد بلحسن النجار. 54 أبي بكر الصديق 38
 أبي تمام (الشاعر) 77، 90 أبي الحسن الأشعري 47 أبي زيد القيرواني 90
 أحمد أبو حمدان لونيبي 51، 52، 53، 55، 59، 63 أحمد إسماعيل بوشمال 97
 المشير أحمد باي. 19، 37، 20، 38، 70 أحمد بن أبي الضياف 20
 أحمد بن بدر الكافي 39 أحمد ابن الخوجة 19 أحمد ابن عاشور (حمده) 37
 أحمد بن ذياب 102 أحمد بن وثّاس المحمودي 39 أحمد بوشمال 102
 أحمد توفيق المدني 44 أحمد جمال الدين 41 أحمد حماني 102
 أحمد الشريف 14 أحمد الغطاس 14 الشيخ إدريس الشريف 44
 إسماعيل الصفايحي 17 إسماعيل التميمي 41 إسماعيل صحراوي 97
 الأشموني (نحوي وفقهه) 69 ألي محمد القروي 13 أوجين كومبس 22

حرف - ب -

الباي أحمد الثاني 44	باعزيز بن عمر 102	بركات بن باديس 49
البشير بن أحمد 94	بلقاسم الزغداني 94	الشيخ بلقاسم المجاجي 33
بلكين بن زيري الصنهاجي 49	بوبلحبال 93	بورغيدة علي الكواوشة 93
بورقيبة أحمد 11	بول كامبون 11	بولون (المستعرب) 13
		البيهقي (المحدث) 47

حرف - ت، ج -

تقي الدين الهلالي 58	الدكتور توماس شو . 23	الجاحظ 47
جمال الدين الأفغاني 15، 20، 41، 36، 42، 56، 57، 69	جول فيري 11، 27	

حرف - ح -

حسان بن النعمان 39	حسن ابريهمات 33	حسن بن الحاج عمر 54
حسن بن حسين 43	حسن بن وحشية 11	حسن قلاتي 14
حسونة متالي. 13	حسين أحمد أبادي الهندي 55	الحسين حمادي السوفي 39، 48
حمزة بوكوشة 92، 94، 103	حسين باشا 18، 19	
حسين بوحاجب 14	حمودة تاج 16	حميدة العمالي (المفتي) 33

حرف - خ -

سيدي خالد الأزهرري 39	خليل بن محمد ابن القشي 97	
خير الدين باشا التونسي 13، 19، 20، 34، 38، 70	خير الله بن مصطفى 10، 14	

حرف - د -

دلماش (المستعرب) 13	دي بورمون 24	
---------------------	--------------	--

حرف - ر -

الربيع بنت معوذ (صحابية) 98	رشيد بوعمود 11	روسلطان (القنصل) 11، 18
-----------------------------	----------------	-------------------------

حرف - ز -

الزبير بن باديس 58، 95	زعيتر محمد 93	الشيخ الزنكلوي 44
------------------------	---------------	-------------------

زهيرة بنت علي ابن جلول 49 زين العابدين بن حسين 84 زين العابدين بن عاشور..42

حرف-س-

جون بول سارتر 26 سالم بن عمر بوحاجب البنيلي 15، 18، 20، 38، 41، 48، 70

سان شارل 11 سعد السطافي 53، 54 سعيد بن أبي مريم 47، 48

سعيد البيباني 102 السعيد الزاهري 102 السعيد الزموشي 102

السعيد الصالحي 99، 102 سليم بن باديس...60 السيوطي جلال الدين 47

حرف-ش، ص-

الشافعي. 47، 48 الشيخ الشريف بن السعيد 54 المشير الصادق باي 20

الشيخ الصادق الشاهد 43 الشيخ الصادق النيفر 54 صالح الشريف 45

صالح عباس 15 الشيخ صالح الهواري 54 الشيخ الصفايحي 17

حرف-ط-

السيد الطاهر بن صالح 13 الطاهر ثاتب 11 الطاهر الحداد 39

طبيب الاسنان الطيب زرقين 93 الطيب العقبي 55، 92

حرف-ع، غ-

القاضي عبد الجبار 47 عبد الجليل الزاوش 14 عبد الحفيظ صويلح 97

عبد الحفيظ الهاشمي 96 عبد الحكيم دنقزلي 16 عبد الحميد الثاني 15

عبد الحميد بن حيرش 92، 94 عبد الحليم بن سماية 33 عبد الرحمان البناني 54

عبد الرحمن بن خلدون 39 عبد الرزاق الغطاس 16 عبد العزيز الثعالبي 18، 20، 39

عبد القادر التميمي 40 عبد القادر المجاوي 51 عبد الكافي العثماني 38

عبد الكافي العثماني 38 عبد الكريم بوصفصاف 49 عبد اللطيف سلطاني 102

عبد الملك بن عاشور 42 عبد الملك زين العابدين 42 عبده اسماعيل بن باديس 57

عبيد الله بن الحبحاب 39 عثمان بن عفان 38 عثمان الكعاك 44

العربي التبسي 58، 92	العربي زروق 13، 19	العربي بن عمر 11
العربي بن مهدي 92	العروسي بن عياد 13	العزّ بن عبد السلام 47
علي بن الحفاف 33	علي باش حانبة 10، 14	علي بن زياد التونسي 39
علي بوشوشة 15، 20	علي مرحوم 102	المفتي عمار ابن شريط 33
عمار طالبي 49، 50، 100	عمر بن أحمد ابن الشيخ 40، 48	عمر بن بركات 13
عمر بن عاشور 40	السيد عمر بن غسولة 91	عمر بن قدور 33
عمر دردور 92، 94	عمر راسم 33	القاضي عياض 89
		الغزالي أبو حامد 47

حرف - ف -

فاطمة بنت محمد العزيز 37	فاطمة بنت محمد بن مصطفى محسن 42
فالاري-فاليزي 22، 58	فرحات الدراجي 100
	الرئيس فرحات عباس 25
الفضيل الورتلاني 92، 99، 102	فيكتور دي كرنيار 15

حرف - ق -

القرافي (الفقيه المالكي) 81	القرطبي (المفسر) 47
-----------------------------	---------------------

حرف - ل -

لكامبس 23	لويس ريني ميللي 15	لويس ماشويل 11، 13، 18
-----------	--------------------	------------------------

حرف - م -

الإمام مالك بن أنس الأصبحي اليمني 39، 47، 77، 90	ال خليفة المأمون.. 47
الشيخ مبارك الملي 58، 84، 92، 102	المتبّي 81
محمد الحبيب ابن الخوجة 16، 37، 38، 40، 41، 48، 84	محمد ابن عاشور 39
الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي 56	محمد الخضر الحسين 14، 39، 54، 84
محمد الاصرم 14، 15، 16	الأديب محمد الأمين العمودي 96
محمد بخيت المطيعي 56	محمد البشير الابراهيم 92

محمد البشير صفر. 10، 11، 14، 15، 34، 35، 38، 54، 70	
محمد الجنادي 11	محمد بن خليفة المدني. 84
الشيخ محمد بن الشريف...54	الشيخ محمد بن الطيب بوشناق...54
محمد بن العابد 102	محمد بن عاشور 40
الشيخ محمد بن عبد الرحمان 33	محمد بن عرفة. 39
محمد بن مصطفى البارودي 40	محمد بن ملوكة37
محمد بن يحيى 11	الشيخ محمد بن يوسف ...54
الشيخ محمد بن يوسف اطفيش 33	الشيخ محمد بيرم الخامس 45،70
الشيخ محمد الخضار...40	المؤدب محمد الخياري 39
الشيخ محمد الدرعي...40	الشيخ محمد رشيد رضا... 20،21،36، 57
محمد الزاهي الملي 99	محمد السنوسي 15
محمد الشاذلي بلقاضي 82	محمد الشاذلي النيفر 37، 84
محمد الصادق باي37، 70	الشيخ محمد الصادق بن القاضي...54
محمد الصادق بن محمد الشطي 84	محمد الصالح بن جلول...58، 93
محمد الصالح بن عتيق 102	محمد الصالح رمضان 102
الشيخ محمد الصالح الشاهد 41	الشيخ محمد الصالح الشريف ...40، 41
الشيخ محمد الطيب بن بوداود الزواوي 33	الشيخ محمد الطاهر جعفر...41
الشيخ محمد عبد الله دراز 92	الشيخ محمد عبده 10، 20، 33، 36، 42، 56،57،62، 71،79
الشيخ محمد العزيز الوزير ...54	الشيخ محمد علي الهاشمي 99
الشيخ محمد المداسي...51	الشيخ محمد النجار الشريف... 38، 40
محمد النخلي القيرواني14، 20، 40، 43، 52، 54، 62	محمد الصنادلي 20

- محمد الطاهر ابن عاشور الجد 37، 38، 84 محمد الطاهر جعفر 41، 45
- محمد الطاهر النيفر 19 محمد الطيب 37، 38
- محمد العزيز بوعتور 15، 37، 19، 38، 39، 41، 48، 62 محمد العزيز جعيط 78
- محمد العيد آل خليفة ... 61 محمد عطية 13 محمد الفاضل ابن عاشور 38، 42، 46، 84
- محمد القلال 11 محمد المعتمري 11 محمد الناصر باي 38، 76
- محمد النجار الشريف 38، 40 محمد خير الدين 92 محمد شاكر 22
- محمد فريد بك 26 محمد محي الدين القليبي 44 محمد مصطفى بن باديس 49، 50، 51
- محمود قبادة 18، 19، 20، 70 مصطفى خريف 84 المعز بن باديس بن بلكين 49، 62
- المعز لدين الله الفاطمي 49 المكي ابن باديس 49، 62، 50 منصيرون (المقيم الفرنسي) 44
- المولود بن الموهوب 33، 55، 101

حرف - ن -

- نابليون الثالث... 50 النبي ﷺ 38، 65 النووي 47

حرف - هـ، و، ي -

- الهادي السنوسي، الشيخ السنوسي 99، 102 هشام بن عبد الملك 39
- واصل بن عطاء الغزال المعتزلي. 47 الهادي الأخوة الوزير الأكبر. 44
- اليامنة بنت أبوبكر ابن باديس. 57 يوسف عليه السلام. 85 يونس حجوج. 11

فهارس الأماكن:

حرف - أ -

- الديار الحجازية، الحجاز 52، 57، 62 إيطاليا ... 21 أرزيو 23
- الإسكندرية... 56 أسيوط 56 الأندلس 37
- أورشليم 26 أوروبا، الدول الأوروبية 14، 21، 29، 36، 48

حرف- ب-

باردو.... 13، 19، 70	بلدة الرقية... 60 .	باريس 10، 99، 54، 14
بجاية 41	برلين...58	بسكرة 92، 93
البصرة 47	بطحاء سيدي الشيخ ...51	بلاد الشام 20، 62، 56
بلاد المشرق...52	بلدة المطيعة...56	بلاد الغال 28
البليدة 23، 30	بنزرت 40، 44	بني خيار...41
بور سعيد...56	بيت الله الحرام 95	بيروت .. 20، 56

حرف- ت-

تل أبيب 26	تلمسان 22، 23، 30، 92، 55	توزر 77، 80
-----------------	---------------------------	------------------

حرف- ج-

الجامع الأخضر58 89، 94، 98		
جامع الأزهر ،20، 21، 39، 23، 44، 56، 62، 79، 88، 92، 99		
الجامع الكبير 22، 51، 54، 101	جامعة الجزائر 29	جامعة ديويند 55
جامع، الجمعية /الزيتونة، الجامع الاعظم09، 10، 13، 14، 16، 18، 23، 32، 43، 52، 53،		
54، 59، 62، 65، 66، 70، 71، 74، 75، 76، 77، 80، 83، 84، 88، 89، 92، 102، 94		
جامع بيت الباشا 20	جامع سيدي العربي 22	جامع سيدي بو حديد 39
جامع سيدي محرز41	جامع علي بتشين . 22	الجامع الكبير 86، 89
الجامع الكتاني 86	جامع كنتشاوة 22	جامع القرويين 23، 39
جامعات الأستانة 11	الجامعة الإسلامية15، 34، 100	جامعة أورشليم 26
جبال الاوراس 49	جرجرة 22، 31	الجامع الأموي بسوريا 39

حرف- ح-

الحراش 29 حي السويقة ... 51 الحي الزيتوني 83

حرف- د-

دلس 29 دمشق. 43، 46، 92 دلهي ... 55

حرف- ز-

زاوية الحملوي 31 زاوية القليعة 22 زاوية المولى حسن 22
زاوية الهامل 31 زاوية اليلولي 31 زاوية بن علي الشريف 22
زاوية بني سليمان 22 زاوية شختون 22 زاوية يدي عقبة 22
زنقة ابن عصفور 15، 16 زوايا الطريقة القادرية 51

حرف- س، ش، ص، ع-

سان لوي 14 سطيف 23 سلا 37 سوريا 39
سوسة 54، 77، 80 الشلف 23 شنرا 20 صفاقس 38، 77، 80
العريش 56 عنابة 23، 26

حرف- ف-

فرنسا 10، 11، 18، 19، 20، 21، 22، 25، 26، 27، 28، 33، 36، 81، 97، 99
فلسطين، ثالث الحرمين الشريفين، بيت المقدس... 56

حرف- ق-

القالا 23 القاهرة 11، 34، 43، 46 ،
قسنطينة 34، 32، 30، 29، 26، 23، 22، 14، 49، 80، 98، 97، 96، 95، 93، 92، 91، 90، 86، 101
قشلة الزنايدية 13 قفصة 77، 80 القيروان 77، 80

حرف- ك، ل-

كلكوتا 20 ليون 99، 100 ليل 99

حرف- م-

الماتلين 40	محلة نصر 20	مالطة. 55	المدية 30
المدينة المنورة 34، 51، 47، 54، 52	مدينة بوسعادة. 31	مدينة الجزائر 24، 33	
المرسى 38	مرسيليا 99، 100	المسجد الأموي 39	المسجد النبوي... 54
مستغانم 23	مسجد سيدي بومعزة 90، 91، 93	مسجد سيدي فتح الله 90	
مسجد سيدي قموش 90	مصر 20، 22، 24، 25، 26، 39، 56، 57، 62، 92		
معسكر 23	المغرب، بلاد المغرب، المغرب الأقصى 20، 42، 39، 37، 26، 48، 49		
مقبرة الأسرة المالكة 38	مليانة 23	ميلة 23	

حرف- هـ، و-

الهند... 55	وادي سوف... 60	وهران 11، 25، 26، 29
-------------	----------------	---------------------------

الهيئات والجمعيات والجماعات والفرق:

حرف -أ-

الاتحاد العام التونسي للشغل 84		
إدارة التعليم العمومي (العلوم والمعارف) 08، 11، 12، 13، 16، 18،		
الاسرة الحسينية 20	الأشاعرة 47	آل محسن 42
الأمة العربية والإسلامية 56	أهل الشورى 46	
الاقواف، جمعية، مجلس الاوقاف 37، 38، 45		
الأوروبيين، الجاليات الأوروبية 08، 11، 12، 20، 27، 34، 44، 89		
الايطاليون، الجالية الإيطالية 12، 13، 35		

حرف ب، ت-

البريطانية 96	الترك، تركي، الاتراك العثمانيون 11، 13، 24، 33، 46، 49، 67
---------------	--

التصوّف، الطرق الصوفية، شيوخ الطرق 51، 68، 83، 101

حرف -ج-

الجزائريين، الشعب، المجتمع الجزائري 24، 25، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 86،

89، 98، 101، 102 الجمعية التوفيقية 10، 34

جمعية التربية والتعليم الإسلامية وفروعها 91، 93، 94، 98، 99

الجمعية الخلدونية، جمعية قداماء الخلدونية 10، 13، 14، 15، 16، 20، 21، 43، 36، 40،

42، 43، 44، 52، 54، 65، 70، 76، 77، 84.

الجمعية الخيرية الإسلامية 91 جمعية دوحة الأدب 99 جمعية الراشدية 34

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 89، 92، 94، 96، 99، 100، 101

جمعية قداماء الصادقية 43

حرف -ح، د، ر، س، ش، ص-

الحنابلة، المذهب الحنبلي 47، 54 الحنفيين، المجلس، المذهب الحنفي 45، 46، 56، 67، 74

رجال الاكليروس 48 السلالة الشريفة 38 صهيونية 26

حرف -ط-

الطريقة التجانية .. 51، 54، 60 الطريقة العليوية. 61، 62، 101 الطريقة القادرية 51، 60

حرف -ع، ف، ق-

العدلية، القدرية، أهل العدل، التوحيد، المقتصد، الوعيدية 47 عنصرية 13

الفرنسيين 11، 30، 34، 50 الفرنكوفونية، التيار التغريبي 81 قبيلة بني معارف 49

القرشي 38 قاضي الجماعة، قاضي القضاة 38، 45 الغاليون 28

حرف -ل، م-

لائكية 08 مالطيين 12 المذهب، القضاء، الفقه، المجلس/المالكي، المالكية. 37، 38، 45،

46، 47، 48، 54، 61، 62، 63، 67، 74، 90

المسلمون 08، 12، 13، 44، 66، 67، 86، 87، 99 المجلس الأكبر للشورى 37

المجلس الشرعي.. 44، 46 مجلس الشورى الخاص 38 المجلس العلمي العربي 43

المجلس المختلط العقاري.. 45 مسيحية، الارساليات المسيحية.. 08، 12

مشيخة الجامع، مشيخة الزيتونة، شيوخ الزيتونة ، علماء الزيتونة 46، 79، 84، 92

المعتزلة 47 المعمرون 11، 12، 14، 15، 17، 27، 28، 33، 101 المغاربة 99

حرف ن-

النصارى، النصراني 37، 89 نقيب، نقابة الأشراف 38 نادي صالح باي 34

حرف و-

وزارة الشؤون الإسلامية الكويتية 44 وزارة الشؤون الدينية 100 الوزارة الكبرى 38

حرف ي-

اليهود التونسيون .. 13 اليهود، اليهودية، الرابطة اليهودية 07، 08، 11، 12، 13، 35

العلم والعلوم والمدارس:

حرف أ -

إصلاح التعليم، الابتدائي، الزيتوني، عملية الإصلاح 42، 65، 70، 71، 72، 73، 74، 77،

78، 79، 81، 82، 87، 88، 92، 99 الآداب، أدب اللغة... 77، 79، 90، 93

حرف ب -

البلاغة 90 البيان 90، 93 البيداغوجيا 48

حرف ت -

التاريخ 79، 90، 94، 100 التدريس، التعليم المسجدي 37، 86، 90، 91

التعليم الابتدائي 91 التعليم الإسلامي، التعليم النبوي 71، 74، 79، 88، 91، 101

التعليم الثانوي، التعليم الثانوي الزيتوني 79 التعليم الزيتوني 09، 21، 44

التعليم العالي 10، 23، 28، 29، 32، 48، 74، 83

التعليم العربي الإسلامي الأصيل 81، 82، 83، 84، 87، 89، 101

التعليم العصري الحديث 81 التعليم العمومي 11، 08 تفسير القرآن 20، 93، 91، 33، 100

حرف - ج، ح -

الجغرافيا 79، 94 جغرافية إفريقيا 29

الحديث الشريف، النبوي 40، 81، 89، 90، 93، 100 الحساب 79، 90، 93

حرف - س، ص -

السنة 88 السيرة النبوية 40 الصرف .. 77، 90، 93

حرف - ع -

العربية 86 العقيدة، العقائد 90، 93 العلوم الدينية، المواد الشرعية 79، 90

العلوم العصرية .. 10، 79 العلوم العقلية .. 68، 90 علم التجويد ... 93

علم التوثيق 45 علم التوحيد 86 علم الفرائض .. 40

علم الكلام 40 علماء السنة 101 علوم القرآن ... 40

حرف - ف -

الفتاوى 100 الفرائض، علم المواريث 94 الفقه، أصول الفقه 40، 68، 86، 93، 100

الفلسفة، الفلسفية 68، 79 الفنون العقلية 93 فن التعليم، البيداغوجيا 87

حرف - ل -

اللغات الأجنبية 79 اللغة الانجليزية 13، 79 اللغة الفرنسية 39

اللغة العربية، علوم اللغة العربية 40، 79، 81، 83، 85، 89، 90، 93، 99، 102

حرف - م، ن -

المدارس الأهلية الحرة 35، 36	المدارس التطبيقية الصناعية 29
المدارس الحكومية الرسمية 16	المدارس الرسمية الفرنسية 90، 91
المدارس الشرعية 36	المدارس العربية - الفرنسية، المدارس الفرنسية 11، 12، 17، 18
المدارس العربية الحرة 101	المدارس العصرية 14، 15
المدارس القرآنية والكتاتيب 09، 11، 17، 22، 23، 27، 31، 62، 75، 90، 91	
مدارس حرة.. 89	المدرسة التأديبية (العصفورية) 13، 16 مدرسة التربية والتعليم 91، 92
المدرسة الثعالبية 30	المدرسة الحربية، البوليتكنيك 18، 19، 20، 70، 80
مدرسة الحسن باشا 22	مدرسة دار الحديث 55، 92 مدرسة سيدي الكتاني 22
مدرسة سيدي أيوب 22	مدرسة سيدي لخضر 22 المدرسة الشماعية 10
المدرسة الصادقية، التعليم الصادقي 10، 11، 44، 43، 40، 38، 36، 21، 20، 19، 15، 14، 13، 54، 52،	
65، 70، 76، 77، 84	المدرسة القرآنية العصرية، الكتاب العصري 11، 22
المدرسة الكتانية 51	مدرسة النخلة... 53 المعهد الصناعي العالي 29
المعهد العلوي، المدرسة العلوية 13	المعهد الفلاحي الجزائري 29 معهد كارنو 11
مكتب التعليم العربي 91	المنطق 93، 90، 68، 40 المواد الرياضية 79
المواعظ 94	النبوة المحمدية 47 النحو 90، 93

الجرائد والمجلات والكتب والمكتبات:

حرف - ج -

جريدة الأهرام 21	جريدة البصائر 97	جريدة ثمرات الفنون 21
جريدة الجزائر 33	جريدة الحاضرة 15، 20	جريدة الرائد 20
جريدة الزهرة 20	جريدة سبيل الرشاد 20	جريدة السنة النبوية 96.

- جريدة الشريعة النبوية المحمدية 97 جريدة، مجلة الشهاب 96، 92 جريدة الصراط السوي 97
جريدة العروة الوثقى 20، 34 جريدة الفاروق 33 جريدة مصباح الشرق 21
جريدة المغرب 33 جريدة النجاح .. 96 جريدة الوقائع المصرية 20

حرف - د، ر -

- ديوان الحماسة 77، 90 ديوان المتنبي 90 رسالة التوحيد 42
رسالة في الفقه المالكي 40 رسالة في المرأة المسلمة 40

حرف - ص، ك -

- صحيفة الزهراء 82 صحيفة الصباح 82 صحيفة الصوت التونسي 82
صحيفة العروة الوثقى 96 كتاب أصول التقدم والمدنية في الإسلام. 43

كتاب السراج في معرفة صاحب التاج، رسالة في بيان حديث المعراج 41

كتاب العقائد الإسلامية ورجال السلف 100 كتاب العواصم من القواصم 100

كتاب القرآن الكريم، الذكر الحكيم، الوحي 39، 47، 65، 58، 88، 89، 90

كتاب المفتاح للسكاكي 42 كتاب الموسوعة الفقهية 44

كتاب الموطأ 39، 47، 81، 77، 90 كتاب امرأتنا في الشريعة والمجتمع 39

كتاب إيساغوجي 77 كتاب بلوغ الأدب في مآثر الشيخ الذهب 41

كتاب تاريخ الأستاذ الإمام 20 كتاب تراجم علماء الجزائر 33

كتاب تفسير التحرير والتنوير 39، 81 كتاب تونس الشهيدة 39

كتاب شرح المحلى لجمع الجوامع 77 كتاب مبادئ الأصول 94، 100

حرف - م - ن -

متن ابن عاشر 39 متن الأجرومية 39، 68، 77 متن البخاري 42

مجلة الرابطة العربية 99	مجلة المنار، المنار . 20، 21، 34، 35	مجلة ذو الفقار 33
مقدمة ابن خلدون 39، 78، 90	المكتبة الأحمدية 20	المكتبة الصادقية، العبدلية 20
مكتبة الاسرة الحسينية 20	صحيفة المؤيد 21، 35	صحيفة النهضة 82

مصطلحات

حرف - أ، ب -

الآثار الافريقية. 29	الأزمة المالية. 96	الإفتاء. 37
الايالة التونسية. 08	باش مفتي (كبير المفتين) 46	بيت المال. 37

حرف - ت، ث، ش، ع، ق -

التاريخ الإسلامي 69	تاريخ شمال إفريقيا 29	التجنيس، فتنته، محنته 78، 44، 45، 84
التطويع، شهادة التطويع 16، 10، 40، 41، 75، 43	التوسع الاوروبي 15، 34	التيار
الفكري الإسلامي 81	الثورة العرابية 20	جائزة نوبل 26
شيخ الإسلام 38، 46، 70، 78	العصر العباسي 47	العهد الحفصي 20
عهد الأمان 38	قانون الأهالي، الانديجينا 25	قانون العدول 38

حرف - ش، ل، م، ن، و -

الكوليج 28	حزب اللطيف 45	الليسي 28	مجامع اللغة 46
المرجعية الإسلامية 88	مستشار الحكومة للشؤون الدينية 46	المصالح المرسلة 47	
المطبوعة الجزائرية الإسلامية 97	المؤتمر الإسلامي 88	مؤتمر المستشرقين 46	
مؤتمر شمال إفريقيا 10	مؤتمر ليلة القدر ... 84	نظارة الزيتونة 37، 40، 44	
نظام الادعاء 52	التفقد، التفتيش 80	وسام الدولة التونسية، وسام الاستحقاق الثقافي 46	

فهرس الموضوعات

صفحة	الموضوع	ثبت المختصرات
01	مقدمة	
	الفصل الأول	
	واقع التعليم في تونس والجزائر في النصف الثاني من القرن 19م وبداية القرن 20م	
08	أولاً: واقع التعليم في تونس	
09	1- التعليم العربي:	
09	1-1 التعليم الإسلامي العربي "الزيتوني":	
09	1-1-2 نظام التعليم بالزيتونة:	
10	1-2 مدارس القرآن العصرية:	
11	2- التعليم الفرنسي:	
11	1-2 المدارس الفرنسية:	
13	2-2 المدرسة العلوية:	
13	3- التعليم الفرنسي-العربي:	
13	1-3 التعليم الفرنسي-العربي "التونسي":	
13	1-1-3 التعليم الصادقي:	
15	2-1-3 الجمعية الخلدونية:	
16	2-3 التعليم الفرنسي-العربي "إدارة التعليم العمومي":	
16	1-2-3 المدرسة التأديبية (العصفورية):	
17	2-2-3 المدارس العربية-الفرنسية:	
17	4- واقع تعليم المرأة:	
18	5- مسؤولية التعليم:	
18	6- محاربة اللغة العربية:	
19	7- إصلاح التعليم:	

19	1-7 العوامل الداخلية:
20	2-7 العوامل الخارجية:
21	3-7 من معوقات إصلاح التعليم:
22	ثانيا: واقع التعليم في الجزائر
23	1- سياسة تجهيل الجزائريين:
26	2-1 أهداف السياسة التعليمية الاستعمارية:
27	2- المنظومة التعليمية:
27	1-2 التعليم الرسمي:
27	2-1-1 التعليم الرسمي الفرنسي:
27	أ- التعليم الابتدائي:
28	ب- التعليم الثانوي:
28	ج- التعليم العالي:
28	د- التعليم "الفني" المهني:
29	2-1-2 التعليم الرسمي العربي:
30	3-1-2 أرقام ونسب التلاميذ الجزائريين في التعليم الرسمي:
31	2-2 التعليم الحرّ الجزائري:
32	3- ارهاصات النهضة بالتعليم وبداية الاصلاح:
33	1-3 العوامل الداخلية:
34	2-3 العوامل الخارجية:
35	خلاصة الفصل الأول

الفصل الثاني

السيرة العامة للشيخين محمد الطاهر ابن عاشور وعبد الحميد ابن باديس

37	أولا: السيرة العامة للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور
37	1- نسبه: اسمه ونسبه ومولده
37	1-1 آل عاشور- الأرومة الشريفة:
38	2-1 مولده:

39	2 حياته العلمية:
39	1-2 بدايات تعليمه:
39	2-2 التحاقه بجامع الزيتونة:
41	2-2 عوامل نبوغه:
42	3- اسرته:
42	4- وفاته:
43	5- وظائفه ونشاطاته العلمية والإدارية والشرعية:
43	1-5 وظائفه ونشاطاته العلمية:
44	2-5 المناصب الادارية التي تولاهها:
45	3-5 وظائفه الشرعية:
46	6 أخلاقه وعلمه ومكانته:
46	1-6 أخلاقه:
47	2-6 عقيدته ومذهبه:
48	3-6 سعة اطلاعه:
49	ثانيا: السيرة العامة للشيخ عبد الحميد ابن باديس
49	1- اسمه ونسبه ومولده
49	1-1 آل باديس- الشجرة الكريمة:
50	2-1 مولده:
51	2- حياته العلمية:
51	1-2 تعليمه الابتدائي والمتوسط بقسنطينة:
52	2-2 دراسته العليا بتونس:
55	3-2 رحلته إلى الحج وطلب العلم:
56	4-2 عوامل نبوغه:
57	3- اسرته:
58	4- وفاته:
59	5- وظائفه ونشاطاته العلمية والإدارية والشرعية:

59	1-5 وظائفه ونشاطاته العلمية:
59	2-5 المناصب الادارية التي تولاها:
59	3-5 وظائفه الشرعية:
60	6- أخلقه وعلمه ومكانته:
60	1-6 أخلقه:
61	2-6 عقيدته ومذهبه:
62	خلاصة الفصل الثاني

الفصل الثالث

الجهود التعليمية للشيخين

65	أولاً: جهود الشيخ ابن عاشور في مجال التعليم:
65	1- تعريف الشيخ ابن عاشور للعلم:
65	2- أهمية التعليم وإصلاحه لدى ابن عاشور:
66	3- تحليله لواقع التعليم:
66	1-3 تخلف التعليم وأسبابه:
70	2-3 محاولات الإصلاح ومعيقاتها:
71	4- جهود ابن عاشور العلمية لإصلاح التعليم:
71	1-4 نظرتة لإصلاح التعليم:
71	2-4 دواعي إصلاح التعليم ومجالاته:
72	3-4 إصلاح التأليف "المواد الدراسية":
73	4-4 إصلاح المدرسين:
74	5-4 إصلاح النظام العام والمناهج:
76	4-6 شروط رجال الإصلاح:
76	5- جهوده العملية للنهوض بالتعليم:
76	1-5 قبل توليه مشيخة جامع الزيتونة:
76	1-1-5 اقتراحات وجهها لأصحاب الشأن:
77	1-2-5 تدريسه للعلوم:

78	5-2 أثناء توليه منصب شيخ الزيتونة:
78	أ- الاهتمام بالطلبة:
79	ب- التركيز على دور المدرسين:
79	ج- تطوير العلوم والمناهج والبرامج:
80	د- العناية بالفروع:
80	6- آثاره:
81	7- عراقيل وعقبات واجهت ابن عاشور:
83	8- نتائج الجهود التعليمية للشيخ ابن عاشور:
84	9- أشهر من تتلمذوا عليه:
85	ثانيا: جهود الشيخ ابن باديس في مجال التعليم:
85	1- تعريف الشيخ ابن باديس للعلم:
86	2- أهمية التعليم وإصلاحه لدى ابن باديس:
86	3- تحليله لواقع التعليم:
87	4- جهوده العلمية لإصلاح التعليم:
87	4-1 نظرته لإصلاح التعليم:
87	4-2 دواعي الإصلاح:
87	4-3 إصلاح التأليف "العلوم":
87	4-4 إصلاح المدرسين:
88	4-5 إصلاح النظام العام والمناهج:
88	5- جهوده العملية في مجال التعليم وإصلاحه:
88	5-1 الاقتراحات والمطالب والعرائض:
89	5-2 تدريسه للعلوم:
89	5-2-1 توليه التعليم المسجدي:
91	5-2-2 تأسيس المدارس ونشاطه بها:
92	5-2-3 الاهتمام بالطلبة:
93	5-2-4 التركيز على دور المدرسين:

93	5-2-5 تطوير العلوم والمناهج والبرامج:
94	6-2-5 العناية بالنظام والانضباط والفروع:
95	7-2-5 المساهمة في تأسيس النوادي وتنشيطها:
95	8-2-5 نشاطه الصحفي:
97	9-2-5 إنشاء المطبعة الجزائرية الإسلامية:
97	10-2-5 القيام بالرحلات للتوعية:
98	11-2-5 تعليم المرأة في فكر ابن باديس:
99	12-2-5 الاهتمام بتعليم الجزائريين المغتربين في فرنسا:
99	6- آثاره:
100	7- عراقيل ومعوقات الاصلاح:
101	8- نتائج الجهود التعليمية للشيخ ابن باديس:
101	9- أشهر تلامذته:
103	خلاصة الفصل الثالث
105	خاتمة
110	الملاحق
113	المصادر والمراجع
120	فهارس الأعلام والأماكن والهيئات والجماعات والفرق والصحف والكتب والمصطلحات
135	فهرس الموضوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ